الجزء الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن
مستظرف تأليف الامام الاوحد
العالم العلامة اللوذعى الفهامة
الشيخ شهاب الدين احمد
الابشيهى تغمده الله
برحمته والرضوان
آمين

هذه فهرسة ما في النصف الثاني من كتاب المستطرف في كل فن مستطرف من الابواب
والفصول المعرف بجميعها في ديباجة الكتاب وهي أربعة وعشرون بابا منها في هذا النصف
اثنان واربعون كما هو موضوع بهذه الفهرسة المجعولة للاستدلال على اي باب من الابواب
أو فصل من الفصول في اي صحيفة من صحائف هذا النصف

(فهرسة الجزء الثانى من المستطرف)

صحيفة	
٢	الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته
٨	الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان
٨	الفصل الاول فى الصدق
٩	الفصل الثانى فى الكذب وما جاء فيه
١١	الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق الخ وفيه فصول
١٢	الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق
١٥	الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم الخ
١٥	الفصل الثالث فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة
١٥	الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم الخ وفيه فصول
١٥	الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق
٣٥	الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والطيب الخ
٣٧	الباب الثامن والاربعون فى الشباب والشيب والصحة الخ وفيه فصول
٣٧	الفصل الاول فى الشباب وفضله
٣٨	الفصل الثانى فى الشيب وفضله
٤١	الفصل الثالث فى العافية والصحة
٤٢	الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب الخ
٤٧	الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع الخ
٥٣	الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه
٥٩	الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه
٦١	الباب الثالث والخمسون فى ذكر التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد
٦٦	الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك
٦٩	الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف الخ
٧٣	الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه الخ وفيه ثلاثة فصول
٧٣	الفصل الاول فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله
٧٦	الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت الخ
٨٤	الفصل الثالث فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر
٨٦	الباب السابع والخمسون فيما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة الخ
٩٣	الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان
٩٣	الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستبصاء بهم خيرا
٩٤	الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم
٩٥	الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من

صحيفة

عوائدهم الخ

٩٩ الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة الخ

١٠٩ الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد الخ

١١٧ الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام الخ

١٥٥ الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم

الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم

الباب الخامس والستون فى ذكر البحار وما فيها من العجائب الخ وفيه فصول

١٦٢ الفصل الاول فى ذكر البحار

١٦٦ الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون

١٦٧ الفصل الثالث فى ذكر الآبار

١٦٨ الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال الخ وفيه فصول

١٦٨ الفصل الاول فى ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب

١٦٨ الفصل الثانى فى ذكر الجبال

١٦٩ الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها

١٧٣ الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها

١٧٦ الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء الخ

١٨١ الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم الخ

١٨٦ الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى

١٩٢ الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به الخ وفيه فصول

١٩٢ الفصل الاول فى وصف العشق

١٩٤ الفصل الثانى فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف

١٩٩ الفصل الثالث فى ذكر من مات بالحب والعشق

٢٠٦ الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت الخ

٢٧٧ الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن الخ وفيه فصول

٢٧٧ الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه

٢٨٥ الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة

٢٨٦ الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء

٢٨٧ الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن

٢٨٩ الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه

٢٩١ الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها

٢٩٢ الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه الخ وفيه فصول

٢٩٣ الفصل الاول فى النهى عن المزاح

صحيفة	
٢٩٣	الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم
٢٩٦	الباب السادس والسبعون فى النوادر والحكايات وفيه فصول عشرة
٢٩٦	الفصل الاول فى نوادر العرب
٢٩٩	الفصل الثانى فى نوادر القراء والفقهاء
٢٩٩	الفصل الثالث فى نوادر القضاة
٣٠١	الفصل الرابع فى نوادر النحاة
٣٠٢	الفصل الخامس فى نوادر المعلمين
٣٠٣	الفصل السادس فى نوادر المتنبئين
٣٠٤	الفصل السابع فى نوادر السؤال
٣٠٥	الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين
٣٠٥	الفصل التاسع فى نوادر النواتية
٣٠٦	الفصل العاشر فى نوادر جامعة
٣٠٧	الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصلان
٣٠٧	الفصل الاول فى الدعاء وآدابه
٣٠٩	الفصل الثانى فى الادعية وما جاء فيها
٣١٨	الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله عز وجل
٣٢٢	الباب التاسع والسبعون فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار
٣٢٥	الباب الثمانون فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء الخ وفيه فصول
٣٢٥	الفصل الاول فى الامراض والعلل وما جاء فى ذلك من الاجر والثواب
٣٢٦	الفصل الثانى فى ذكر العلل كالضر والعرج الخ
٣٢٨	الفصل الثالث فى التداوى من الامراض والطب
٣٣١	الفصل الرابع فى العيادة وفضلها
٣٣٢	الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله
٣٣٦	الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى الخ وفيه فصول
٣٣٦	الفصل الاول فى الصبر
٣٣٨	الفصل الثانى فى التعازى والتأسى
٣٤٢	الفصل الثالث فى المراثى
٣٤٧	الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها
٣٥٥	الباب الرابع والثمانون فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

الجزء الثاني من كتاب المستطرف في كل فن
مستظرف تأليف الامام الاوحد
العالم العلامة اللوذعي الفهامة
الشيخ شهاب الدين احمد
الابشيهي تغمده الله
بالرحمة والرضوان
آمين

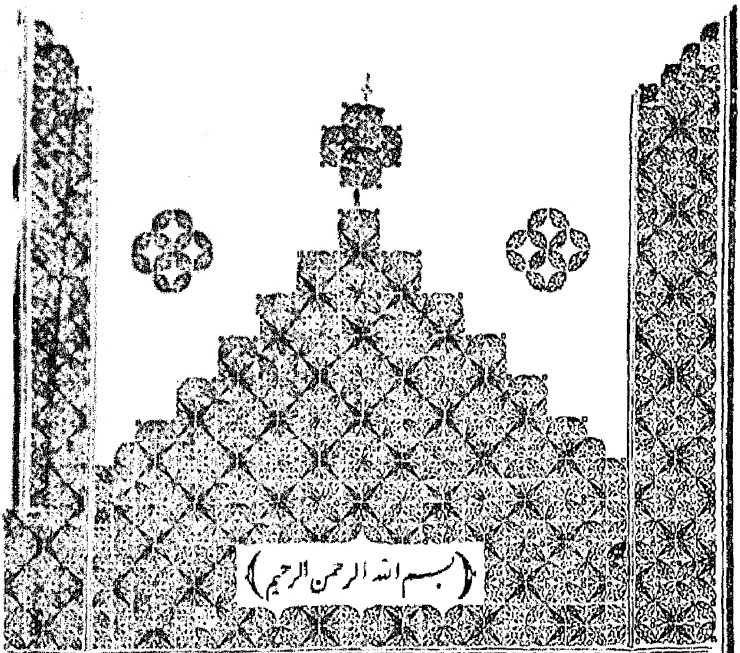

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته)

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة الهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا او ارهابا قال المتوكل لابى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الامين

انى من القوم الذين همو هم * قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد

شادوا لذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المأمون ما أبهتنى بيت شعر مثل كنت خاملا وفى حجر الخلافة تربيت وبدرها غذيت وقتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

واست وان أطنبت فى وصف جعفر * بأول انسان خرى فى ثيابه

فكتب بدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ما روى أن الحطيئة هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فلا أدرى لمن أنا قائله

أرى بى وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعبث بامه فقال

تنحى فاجلسى عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
حياتك ما علمت حياة سوء * ومونك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أو مدحت فقال له الاحنف ارحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل لآخر ان هجوتنى أغوت ابنتى قال لا قال افتخرب ضيعتى قال لا قال فرجلى مع ساقى الى حانتى فى حر أمك قال ولم تركت رأسك قال لا نظر ما تصنع وانا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذا لك * وكان الرجل من تميم اذا قيل له ممن الرجل يقول من تميم وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من تميم * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بنى عامر وما القيت قبيلة من العرب بهجو ما القيت تميم بهجو جرير وهجاها ابن بسام رجلا فقال

يا طلوع الرقيب من غير الف * يا غريبا أتى على ميعاد
يا ركودا فى وقت غيم وصيف * يا وجوه التجار يوم كساد

وقصد ابن عيينة قبيصة المهلبى واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فوجه اليه داود بن زيد بن حاتم فترضاه وأحسن اليه فقال فى ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذا لك وانتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا ويا قيه لحش يهودى
فالحش انت له وذا لك مسجد * كم بين موضع مسلح ومسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لانه * جادت يداه وأنت قفل حديد

وله هجا فى خالد

أبوك لذا غبث يغيث بوابله * وأنت جراد لست تبقى ولا تذر
له أثر فى المكرمات يسرنا * وأنت تعفى دائما ذلك الاثر

وقال المبرد فى حقه لم يجتمع لاحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له وما قعد حماد عجرد التأديب ولد الامين قال بشار بن برد

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

وقال فيه أيضا

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب فى الغنم
ان حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتنم

بين فخذيه خربة * في غلاف من الادم
ان رأى ثم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الابيات فأمر الامين باخراج حماد * وقال رجل لاخيه لابويه لاهجونك هجاء يدخل معك في قبرك قال كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك أمي قال اقول

بني امية هبوا طال نومكمو * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدي فأخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدي وانحدر الى البصرة لينظر في أمرها فسمع أذانا في ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يا زنديق عجب أن يكون هذا من غيرك ثم امر به فضربه سبعين سوطا حتى اتلفه بها والقى في سفينة فقال عين الشمقمق تراني حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس اعمى في سفينة

فلما مات القيت جثته في الماء فحمله الماء فأخرجه الى الدجلة فجاء بعض اهله فحملوه الى البصرة واخرجت جنازته فما تبعه احد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه * وخاصم ابو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضي فلما رآه ابو دلامة انشد يقول

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما دحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافيه
ومن خفت من جوره في القضاء * فلست اخافك يا قافيه

فقال عافية لاشكونك الى امير المؤمنين ولاعلمنه انك هجوتني قال له ابو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لانك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وامر له بجائزة * ودخل ابو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في امره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال ابو دلامة فازددت حيرة فما رأيت اسلم لي من ان اهجو نفسي فقلت

الا ابلغ لديك ابا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم احد الا اجازه * وقال ابن الاعرابي ان اهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب في محمد بن هاشم

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

وهجا بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب اجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويضل الساري ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طليب المصري وقد

. قال اقول الخ هكذا
ل وتامله فان ما بعده
ملتئما بما قبله ولعل
قطا وهما حكايتان اه

احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

وكان للوجيه بن صورة المصرى دلال الكتب دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم
فما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد احسن الاديب كمال الدين على بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى فى ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * ان تكثر الحشرات فى جنباتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم اعدم الاجفان طيب سناتها
وتبيت تسعد دا براغيث تى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه * قد قدمت فيه على اخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين * الشمس ما طربى سوى غناتها
اين الصوارم والقنا من فتكها * فينا واين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز * أبصارنا عن وصف كيفياتها
وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد فى حملاتها
وبها خنافس كالطناقس افرشت * فى ارضها وعلت على جنباتها
لو شم اهل الحرب منتن نسوها * اردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان واشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها
ابدا تمص دماءنا فكأنها * حجامة لبست على كاساتها
وبها من النمل السليمانى ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ما راعنى شئ سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها * ورق الحمام سجعن فى شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربا * حتى السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل الى النجاة ولا نجا * ة ولا حماة لمن رأى حملاتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها
فضجيعها كالرعد فى جنباتها * وترابها كالرمل فى خشناتها
والبوم عاكفة على أرجائها * والدود تبحث فى ثرى عرصاتها
والجن تأتيها اذا جن الدجى * تحكى الخيول الجرد فى حملاتها

والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى أنحائها
شاهدت مكتوبا على ارجائها * ورأيت مسطورا على جنباتها
لاتقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بايديكم الى هلكاتها
ابدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ذنب الغراب منازلا * يتفرق السكان من ساحاتها
ويدار نا الفاغراب ناعق * كذب الرواة فاين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دار تنبت الجن تحرس نفسها * فيها وتندب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش فى فلواتها
اسكنتنى بجهنم الدنيا ففى * أخرى هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بمن اهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

ولبعضهم فى بلان

اشكو الى الله بلانا بليت به * مست أناملها طهرى فادمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا بسرح تسريحا باحسان

وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان أيضا

وبلان له ظفر يباهى * به حد الشفار المرهفات
هرى جسمى فالبسه نجيعا * على حلل الستور السابلات
ورام بين أعضائى برفق * فابيسها وكسر فوق ساقى
ولم أنظر له ابدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات
واعمى مقلتى بصفان ابط * يفوح به على كل الجهات
فلا تجعل الهى مثل هذا * يغسلنى اذا حانت وفاتى

ولبعضهم فى حمام

وحمام دخلناه لاعرى * حكى سقرا وفيها الجرمونا
فيصطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف ابى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجهل يا نظام الملك أنى * اعاود من ذراك كما قدمت
وأصدر عن حياضك وهى نهب * بافواه السقاة وما وردت
يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد عم الورى كرما سكت

ومن عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أبا جعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا بنى
فان انت أنجزت لى ماوعدت * والاهجيت وأدخلت فى

وقد علم الناس ما بعدق * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرّض له بالهجاء ويهدده يقول

اعد مدحى على وخذ سواه * فقد أتعبتنى يا مستريح
ولا تغضب اذا انشدت يوما * سواه وقيل لى هذا صحيح

وله أيضا يقول

اعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكنى سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

وقال بعضهم فى حجاج قدموا وفدا يهدوا اليه شيأ

مضوا يحجوا والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضع السبلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا بعودا اراكة * ولا وضعوا فى كف طفل لنا نقلا

وقال آخر

اذا رمت هجوا فى فلان تصدنى * خلائق فيه عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * بأقبح ما يهجى به المرء يمدح

وهجا بعضهم امرأة فقال

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها * وتعبس فى وجه الصحيح وتكلح
لها منظر كالنار تحسب انها * اذا ضحكت فى أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسى ويصبح

ولبعضهم فى عظيم أنف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد عمموه بغله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

وفيه أيضا

رأينا للزكى جدار أنف * يضاهى فى تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

ولبعضهم فى أبخر مخنث

قالوا فلان به نتن فقلت لهم * يا قوم قد حار فكرى فى مساويه
يا قوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالأير يدفع ما فيه الى فيه

ولصفى الدين الحلى

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقمقع من برد الشتاء أضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمأل

وله أيضا

ليهنك ان لى ولدا وعبدا * سواء فى المقال وفى المقام
فهذا سابق من غير سبق * وهذا عاقل من غير لام

وله فى طبيب يدعى اسحق

مباضع اسحق الطبيب كأنها * لها بقضاء العالمين كفيل
معودة ان لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

وله فى احمق طويل اللسان

لو ان قوة وجهه فى قلبه * قنص الاسود وجندل الابطالا
او كان طول لسانه بيمينه * افنى الكنوز وافقد الاموالا

وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال

انى مدحتك من فساد قريحتى * وعلمت ان المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى الى بيت الخلا فيضوع

*وقيل لبعضهم ما تقول فى فلان وفلان قال هما الخير والميسر انهما أكبر من نفعهما *وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللوم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر منناعا للخير * وسمع اعرابى قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا فانتفض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر فقال الله اكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

استب رجلان فقال احدهما للآخر لو قطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الا عرفته وقال ابو زيد العبدى

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال المتوكل لابى العيناء ما بقى احد فى المجلس الا هجاك ونمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها

(الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات قدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم * وقال عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وما احسن ما قيل فى ذلك

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فاغبى الورى * من اسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت ابى الوفاة جمع بنيه فقال لهم يا بنى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه اقر به والله ما كذبت كذبة قط منذ قرأت القرآن * وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره وابن كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شئ سلية وحلية المنطق الصدق وقال محمود الوراق

الصدق منجاة لاريابه * وقربة تدنى من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة فلا تتم هذه الثلاثة الابه * وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ما صدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن ابى صفرة ما السيف الصارم فى يد الشجاع بأعز له من الصدق * وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق * ويقال الصدق محمود من كل أحد الا من الساعى * ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا فى السموات والارض * وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق * ويقال الصدق بالخز أحرى * وقال عتبة بن ابن سفيان اذا اجتمع فى قلبك أمران لا تدرى أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى * وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذى يزن وضع الحق عز * وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ما قبلت يد قرشى غيرك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ما قبلتها الله تعالى فقال والله ولا يدك ما قبلتها الله تعالى ولكن قبلتها النفسى فقال والله لاضربك الصدق عندى أعطوه مائة أخرى * وقال عامر العدوانى فى وصيته انى وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا * يعنى من لزم الصدق وعود لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشئ يظنه الاجاء على ظنه * وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخى فان تنكحوه فالحمد لله تعالى وان ترد ونا فالله أكبر فأقبل بعضهم على بعض فقالوا ويلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ما عدا ذلك فقال مه يا أخى صدقت فانكحك الصدق * وخطب الحجاج فأطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلى سبيله فقال ان أقربا لمجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لا أزعم ان الله ابتلانى وقد عافانى فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

* (الفصل الثانى من هذا الباب فى الكذب وما جاء فيه) * قال الله تعالى فى الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملكان عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به * ويقال روى الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان * وقيل أمر ان لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن فى قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وهى الكل

واصف كذب الى يوم القيامة * قال الاصمعى قلت الكذاب أصدق قط قال لولا انى أخاف أصدق فى هذا القلت لك لا فتجيب

وقال محمود بن أبى الجنود

لى حيلة فيمن يتم وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتى فيه قليله

* ويقال فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز * وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب اشفقت مرارتى والله لاجد به مع ما يلحقنى من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ما يلحقنى من نفعه * وقال نباسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله ولبعضهم

حسب الكذوب من البلية * بعض ما يحكى عليه
فتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

وأضاف صيرفى قوما فاقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت * وعن عبد الله بن السدى قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن است أكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث * وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شئ حتى انينه فى سقمه وحتى ان الصبى ليبكى فتقول له امه اسكت وأشترى لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل ما من مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا * وعن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب قال الشاعر

لا يكذب المرء الا من مهانته * أو فعله السوء أو من قلة الادب
لبعض جبهة كلب خير رائحة * من كذبة المرء فى جد وفى لعب

* ولما نصب معاوية رضى الله عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعد فى قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا الامور المسلمين لأضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بألوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر انى لاعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فاسنا نطمع فى اخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين لا خليق أن لا يكون عند الله وجيها * وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين وأصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب فى الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب فى حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوى بذلك بأنهم فكانوا اذا رأوه مقبلا اليهم قالوا جاءنا بالكذب * وقال يحيى بن خالد رأيت شاربا خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا * وكان عمرو بن معدى كرب

مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن اكان ابن معديكرب يكذب فقال كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب مذ اسلم رضي الله عنه والحمد لله وحده

الباب الخامس والاربعون في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول

(الفصل الاول في بر الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا * وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكر لي ولوالديك الي المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * وعن علي رضي الله عنه لو علم الله شيأ في العقوق أدنى من اف لحرمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار * وقيل ان رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين (وحكى) أبو سهل عن ابي صالح عن ابي نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فأبطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يا رب أوصني قال أوصيك بأمك حسنا قال له سبع مرات قال حسبي ثم قال يا موسى ألا ان رضاها رضاي وسخطها سخطي وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخلون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تحجن عاقا فانه ان يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضأ الا بماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو في يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه وقيل طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فما زال الولد واقفا بالشربة في يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان لي أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها الا وظهري لها مطية فهل أدبت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر ربت اكبس رجل أبي وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي * وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذي لا ينتصف منه وقيل لعلي بن الحسين رضي الله عنه انك من أبر الناس ولا تأكل مع امك في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي يدها الى ما سبق عيناها اليه فأكون قد عققتها

(الفصل الثاني في الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدوا وصديق * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلت لسيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذي نفسي بيده ان الرجل يشتهي أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذي يتهنى اليه في ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كي لا يتمنى وقال عمر رضي الله عنه اني لاكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبحه وتذكره وقال رضي الله عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون من ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات الامن ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والجلوس مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانها تدني الاعداء وتقرب البعداء وتورث الضغائن قال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الا هن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حبيبتهن الى وقيل لرجل أي ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فذلك حكمك فلما ولدت قالت حكمي ان تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمارقلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا فأرضهم وان سألوا فاعطهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنتظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مائتي ألف درهم ومائتي ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال ليزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكي) الكسائي أنه دخل على الرشيد يوما فامر باحضار الامين والمأمون وليديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا كالكوكبي أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد غضا أبصارهما حتى وقفا في مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمر فأتي عليهما أبواب من النحو فما ألتهما شيأ الا أحسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قرى أفق وفرعي شامة * يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلي أمير المؤمنين وحائزي * مواريث ما أبقى النبي محمد
يسدان أنفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام روية وحفظا منهما أسأل الله تعالى أن يزيدهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل

الشر لذلا وقعا وأمن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يستطيعا حتى رأيت الدموع تتحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كانكم بهما وقد دهم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دن خل أخرج الله منه زق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه * وسب اعرابي ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك على لا يطل صغير حق عليك * قال سيدي عبد العزيز الدرينى رحمه الله

احب بنيتي وودت اني * دفنت بنيتي في قاع لحد
وما بي أن تهون علي لكن * مخافة ان تذوق الذل بعدي
فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندي
وان زوجتها رجلا غنيا * فيلطم خدها ويسب جدي
سألت الله يأخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندي

وقال هرون بن علي بن يحيى المنجم

أرى ابني تشابه من علي * ومن يحيى وذا شبه خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسرى الى الشبه العروق

وقال ابو النصر مولى بني سايم

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

وقال الحسن بن زيد العلوي

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من عاقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده ويقول

ازهر من آل بني عتيق * مبارك من ولد الصديق * أشبه كما الدريق

وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول

يا حبذا ريح الولد * ريح الخزامى في البلد
هكذا كل ولد * أم لياد مثلي أحد

وكان اعرابي يرقص ولده ويقول

احبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم ناله * اذا أراد نيله بداله

* وكان لاعرابي امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالي * انقذني العام من البلوالي
من كل شوهاء كشن بالي * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها وأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما علي أن تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الفالية
وترفع الساقط من خواريه * حتى اذا ما بلغت ثمانيه

ازرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاوية

* اصهارصدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتي ألف درهم والله أعلم

(ومما جاء في الاولاد البلداء القليلي التوفيق) قيل نظر اعرابي الى ولده قبيح المنظر فقال له يا بني انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد و والدي بلا ولد فقال لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد * وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يا بني * وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشي مع أبيه اذ برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأي عبد الله تعني فالتفت أبو حمزة الى ابنه وقال يا حمزة ألا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادي شابا يا أبا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابي كلنا اسماعيل الله فأي حمزة تعني فقال له أبوه ليس يعنيك يا من أحمد الله بذكر أبيه * وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فأرسله في حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقض حاجته فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو في خلقة الجمل

فأجابه

مشبه بك يا أبي * ليس لي عنك منتقل

* ونهى اعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت علي الآن طابت لك الخمر

سأشرب فاسخط لا ارضيت كلاهما * حبيب الى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

(ومما جاء في صلة الرحم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منهاة للولد مثراة للمال وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته اى قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم * وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن ابي مروان عن ابيه عن كعب الاحبار أنه قال والذي فلق البحر لموسى بن عمران ان في التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك في يسيرك وأصرف عنك عسيرك * وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد في العمر وذكر تمام الحديث

*(الفصل

(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب ألا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه * وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروءة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها * وسئل عيسى عليه السلام اى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان ابو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا نزعه عرق ابى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيرى سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبى الاسلام من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر * ومن كلام على كرم الله وجهه اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير فانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة اكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم فى أمورك ويسر عن معسرهم * وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته * ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده * قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها
واعلم بأنك لا تسود فيهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والالوان والثياب وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق) والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهى الحسن والجمال * كان محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة ازهر الجبين واضح الخد أقنى الالف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زجج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطع وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد واحسنهم واكملهم من قريب كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن * قال أنس رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلي عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيا أن يطعم لحمه النار * وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكي) أنه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا * وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى * وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضي الله عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن ابي سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهي في مرآة مع انسان الا رحمته من حسن وجهي الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهي مع وجهه رحمت وجهي من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنهم في عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا كف نساء

وقال كثير

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

(وما جاء في محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم)

(ما قيل في الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

وللمتنبي

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت لها بثلاث
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

وله أيضا

لبسن الوشي لا متجملات * ولكن كي يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن في الشعر الضلالا

وقال الصفدي

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل في الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ

ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كحظي حين أطلب منه وصلا
وبابله على الاردف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقال آخر

ارخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوال
فقلت والقصد ذؤابانه * واسهرى فى ذى الليالى الطوال

وقال آخر

بدت ثريا فرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
يا عجبا لشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

وقال ابن المعتز

توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محيا واضح تحته فجر
يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومما قيل فى الاصداغ قال ابن المعتز

ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكان عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

وقال العادلى

وعهدى بالعقارب حين تشتو * يخفف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

وقال آخر

وما ضره نار بخديه الهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بخديه تلتوى * وامواج ردفيه بخصريه تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

وقال آخر

حل القبا ولوى صدغيه فانعقدا * واحيرتى بين محلول ومعقود
وأسكرتنى ثناياه وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل فى مدح العذار) قال ابو فراس بن حمدان

يا من يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد احمر

وقال محمد بن وهب

صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم ابصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى
ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

وقال آخر

ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

وقال آخر

ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر

أصلي بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

وقال آخر

اصبحت سلطان القلوب ملاحة * وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

وقال آخر

ياذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما صح عندي أن لحظك صارم * حتى حملت بعارضيك حمائلا

وقال آخر

من لا رأى كعبة الحسن التي حرست * بالنمل حيث مقام النمل في قدمه
فلينظر النمل اضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

وقال بدر الدين الدماميني

حدث ليل عارضه بانى * سأسلوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادى * حديث الليل يعود النهار

وقال آخر

وقالوا تسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت وهمت ولكننى * خلعت العذار على خده

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفا

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى اعيون الناس فيها تزاحما
يجى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار اذا حمى

وقال ابن نباتة

وبهجتى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

وقال الموصلى

لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهانى المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقال آخر

اصبحت مكسورا بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلنى وذا من شأنه

وقال آخر

ياصاح قد حضر المدام ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

ابن نباتة

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لا يغازله

وسال عذار فوق خديه سائل * على خده فليتق التسائله

(ومما قيل فى ذم العذار) قال الشاعر

غدا لما التحى ليلا بجيدها * وكان كأنه قرمنير

وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاء كم النذير

آخر فى ذمه

قلت لاصحابى وقد مر بى * منتقبا بعد الضيا بالظلم

بالله يا أهل ودى قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

وقال آخر

مازال يقتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يحلقه

كأنما طور سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لا يفارقه

وقال آخر

مازال يحلف لى بكل اليمة * أن لا يزال مدى الزمان مصاحبى

لما جنى نزل العذار بخده * فتعجبوا السواد وجه الكاذب

ابن المعتز

يارب ان لم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته

فاشف السقام الذى فى لحظ مقلته * واستر ملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل فى الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ناضر الريحان خضرة حاجب

ومن بانع الاغصان قد وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

وقال آخر

غزانى الهوى فى جيشه وجنوده * وهب على الجيش من كل جانب

بميسرة اجنادها اعين المها * وميمنة تقضى بزج الحواجب

وقال آخر

ايا قمرا تبسم عن اقاح * ويا غصنا يميل مع الرياح

جبينك والمقبل والثنايا * صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الاعمى ما وصف احد العيون بمثل ما وصف احمد بن الرقاع فى قوله

وكأنما دون النساء أعارها * عينيها حور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فلاعبت * فى جفنه سنة وليس بنائم

وقال ابن المعتز

عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع

فيجرح احشائى بعين مريضة * كما لان متن السيف والحد قاطع

وقال الاخطل

ولا تلم بدا بي كليب * ولا تقرب لها أبدا رجالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالطرف الرجالا

وقال أبو فراس واحسن

وبيض بالحاظ العيون كأنما * مزجن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا واتنين جآذرا

وقال آخر

ومريض جفن ابس يصرف طرفه * نحو امرئ الا رماه بحتفه
قد قلت اذ أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

وقال أبو هفان

أخو دنف رمته فاقصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فوالله لا يقال سوى احورارى * جبن ولا سوى الاهداب ريش
اصبن فؤاد مهجته فاضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى اناخ به جيوش

وقال آخر

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من اعين الجن نظرة * ولو أنصفوا قالوا به اعين الانس

عز الدين الموصلي

لها عين لها غنج ودعج * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعالها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

برهان الدين القيراطي

شبه السيف والسنان بعيني * من لقتلي بين الانام استحلا
فاتى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذا الحاشي وكلا

وله أيضا

بابي اهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن بخده

بدر الدين بن حبيب

عيناه قد شهدت بأني مخطئ * واتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

جلال الدين بن خطيب داريا

شهدت جفون معذبي بملالة * مني وان وداده تكليف
لكني لم أأته لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقال

وقال الشيخ عز الدين الموصلي

يا مقلة الحب مهلا * فقد اخذت بثارك
وأنت يا وجنتيه * لا تحرقيني بنارك

وقال ابن الصائغ

لمثلي من لواحظها سهام * لها في القلب فتك أي فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

وقال الصلاح الصفدي

يا عاذلي على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفي
وخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها * لا ترم نفسك بين السهم والهدف

وقال آخر

بسهم اجفانه رماني * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالي سواه خصم * لانه قاتلي بعينه

وقال آخر

سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما اقوى جفونك وهي مرضى * واقدرها على قتل البريه

(ومما قيل في الخال) للصلاح الصفدي

بروحي خده المحمر اضحى * عليه شامة شرط المحبه
كان الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

لابن الصائغ

بروحي افدي خاله فوق خده * ومن انا في الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من اخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن في ذلك الخال

للشيخ جمال الدين بن نباتة

لله خال على خد الحبيب له * في العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدي بأن الخال لا يرث

وقال آخر

يا سالبا قمر السماء جماله * ألبستني في الحزن ثوب سمائه
احرقت قلبي فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت في مائه

للشيخ تقي الدين بن حجة

قلت للخال اذ بدا * في نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لي * أنا عبد لكل جيد

وقال ابن أيبك

في الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك اشتهى شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

وقال الحسين بن الضحاك

ياصائد الطير كم ذا * باللحظ تضنى وتسبى
نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

(ومما قيل فى الخدود) قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض * وبخدى للدموع غدير

وقال آخر

ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات
شئ اسر به وأعلم انه * وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصواف

بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

وقال آخر

انفقت كنز مدامعى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلى فى البارد

وقال آخر

رأى ثغر من اهوى عذولى فقال لى * ولم يدر ان اللوم فى خده يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

وقال ابن ريان

لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى التئام
لاتعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

اسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كايماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وماذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

قال شهاب الدين الكردى

ذكرت ريح حبيبى * بشرب راح تعطر
وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

غيره

رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لى صبر
وسوف أحظى بوصل * فأول الغيث قطر

الصلاح الصفدى

نقل الاراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح مانقل الاراك لانه * يرويه نصا عن صحاح الجوهرى

وقال آخر

ثلاث تجمعن في ثغرها * ملاح اذاتها واضحه
فان قيل ماهي قل لي اقل * هي الطعم واللون والرائحه

وقال آخر

يارب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه على كاسه * فسكرت في الحالين من خرطومه

وقال آخر

أريقا من رضابك ام رحيقا * رشفت فكدت منه ان افيقا
وللصهباء اسماء ولكن * جهلت بان في الاسماء ريقا

(ومما قيل في حسن الحديث) قال البحتري

ولما التقينا والنقا موعدنا * تعجب راقي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقال سلم الخاسر

ظللنا فبتنا عند دام محمد * بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

وقال ابن الرومي

يسير ويصبح معرضا فكأنه * ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له * در يساقطه الى احسانه

وما احسن هذه الابيات وهي من طارف الشعر ووافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الا حديثها * رجيع وفيما حدثتك الطرائف
جرحن باعناق الظباء وأعين الـ * ـجآذر وارتجت بهن الروادف
رجحن بارداف ثقال واسوق * جذال واعضاء عليها المطارف

(ومما قيل في رقة البشرة) قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فورّد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت * بمعتدل ارق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها * الى ماء عتيد في اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت * على عجل الى اخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على تدان * فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

وقال آخر

تغير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلله التدلل كيف هجرى * فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيبا * اذا حركته خطاه مالا

اذا كلمته أثرت فيه * وان حركته ناظر سالا

وقال بشار

وما طفرت عيني غداة لقيتها * بشيء سوى اطرافها والمحاجر
كحورا من حور الجنان غريرة * يرى وجهه في وجهها كل ناظر

ومنه اخذ ابو نواس قوله

نظرت الى وجهه نظرة * فابصرت وجهي في وجهه

وقال آخر

توهمه قلبي فاصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
وهي بفكري جسمه فجرحته * ولم ار جسما قط تجرحه الفكر

وقال آخر

سقى الله روضا قد تبدى لناظر * بهشا دان كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذي فيه ينضح

وقال آخر

واهيف قده كسى احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو اخجلته بالقول جهدي * لحمرة خده ما بان فيه

(وقد قيل في التقبيل) لناظره الاعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وجال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

وقال آخر

سألته في ثغره قبلة * فقال فكري لم يجز لثمه
فها كها في الخد واقنع بها * ما قارب الشيء الذي حكمه

وقال صاحب حماة

قال الذي تيمني * قولوا لمن خبلته
يروم مني قبلة * لو مات ما قبلته

الشيخ عز الدين الموصلي

كالورد منظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يشك الورد

وقال آخر

رأيت الهلال على وجهه * فلم ادر أيهما أنور
سوى ان ذاك بعيد المزار * وهذا قريب لمن ينظر
وذاك يغيب وذا حاضر * وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا اكثر

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا وماس بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من انفاسى

وقال آخر

قبلت رجل حبيبى * فازور واحمر خدا
وقال تلثم رجلى * لقد تنازلت جدا
فقلت ما جئت بدعا * ولا تجاوزت حدا
رجل سعت بك نحوى * حقوقها لا تؤدى

(ومما قيل فى الوجه الحسن) ابن نباتة

انسية فى مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

عبد الله بن ابى خبيص

تصد من غير علة * بالعز أضحت مدله
كأنها حين تدنو * شمس عليها مظله
وان أضاءت بليل * تفوق نور الاهله

وقال آخر

أقسم بالله وآياته * ما نظرت عينى الى مثله
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

وقال آخر

أقيمى مكان البدر ان افل البدر * وقومى مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

عمر بن ابى ربيعة

ذات حسن ان تغب شمس الضحى * فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وهواهم فى سوى هذا اختلف

أخذ ابو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال

لو ان اجماعنا فى فضل سودده * فى الدين لم يختلف فى الامة اثنان

وقال آخر

يا مفردا فى الحسن والشكل * من دل عينيك على قتلى
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملى

وقال آخر

ففى اربع منى حلت منك اربع * فما أنا ادرى أيها هاج لى كربى
اوجهك فى عينى ام الريق فى فمى * ام النطق فى سمعى ام الحب فى قلبى

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندى قال هذا تقسيم فلسفى وجعله العلوى خمسة فقال

وفى خمسة منى حلت منك خمسة * فريقك منها فى فمى طيب الرشف
ووجهك فى عينى ولمسك فى يدى * ونطقك فى سمعى وعرفك فى أنفى

ابن نباتة

أيها العاذل الغبى تأمل * من غدا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

محمود المخزومى

رايتك فى الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عينى ابهى من الشمس
لانك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضىء اذا تمسى

وقال آخر

اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر

(ومما قيل فى البنان المخضب) قال ابن الرومى

وقفت وقفة بباب الطاق * ظبية من مخدرات العراق
بنت سبع واربع وثلاث * اسرت قلب صبها المشتاق
قلت من أنت يا غزال فقالت * انا من لطف صنعة الخلاق
لا ترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

وقال الراضى بالله

قالوا الرحيل فانشبت اظفارها * فى خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها

وقال آخر

لما اعتنقنا للوداع واعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وقال آخر

ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكى عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدى اهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت واذكت فى الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفى فاحمرت بنانى من دمى

وقال آخر

دنون عشية التوديع منى * ولى عينان بالدم تجريان
فلم يمسحن اكراما جفونى * ولكن رمن تخضيب البنان

(ومما قيل فى النحور) قال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهى بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضى * فكيف اذا نظرت الى الخصور

(ومما قيل في نعت النهود) قال العباس بن الاحنف

والله لولا ان القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ماحوته ناهد

وقال آخر

ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك
وتبكي حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين في حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد بمعلك
وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به تهد بحق مفلك

عمر بن كلثوم

تراك اذا دخلت على خلاء * قد امتلأت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من اكف اللامسينا

وقال آخر

بصدرها كوكبا درّ كانهما * ركبان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس في الحل والركبان في الحرم

وقال آخر

صدور فوقهن حقاق عاج * ودرّ زانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلي من هذي الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدي * جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لا يعدلهن عيب * سوى منع المحب من العناق

وقال آخر

لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهي سود
وقطعنا القدود اذا التقينا * بسمر من اسنتها النهود

(ومما قيل في الارداف والخصور) قال ابن الرومي

وشربت كاس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من ارداقها * عجبا ولكني بكيت لخصرها

الطغبغا المحاربي

ردفه زاد في الثقالة حتى * اقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * فتصيقان يغلبان قويا

وقال آخر

يا خصره كم جفاه * تمدى وانت تميل
يا ردفه ملت عني * ما أنت الا بخيل

القيراطي

بدت روادف بدري * تحت الحنين لعيني

فقلت يابدر هذا * حقا خيال لحبيبي

وقال آخر

أسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت وامت للسوار نحلته * الى معصمي لما تلاقى فى خصرى

وقال آخر

بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
اقسى من الحجر الاصم فؤاده * وارق من شكوى المتيم خصره

وقال آخر

رخيمات المقال مدللات * جواعل فى الثرى قضبا جذالا
جعن خفافة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

(ومما قيل فى المعاصم) قال عمر بن ابى ربيعة

حسروا الوجوه باذرع ومعاصم * ورنوا بمقل للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت متون صوارم

(ومما قيل فى اعتدال القوام) قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مذهز عطفه * أتزعم ان اللين عندك ماثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

وقيل ليس لاحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ ما لذى الرمة حتى كأنه حضرى من اهل المدن لا من اهل الوبر وقال القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبى قم ومل يامعذبى * كميلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

وقال آخر

وحكم اعطافه * فى قتل صب ماغوى
فاعجب لعادل قده * فى النفس يحكم بالهوى

وقال آخر

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الى قصحت من الم الجوى
لم لا تميل الى ياغصن النقا * فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

(ومما قيل فى الساق) قال ذو الرمة

لم انسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كالدر او البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وقال آخر

جاءت بساق ابيض املس * كلؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

قال ابن سنقذ

بدر ولكنه قريب * ظبي ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فالاعطاف منه قيس

(ومما قيل في مشي النساء) قال بعضهم

يهززن للمشي اطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز رديني تداوله * أيدي الرجال فزاد المتن في اللين

وقال آخر

يمشين مشي قطا البطاح تأودا * قب البطون روابع الاكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة * يقلعن ارجلهن من أوحال

(ومما قيل في العناق وطيبه) لابن المعتز

ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد
كأنني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد
فلو ترانا في قميص الدجى * حسبتنا في جسد واحد

وقال آخر

ومورد نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدي وشاحا
بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال اعطافا علي ملاحا

وقال ابن المعذل

أقول وجنح الدجى مسبل * والليل في كل فج يد
ونحن ضجيعان في مسجد * فلله ما ضمنا المسجد
أياغدان كنت لي محسنا * فلا تدن من ليلتي ياغد
ويا ليلة الوصل لا تقصري * كما ليلة الهجر لا تنفد

وقال آخر

وليل رقيق الطرتين تظلمت * كواكبه من بدره المتألق
لهو نا بغزلان الصريمة تحته * تميت الهوى ما بين صدر ومرفق

وقال ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وقال ديك الجن

ومعذولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب
لها القمر الساري شقيق وانها * لتطلع احيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لانت المنى يازين كل مليحة * وأنت الهوى ادعى له فاجيب

وقال علي بن الجهم

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وادنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا والوشاق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

وقال آخر

يا ليل دم لى لا اريد براحا * حسبى بوجه معذبى مصباحا
حسبى به نورا وحسبى ريقه * خمرا وحسبى خده تفاحا
حسبى بضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق بساعد * وجعلت كفى للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم فظلنا * متعانقين فلا نريد براحا

وقال آخر

ولم أنس ضمى للحبيب على رضا * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده * تثقل فاذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول ما رأيت حميرا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى اعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ اركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

(ومما قيل فى مدح الالوان والثياب) مدح البياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم ابيض ازهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

(ومما قيل فى مدح السواد) قيل لبعضهم ما تقول فى السواد قال النور فى السواد اراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم

قالوا تعشقها سوداء قلت لهم * لون الغراب الى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندى ولو خلت الدنيا من السود

وقال اسحق الطان

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى * اذا كنت يوم الروع بالسيف اخطر

دخل ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك لعم الخليفة الاسود فقال ابراهيم نعم فقبل المأمون بين أصبعيه فقال

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * او أسود اللون انى أبيض الخلق

ثم قال يا عم أخرجنا الهزل الى الجد فأنشد ابراهيم

ليس يزرى السواد بالرجل الشيم * م ولا بالفتى الاريب الاديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبى

وقال آخر

لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب عثمال
وهام بالخال أقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء اسودناها وقال آخر

يكون الخال فى خده قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

وقال آخر

فاستحسنوا الخال فى خد فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان ابو حاتم المدنى ينشد

ومن يك مجبا ببنات كسرى * فانى مجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية انا حبة كافور وانت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وانت عدل ملح وقد قال الشاعر

احب لحبها السودان حتى * احب لحبها سود الكلاب

وقال آخر

اشبهك المسك واشبهته * فائقة فى لونه قاعده
لاشك اذ لونتكما واحد * أنكما من طينة واحده

(ومما قيل فى الصغرة) قال الشاعر

اصفراء كان الهجر منك مزاحا * ليالى كان الود منك مباحا
كأن نساء الحى مادمت فيهم * قباح فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذا الذى من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

(ومما قيل فى طول اللحية) قيل ان اللحية الطويلة غمش البراغيث ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له يا هذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يتبعان
ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لاصبح فى حافاتها الحمنان

وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية

ماشبت داود فاسضحكت من عجب * كأنه والد يمشى بمولود
ماطول داود الا طول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

وقال ابن المقفع

تاملت اسواق العراق فلم اجد * دكاكينهم الا عليها الموالیا
جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما نفضت عجف البغال الخوالیا

(ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر) قيل خرب القهندز فبرزت منه جماجم اموات

فتصدعت جمجمة فانتثرت اسنانها فوزن السن منها فكان وزنها اربعة ارطال فاتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال

اذا ما تذكرت اجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

واراد ملك الروم ان يباهي اهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين احدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا الطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

اردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود
وكي لا يقولوا ان قيس وهذه * سراويل عاد احرزتها ثمود
واني من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد فى قرنه بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه او يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرفا مغلوبين وقيل كان سلمة بن مرة الناموسي امرأ القيس بن النعمان اللخمي الملك وكان الملك سمى قصيرا مقتحما واللخمي طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس يا هذا القصير أطاق ابي فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس أنني * قصير وقد اعيا اباها قصيرها
ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

وقالوا عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى جحمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمرأة والتي يطول تحديقها تدل على الحمق والتي تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (ومما قيل فى القبح والدمامة) اراد رجل ان يكتب كتابا لبعض اصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وحشا الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره وصر ابو الاسود الدؤلي يجالس ليبقى بشير فقال بعض فتيانهم كان وجهه وجه عجوز راحت الى اهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما اخجلني قط الا امرأة عرت بي الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة اردت ان اعمل لها صورة شيطان فقلت لا ادري كيف اصوره فاتت بك الي لاصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو القذى فى عين كل ملاحظ
ولو أن مرآة جلت شكاله * ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعي رايت بدوية من احسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت يا هذه ارضين ان تكوني تحت هذا فقالت يا هذا العلم احسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه واسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي افلا أرضى بما رضي الله به وبحث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر

فقال يا حبيبي ما اراك تبخل بهذا الوجه على جهنم وقال بعضهم لرجل طلع لي دمل في أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شئ وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها احسن منه وجها فقال

لم ار وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا
فيا شقاء بلدة * احسن ما فيها انا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت اني رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لا شك في احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف اربعين سنة وقال الشاعر في رجل كبير الانف

لك وجه وفيه قطعة انف * كجدار قد أدعموه ببغله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

وقال آخر

لك أنف ذو أنوف * أنفت منه الانوف
انت في القدس تصلي * وهو في البيت يطوف

(ومما جاء في الثقلاء) قال مطيع بن اياس

قل لعباس اخينا * يا ثقيل الثقلاء
انت في الصيف سموم * وجليد في الشتاء
انت في الارض ثقيل * وثقيل في السماء

(ومما جاء في الملابس والوانها والعمائم ونحوها) قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا جمالا وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد ارخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بالف درهم ويدخل المسجد فقيل له في ذلك فقال اني اجالس ربي وقيل المروأة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل (ومما قيل في لبس السواد قول أبي قيس)

رأيتك في السواد فقلت بدرا * بدا في ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكى الى الدارمي ذلك وكان الدارمي قد نسك وتعبد فعمل بيتين وامر من يغني بهما في المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة في الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد

قد كان شعر الصلاة ازاره * حتى تعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر في المدينة ان الدارمي رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق في المدينة ملحفة الا اشترت لها خمارا اسود فلما افتقد التاجر ما كان معه رجع الدارمي الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر في لابسة الاحمر

وشمس من قضيب في كثيب * تبدت في لباس جلناري
سقتني ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جل ناري

وقال آخر في لابسة ثوب خمري

في ثوبها الخمري قد اقبلت * بوجنة حمراء كالخمر
قلت سكرا حين ابصرتها * لا تشكروا سكري من الخمر

وقال الصنوبري في لابسة الخضر

وجارية ادبتها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره
بدت في قميص لها اخضر * كما ستر الورق الجلناره
فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فابدت جوابا لطيف العباره
شقفنا مرائر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه اياك ان تلبس ما يديم الملا نظره اليك به واعلم ان الوشي لا يلبسه الا احمق او ملك وعليك بالبياض وقيل لباس الخلفاء الاستبرق الطويل بقائه ولباس المترفين السندس اقل بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسط بقائه وقال بعض الامراء لحاجبه ادخل علي عاقلا فاتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء والملبوس في الحر والجديد في البرد وقيل كان لابرويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت القاها في النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة وسراويل مجوهر ومنكة من اثاب الرمرد وقيل الاقبية لباس القوس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر اشكل والحمر اجمل والخضر اقبل والسود اهول والبيض افضل وقال افلاطون الصبغ الشقائق والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتي والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شيء راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة بروداً كانها نسجت بانواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها

(ومما قيل فيمن نزل لبسه وعرف نفسه) قال الاصمعي رأيت اعرابيا فاستنشدته فانشدني ابياتا وروى اخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

أأخي ان الحادثا * ت عركتني عرك الاديم
لا تنكرن ان قد ريـ * ـشت اخالك في طمري عديم

ان كان ثوابي رثا * ث فانهن على كريم

قال بعضهم وقيل للشافعي رحمه الله

على ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن اكثرا

وفي من نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أجل واكبرا

وماضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته يرى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فانشده

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفي اثوابه اسد هصور

ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير

لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير

يصرفه الصبي بغير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير

وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا عار عليه ولا نكير

فان ألف في شرار كموقليلا * فاني في خيار كم كثير

ويقال كل ماتشتهيه نفسك والبس ماتشتهيه الناس وقد نظمه من قال

أن العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس

اما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفي هذا القدر كفاية والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب والتطيب وما اشبه ذلك)

(ماجاء في التختم) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض عليها الصلاة والسلام والخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية رضي الله عنه الى اليسار وأخذ الامويون بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقي الى أيام الرشيد رضي الله عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب احدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بالف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا مابعت خاتمك بالف دينار وجعلتها في بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم علي رضي الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابي نواس خاتمان احدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك اعظما

والآخر حديد صيني عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا واوصى عند موته ان يغسل الفص ويجعل في فيه قال جعفر بن محمد رضي الله عنه ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم اربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصيني للحرز

وقيل للخوف والله أعلم

(ذكر ما جاء في الحلي) قيل ان قرطي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية كان فيهما درتان كبيضتي الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما وقال محمد يعني يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كمي كانت للراقشة جارية خالد بن عبد الله القسري اشترتها بثلاثة وسبعين الف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب فدخلت عليهما فقال اكتب معك بوزنهما فقلت يا امير المؤمنين هما اعظم من ان يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضي الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة الف دينار فقسمته بين ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنين ملكه زيدت في تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

(ذكر ما جاء في الطيب والتطيب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الطيب المسك وعن عائشة رضي الله عنها قالت كأني انظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد رفعه ان في الجنة تارجي من مسك مثل حراجي دوابكم هذه وعن انس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وعن عمر رضي الله عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطر ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

واهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم انفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن سليمان بن خارجة من اخته هند بنت اسماء فقال علميني كيف تصنعين طيبك فقالت لا افعل تريدان تعلمه جواريك هو لك متى كلما اردته ثم قالت والله اني ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

اطيب الطيب عرف ام ابان * فارمسك بعنبر مسحوق

قال ابو قلابة كان ابن مسعود رضي الله عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن ابيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنه يطلي جسده فاذا مر في الطريق قال الناس أمر ابن عباس ام مر المسك وعنه عن ابيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنهما حين أحرم والغالية على صدغه كأنها الرقة وقال ابو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك ما لو كان لي لكان رأس مالي وقيل لبعض بني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بفاطمة بنت عبد الملك اسرج في مسارجه ثلاث الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله وجهه تشمموا النرجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا النرجس وكان الشعبي يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل ان يمسوا الحاهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرفا طيبا قيل ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب

الطاهر صلى الله عليه وسلم وما احسن ماقيل

اذا لم أطب فى طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل ان قارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا صادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها فى الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لايرام نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فأرات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) ان العنبر ياتى على طفاوة الماء لايدرى احد معدنه فلا يأكله شئ الا مات ولا يقربه طائر الا بقى منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا تصلت اظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا اظفارا فيه وقال الزمخشرى عنا الله عنه سمعت ناسا من اهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب واجود العنبر الاشهب ثم الازرق وادونه الاسود وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى العنبر زكاة انما هو شئ ثمرة البحر واما العود فأجوده الهندى وهو منسوب الى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصليه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه أن رائحته تطبع فى الثوب اسبوعا فلا يقسل مادامت فيه وأما الكافور فهو ماشجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار واما النشا فصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان

لو كنت اجعل جراحين زرتكم * لم ينكر الكلب أنى صاحب الدار

لكن اتيت وريح المسك يقدمنى * والعنبر النذ منسوب على النار

وكانت ملوك الفرس تامر برفع الطيب ايام الورد وكان المتوكل يلبس ايام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد فى مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد * وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين ثلاثة وامهات الطيب ثلاثة فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام * وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاترد وا الطيب فانه طيب الريح خفيف المحمل * تبخر بعض الامراء وعنده أعرابى ففرطت من الامير ريح خفيفة فاراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابى أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيى القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ماشممت أنفى من ريح مسك شممته من الناس الا ريح كفك اطيب فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثامن والاربعون فى الشباب والصحة والعافية واخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول) *

(الفصل الاول فى الشباب وفضله) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتى العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم

وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضى الله عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن اسيد ولاه مكة وهما كابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش اوائله كان اطيب الثمار بواكيرها والشباب ابلغ الشفعاء عند النساء واكثر الوسائل للمحبوبين ولذلك قال الشاعر

أحلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان اشبههم بمن خدودا

وما بكت العرب على شئ ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حبيبا لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله فى جنات خالدة شاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جرد امرد أبناء ثلاثين وقد جاء فى ذلك اشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

(الفصل الثانى فى الشباب وفضله) اول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفى الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نورى وأنا استحى ان احرق نورى بنارى وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال جاء رجلان الى النبى صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه السلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبيرا لكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتى وجلالى وقاقة خلقى انى لأستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الاسلام أن اعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكى ممن يستحى الله منه وهو لا يستحى من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه اسير الله فى الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان اصغر من مات من ولد آدم ابن مائتى سنة فبكنه الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعى كان يقال اذا بلغ الرجل اربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضى الله عنهما ارفعه من اتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضى الله عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه السلام يا اطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل فى بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثانى ويقال أطع اكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشئ الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبى الشيب عله لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للظبا * وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينقص فى الشباب كأنه * ليل يصيح بعارضيه نهار

وقال ابو دلف فى بياض اللحية

تكوننى هم لبيضاء نابته * لها بغضة فى مضمر القلب ثابته
ومن عجب انى اذا رمت قصها * قصصت سواها وهى تضحك نابته

وقال أيضا

أرى شيب الرجال من الغوانى * بمبلغ شيبهن من الرجال

وقال ابن المعتز

فظللت أطلب وصلها بتدلل * والشيب يغمزها بان لا تفعلى

قيل صاح شاب بشيخ احدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يا بنى انى اعطيتها بغير ثمن ومر رجل اشمط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال يا هذه ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فاعلمينا فقالت كأنك تخطبنى قال نعم فقالت ان فىّ عيبا قال وما هو قالت شيب فى رأسى فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت فى رأسى شعرة بيضاء ولكننى احببت ان اعلمك انى اكره منك مثل ما تكره منى فانشد ويقال انه لابن المعتز

راين الغوانى الشيب لاح بمفرقى * فاعرضن عنى بالخدود النواضر

وقال آخر

سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذا مال وذا نعم
فاعرضت وتولت وهى قائلة * لا والذى أوجد الاشياء من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من ارب * أفى الحياة يكون القطن حشو فمى

وقال آخر

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل فى * معادن الطيب امر غير ممتهن
قالت صدقت وما أنكرت ذاك بذا * المسك للشم والكافور للكفن

وقال آخر

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وقال ابن نباتة

تبسم الشيب بوجه الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وقال ابن المعتز

فما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وخصافي الرأس مني فراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب في السواد لوامع * فيا حسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال في الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب

وقال آخر

الا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

وقال العتبي

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال علي بن ربيع

كبرت ودق العظم مني وعقني * بني وزالت عن فراشي العقائد
واصبحت اعشى اخبط الارض بالعصا * يتودني بين البيوت الولائد

وقال آخر

عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
وقمت على الشباب بدمع عيني * فما نفع البكاء ولا النحيب
فيا ليت الشباب يعود يوما * فاخبره بما فعل المشيب

وقال ابن النقيب

وكم كان من عين علي وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظوني واكتفوا بشيبي

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ما شبهت الشباب الا كشئ كان في كمي فسقط قال الشاعر

شباب لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وقال الجاحظ

اترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت في زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

(ومما جاء في الخضاب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب لنسائكم وعن ابي عامر الانصاري رضي الله عنه رأيت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفي البصر ويذهب بالصداع ويزيد في الباه (بيت)

تسود اعلاها وتابى اصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذي يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما احسن هذا الوداع فقال

ولوداع لي هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولابد من موت نبيلة او هرم

وقال

وقال آخر

يا خاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا نضا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريـ * ـد فلن يعود كما تريد

وقال محمود الوراق

فما منك الشباب ولست منه * اذا ما منك لحيتك الخضابا

(الفصل الثالث فى العافية والصحة) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الأمانى يا صاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله عنهما يسأل الله العباد عن الابدان والاسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضى الله عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البحر لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

اذا ما كسانا الدهر سربال صحة * ولم نخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء فى شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت ارى نعمة كثيرة وبلاء شديدا ألا وان العافية والفقر احب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية وكان عند رومى خنزير فربطه الى اسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه اتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له يا بنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى ان يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينفخ فهرب الجحش واتى الى امه واخرج لها اسنانه وقال ويحك يا أماه انظرى هل بقى فى خلال اسنانى شئ من ذلك العلف فاقلعيه فما احسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب

(الفصل الرابع فى اخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام) قال الحسن رضى

الله عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال أطولكم أعمارا فى الاسلام اذا سددوا وزعموا أن تبعا الفزارى كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بنى امية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة فى فترة عيسى بن مريم عليه السلام فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال له اخبرنى عما رأيت فى سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة فى اثر ليلة ويوما فى اثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع وبين قوى يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحى يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزى ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا وذكر ان لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش اكثم بن صيفى ثلثمائة وستين سنة وادرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادى سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدى بن حاتم الطائى وزهير بن جنادة عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذرى عاش مائتين وعشرين سنة وهو احد حكماء العرب فى الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معديكرب الزبيدى ومن المعمرين عبد المسيح ابن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وادرك الاسلام * وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وان امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه ما لم أر من بعض شبان هذا العصر فى القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من ولده وذلك فى صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)

فاشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يرن ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفى أولها بسم الله الرحمن الرحيم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتي يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم في الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت في كفة الميزان ووضعت سيآت الخلق في كفة لرجحت كفة الاسماء (وأما) الاسماء والكنى ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة * وينبغي أن تنادي من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخي يا فقير يا سيدي يا صاحب الثوب الفلاني أو البغل الفلاني أو الفرس الفلاني أو السيف الفلاني وما أشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شيء ان أجبتني عنه ابتداء من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شيء له اسم ولا كنية له وعن شيء له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذو النورين رضي الله عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين في الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بام كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزوج بابنتي نبي غيره وكان قتادة بن النعمان الانصاري رضي الله عنه أصيب في عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الاخرى فكانت تعمل أي ترمد عينه الباقية ولا تعمل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضي الله عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها في حجري فالعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف في اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبي رضي الله عنه كنية الدجال أبو يوسف * ذو الشهرة أبو دجانة الانصاري رضي الله عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين * ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولي رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتي فيه اللسان
لك دولتان حديثة * وقديمة ورياستان
لك في الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنـ * ـت فصرت في هذا المكان

فامر له بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ونعيم ابن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم في خلوق ثم تحالفوا * شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت في رأسه حين ولد فقال حذاقة

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به في سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذي وراءك فيقول عبدي * سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه اسمه عبد الله ولقباه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أولانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سيدنا عمر رضي الله عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل * الكامل سعد بن عبادة رضي الله عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمي والعوم * طلحة بن عبد الله رضي الله عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه رشيح الحجر وأبو ذباب عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره * عكة العسل سعيد ابن العاص رضي الله عنه الحبر عبد الله بن عباس رضي الله عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر * الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان ماثل الشدق الفياض عكرمة بن ربعي لقب بذلك لسخائه المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعي قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة * راح يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب * واصل الغزال كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين وكان يتبع الجنائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا * سليمان التيمي كان داره ومسجده في بني تيم ولم يكن منهم وهو شيباني أبو عمرو الشيباني لم يكن من بني شيبان وانما كان يعلم يزيد بن يزيد الشيباني * اليزيدي كان يعلم يزيد بن منصور الحميري فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الامم الا للعرب وهي مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسوأة اللقب

وقيل في قوله تعالى فقولا له قولا لينا أي كنياه ولما ضرب موسى عليه السلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضي الله عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالاعمش والاعمى والاعرج والاحول والافطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل في الامم كلها يجري في المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط في ذلك فما العذر في تلقيب من ليس من الدين في دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتوم على ما يضاد الدين وينافي كمال الدين وشرف الاسلام وهي لعمر الله الغصة التي لا تساغ والغبن الذي يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وان يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم ولده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه أبو تراب وذلك انه نام في غزوة ذي العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ في التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبي لهب لحمرة خديه ولونه وقال الزمخشري رحمه الله تعالى رسمتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبي الرأس

وأبي العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البصرة يكنون باسماء بناتهم كابي زهو وأبي سلطانة وأبي ليلى ونحو ذلك ولا حرج في ذلك وقد تكنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبي فلانة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الداري وأبو كريمة المقداد بن معديكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله عليهم أجمعين أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لانس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير ونظر المأمون الى غلام حسن في الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدري فقال

تسميت لا أدري فانك لا تدري * بما فعل الحب المبرح في صدري

وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضر معهم من كان اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه في مشورتهم الا كان خيرا لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا قدس الله ذلك المنزل في كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما) جاء في مدح الاسماء منظوما قال بعضهم في مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبي في المنام معانقي * وذلك للمهجور مرتبة علما
وقد رق لي من بعد هجر وقسوة * وما ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

وفيه أيضا

لازال يابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادي في البقاع بأسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

وفيه أيضا

ياسعي الخليل ان فؤادي * فيه من لوعة الغرام جحيم
وعجيب يا قاتلي ان قلبي * فيه نار وأنت فيه مقيم

ولبعضهم في مليح اسمه عمر

يا أعدل الناس لما كم تجور علي * فؤاد مضنى بالهجران والبين
أظنهم سرقوا القاف من قسر * وأبدلوها بعين خيفة العين

وفيه أيضا

ما عليهم في الهوى لو نظروا * حين سموه فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ما أنت الا قمر

ولبعضهم في مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان

وافى الي بشمعة وضاؤها * وضياؤه حكيا النسا القمرين
ناديته ما الاسم يا كل المنى * فأجابني عثمان ذو النورين

ولبعضهم في مليح اسمه يوسف

يا من سبى الشعراء ثم عذاره * النجم يشهد لي بأني صادق

صيرت قلبي من صدودك فاطرا * فامنن علي بزورة يا يوسف

للصفي الحلي فيمن اسمه داود

وثقت بان قلبي من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

وله فيمن اسمه موسى

أتى موسى بآية خال خدّ * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض في سواد * وآية ذا سواد في بياض
فجاء بضدها فاقد جاء موسى * كليم الله في الحقب الماضي

وللقيراطي في مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق في حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

ولمؤلفه رحمه الله في قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني

وعظ الانام امامنا الحبر الذي * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفي ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور في ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزري بكل جميل
فلا خير في بلتاج ان لم يكن بها * ولا خير في الدنيا بغير خليل

وقال آخر في مقبل

يا من تحجب عن محب صادق * ما زال عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

ولبعضهم في مليح اسمه محسن

وأهيف زاد علو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو الحبيب محسن * وكم دموع في الهوى اسالها

صفي الدين الحلي في اسم حسين

حبيبي وافر الشوق مني * طويل والهوى عندي مديد
وأعجب اني أهوى حسينا * وشوقي في محبته يزيد

(ومما قيل في أسماء النساء) في فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل * لم ترتجى الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهي بشوقي والجوى عالمه

ابن مكانس في اسم عائشة

يا دهر خبرني بحق الله واشفني * فسهام فكري في أمورك طائشه
أيحل اني في المحبة ميت * وحبيبتي من بعد موتي عائشه

شمس الدين البديرى فى اسم حليمة

ولما رأتنى فى هواها متيما * أكابد من حر الغرام اليمه
تجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدرى الجور وهى حليمه

ولبعضهم فى اسم بركة دويبت

لما نصب الهوى لقلبى شركه * ناديت وقلبى نار لى من تركه
ياقلب أفق ولا تمل للشركه * تغنيك سنين بن ساعة من بركه

مردوف أيضا

لما نصب الهوى لقلبى شركه * فى كل طريق
ناديت وقلبى نار لى من تركه * لو كان يفيق
ياقلب أفق ولا تمل للشركه * ما الشرك يليق
تغنيك سنين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه

(أما ما جاء فى الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان) فقد قال الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا الآية وفى الاثر سافروا تغنموا وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن اخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا خلنى أمضى لشأنى ولا أكن * على الاهل كلا ان ذا لشديد
تمينى ريب المنون ولم أكن * لأهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسى * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعنى أجول الارض عمرى لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل فى غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة فى ركب فليؤمروا أحدهم (وقيل) أغار حديقة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار فى ليلة مسافة تمانى ليال فضرب به المثل وقال قيس ابن الخطيم

همهنا بالاقامة ثم سرنا * مسير حديقة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله عنه من مكة الى المدينة فى يوم وليلة وقال المأمون لا شئ ألذ من السفر فى كفاية وعافية لانك تحل كل يوم فى محلة لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (وما قيل فى

ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفى الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

وقال آخر

وما هى الا بلدة مثل بلدتى * خيارهما ما كان عونا على دهرى

وقال آخر

واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا * فى بلدة تدع العزيز ذليلا

وقال الصفى الحلى

تنقل فلذات الهوى فى التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

ففى الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدى بمضلل

وقال عبد الله الجعدى

فان تجف عنى أو تزرنى اهانة * أجد عنك فى الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل فى الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا فى قوله فعلت ما لم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول

قليل الموالى مسلم بجزيرة * له بعد نومات العيون اليل

يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل

بأكبر منى لوعة يوم راعنى * فراق حبيبى ما اليه سبيل

وقال الشاعر

وما أم خشف طول يوم وليلة * ببلعقة بيداء ظمآن صاديا

تهيم ولا تدرى الى أين تبتغى * مولهة حزنا تجوز الفيافيا

أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا

اذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فألفته ملهوف الجوانح طاويا

بأوجع منى يوم شدوا حمولهم * ونادى منادى البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لى المهدى يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله باك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا

ما كان والله شؤم الدهر يتركنى * حتى يجرعنى من بعدهم جرعا

ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى

فليصنع الدهر بى ما شاء مجتهدا * فلا زيادة شئ فوق ما صنعا

فقال والله لاعينك فأعطاه عشرة آلاف دينار وقال آخر

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا
انى خشيت على الاظعان من نفسى * ومن دموعى احراقا واغراقا

وقال عمر بن أحمد

أتى الرحيل فحين جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر يرمينا به وقال ألمثلى يقال أحسنت ففررنا منه فقال أقسمت عليكم الا ما رجعتم حتى أنشدكم فان انا أحسنت فقولوا احسنت وان أنا اسأت فقولوا اسأت فرجعنا اليه فانشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * يرنو الىّ ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان زانه عنم * ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
يا حادى العيس عرّج كى أودعهم * يا حادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودّتهم * يا ليت شعرى لطول البعد ما فعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بأن القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له * يا راهب الدير هل مرت بك الابل
فحنّ لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يا فتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى رحمه الله تعالى

ما رحلوا يوم ساروا البزل العبسا * الا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدرّ بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى حجر ادريسا
اسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها للذكر ناوسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطاريقا شماميسا
ناديت اذ رحلوا للبين ناقتها * يا حادى العيس لا تحدو بها العيسا
غيبت اجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهمو * والوجد فى القلب لا ينفك مغروسا

وقال آخر

ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع

أشارت باطراف البنان ودعت * وأومت بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها والله ما من مسافر * يسير ويدرى ما به الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهى كن عليه خليفة * فيارب ما خابت لديك الودائع

وقال آخر

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقيانك اتفق
ما أنصفتك دموعى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

وقال البغدادى

قالت وقد نالها لبين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبى فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأننى يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

وقال ابن البديرى

قفا حاديا ليلى فانى واثق * ولا تعجلا يوما على من يفارق
وزما مطايا هاقبيل مسيرها * ليلتذ منها بالتزود عاشق
ولا تزجرا بالسوق اظعان عيسها * فان حبيبى للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا فى التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يحجب بيننا * تسارقنى فى نظرة وأسارق
فلا تسألا ما حال بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

وقال أيضا

تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خلايات بلقع
يكبت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالى للمنايا تشرع
وخالفت لوّامى عليها وعذلى * وخالفت سهدى والخليون هجع
ولم أستطع يوم النوى رد عبرة * فؤادى أسى من حرها يتقطع
فقال خليلى اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتى ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

وقال آخر

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادى

وقال آخر

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفى وقلبى دامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة * كأنى سحاب والوشاة بروق

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

يا سادة فى سويد القلب مسكنهم * وفى منامى أرى أنى اعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو * يامن يعز علينا أن نفارقهم

وقال آخر

لو أن مالك عالم بذوى الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ماعذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

وقال ابن الوردى

دهرنا أضحى ضنينا * باللقاحتى ضنينا
ياليالى الوصل عودى * جميعنا أجمعينا

وقال الشريف الرضى

عللانى بذكرهم واسقيانى * وامزجا لى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر عند ذلك

قالوا أترقد اذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ماحق طرف هدانى نحو حسنكمو * أنى أعذبه بالدمع والسهر

وقال الموصلى

قد طال ليلى بعادكم أحلامنا * رعة ولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل فى البكاء قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لى بهجوع
والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

وقال آخر

ارحم رحمت لوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لاتسل * عن حالها يا ما جرى

وقال آخر

ان عينى مذغاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الفوادى * لاتسل ماجرى على الخد منها

وقال آخر

ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وأنت يادمع ان ظهرت بما * أخفيه من قلبى سقطت من عينى

وقال آخر

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما غدا كالبحر سرعة سيره
فجبسته لاصون سرهوا كمو * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقال ابن المواز

رحت يوم الفراق أجرى دموعى * حسرة اذ قضى الفراق بينى
قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عينى

وقال آخر

لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
أجريت وقف مدامعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وقال آخر

ولم أر مثلى غار من طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه معى
ومازلت أبكى فى دجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

وقال الموصلى

عين أفاضت دموعى * لطول صد وبين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلى بعينى

وقال آخر

وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفى بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادى أن ابتليتهم بفراق الاحبة (ومما جاء فى الحنين الى الوطن) اما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى ان أبان قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضى الله عنه

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة (ومن حب الوطن ما حكى) أن سيدنا يوسف عليه السلام أوصى بأن يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام واهلك الله تعالى فرعون لعنه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته فى تابوت من ذهب الى بلاد الروم حيا لوطنه واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهى قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فاتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر فى زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه فى جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفتها على كل حالة * وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن
ونستعذب الارض التى لا هوا بها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان فى نهاونذ أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد

وقال

وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد ولاه على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول ببغداد حاضرة الدنيا وماسواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله في أرضه والسلام (وعما جاء في ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يارب فارددنا على خير الحضر

وقيل لاعرابي ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومر اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابي السفر فقال لامرأته

عدي السنين لغيبتي وتصبري * وذري الشهور فانهن قصار

فاجابته

فاذكرصبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بنا انك انهن صغار

فاقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز ببغيته

وقال ابن الهيثم

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية * وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي والخمسون في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه)

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا * وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروأة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروأته ومن فقد مروأته مقت ومن مقت ازدري به ومن صار كذلك كان كالميت عليه لاله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفي الحديث لاخير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغني به عن خلق ربه وقال علي كرم الله وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لاتلمني اذا وقيت الاواقي * بالاواقي لماء وجهي واقي

وقال لقمان لابنه يابني أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه أو دعاه فلم يجبه أو تضرع اليه فلم يكشف ما به وكان العباس رضي الله عنه يقول الناس اصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء * وأرفع من السماء * وأحلى من الشهد * وأذكى من الورد * خطؤه صواب * وسيآته حسنات * وقوله مقبول * يرفع مجلسه * ولا يمل حديثه * والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب * وأثقل من

الرصاص لايسلم عليه ان قدم ولايسئل عنه ان غاب * ان حضر ازدروه * وان غاب شتموه * وان غضب صفعوه * مصاحفه تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة * وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك مالا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقرمن قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر قرينا أغلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل مايذل القوى ويكسر فلم أر شيأ أذل له ولا أكسر من الفاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل مايلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

وقال آخر

المال يرفع سفلنا الاعمادله * والفقر يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر

جروح الليالي مالهن طبيب * وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء في حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب
ومن يغتر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وماضر في ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

وقال آخر

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

وقال آخر

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

وقال آخر

اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

وقال ابن الاحنف

يعنى الفقير وكل شئ ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لايرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

وقال آخر

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان في قومه * اذا بلى بالفقر الا غريب

وقال آخر

ان الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة * وهي السلاح لمن أراد قتالا

وقال آخر

ما الناس الامع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لايشتهي وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لايحب المال فهو عندي كذاب

وقال الكناني

أصبحت الدنيا الناعبرة * فالحمد لله على ذلكا
قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وقال الزمخشري

واذا رأيت صعوبة في مطلب * فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه * سخر يلين قوة الاحجار

قال الثوري رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب الي من أن احتاج الى لئيم وفي هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل
وان يقولوا باخل بالعطا * فالبخل خير من سؤال البخيل
واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

(وأما ما جاء في الاحتراز على الاموال) فقد قالوا ينبغي لصاحب المال ان يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمحترفين الموهمين والمتنسمين (فأما المطمعون) فهم الذين يتلقون اصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ما قد رواعليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال في معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة في معيشته ثم يشي معه في الحديث الى أن يقول اني فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره في المستقبل ان لم تتداركه بالمكاسب وغرضي التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من المتجر بشرط أن لا أضع يدي لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له في صفقة الناصحين الشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة انه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشئ اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال فابجحه وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رأيي فان رضي صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه بقية المال وثيقة فلا يستوفي ما فيها الا في الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول ان يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول به فان حصل لصاحب المال أدنى ريح أوهمه ان مفاتيح الارزاق بيده وان كساد المشترى أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب أن يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شئ من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم

يبلونهم خبرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بأن ما يطلبهم الى ذلك الا عدم الامكان وتعذر المكان فمنهم من يكون شوقه الى أن يدخل الى مكان ويترك عنده عدة لها قيمة فيأخذها ويتسحب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهي الى مدة فيمتنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية وسبيله بعد ذلك ان كان معروفا فال فسد على العمل من جهة كيت وكيت ويقول للذي يتفق عليه هل لك في المعاودة فان حاله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأي سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا ومن المطمعين قوم يجعلون في الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى اصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة متصنعة ويقولون نريد أن تأخذ لنا عدة وتتفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن يتفق عليهم ما شاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطامعة في قماشه أو في العدة التي معه فربما قتلوه هناك لاجل ذلك وضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطمون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غررا وذلك انهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط في جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ وزنه من عنده سرا حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وأمانته وتجح مساعيه وكذلك ان نديه لشئ يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يغير الحال الاول في الباطن فينبغي لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوي الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويعتقدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر في ذهن صاحب المال انه يكتسب في كل سنة الجمل الكثيرة من المال والله لا يبالي اذا أنفق أو اكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يا فلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركني في متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان بعزعلك اخراج الدينار وتظن أنك ان أظهرته خطف منك ولا تدري انه مثل البازي ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصد شيأ واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندي علم أنك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل في المستأنف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيطلب تسليمه فيزداد في رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتنسكون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوي الاموال بالبشر والاكرام والتلطف في المقال ويمشون الى أبواب الملوك على صفة التهاني بالاعياد وربما يأتي معه باحد من الاولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم ان تودع

عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك ان شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاحتراز منهم وتشبيه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان امله * حتى حواه فاصلى ولا صاما

وقيل لافقير افقر من غني يأمن الفقر قال الشاعر

الم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يا بني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمي أهوج وان كان مؤثرا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا قال ابن كثير

الناس اتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم
المال زين ومن تلت دراهمه * حي كمن مات الا انه صنم
لما رأيت اخلائي وخالصتي * والكل مستترعني ومحتشم
أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزير البعض الخلفاء فزور عنه يهودي كتابا الى بلاد الكفار وضمنه أمورا من اسرار الدولة ثم تحيل اليهودي الى أن أوصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة خطية هو يت هذا اليهودي فأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذي كان في الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يد ابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفي موكبه كل من في الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية في أثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودي والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره بقول

تحالف الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا
عادا لي الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المرضون عني * عودوا فقد عاد لي الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود
كم كريم ازرى به الدهر يوما * ولئيم تسمى اليه الوفود

والاطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمسالق التي يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

واعلم أن القلب عمود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (حكى) ان ملكا راى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر فتخطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره فحادثه فى ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يا بنى شيآن اذا أنت حفظتهما لا تبالى بما صنعت بعدهما دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا فمن ذلك ما حكى عن أحمد بن طولون انه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب فلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس * ولنذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالعجائب والطرف أن أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف باخبار مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس انا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لا تبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله بن زياد ببخارى فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى أعجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارى فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدور ذهب ينزل اليها بسلالم ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت أحمر وقال له انج به وكان قد قوم ذلك الفص بألف ألف درهم فاخذه زياد ورضه بين حجرين قال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لا بل الى رجل قدم عندنا يدا وأولانا جميلا ادع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه ولما صار موجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعد له من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك

هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر الف قميص وثنى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لماج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر الف ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء الا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين ولما قتل الافضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين اردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها سمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوأة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرد وألف خريطة مملوأة دراهم خارجا عن الادراب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء ما لا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما ملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرد وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوأة من الحبوب ما لا يحصى ولما احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضربه فضرط فضحكوا عليه فكسروه واستهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه أنه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

فضمنت أنا هذا البيت وقلت

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال

وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام أو حلال

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه)

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله

عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبيل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الاغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا لا يملك ماله ولا لاهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير مخمول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفى الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكة أدنوا الى أحبائى فتقول الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى مازويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن ليكرامتكم تمتعوا بالنظر الى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمرهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتطلع فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت لعل رجلك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فاخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال أنفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر همى مما لا كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابى ودابة أحسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

وقال

وقال عبد الله بن طاهر

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى
فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ ينال به فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويلان لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره ولما فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى أى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها
اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال آخر

ولا ترهبن الفقر ما عشت فى غد * لكل غد رزق من الله وارد

وقال هرون بن جعفر الطالبى

بوعدت همتى وقورب مالى * فقعا لى مقصر عن مقالى
ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع * وهو من بين ما اكتسوا سربالى
ولقد تعلم الحوادث أنى * ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده الا تواضعا فما أحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد)

روى الامام مالك فى الموطا عن زيد بن أسلم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا وأتى اعرابى على على رضى الله عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح فى بيتى شئ فضل عن قوتى فولى الاعرابى وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفى بين يديك يوم القيامة فبكى على رضى الله عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتنى بدرعى الفلانية فدفعها الى الاعرابى وقال لا تخدعن عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرنى ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله منى ذلك وانه يسألنى عن موقف هذا بين يدى وقال على رضى الله عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية ابسط من لسانى بالمسئلة فقال لحاجبه ادفع اليه ألف دينار وسأل رجل الحسن رضى الله عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتى انى أتيتك عام أول فبررتنى فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع ولما وفد المهدى من الرى الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وقر
لتصلين على النبى محمد * ولتملان دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك وأمر ببدرة فصبت فى حجره وسمع الرشيد اعرابية بمكة تقول

طحنتنا كلا كل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام
فاتينا كمو نمد أكفا * لالتقام من زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى الا ما دفعتم اليها صدقاتكم فالقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وملؤا حجرها دراهم ودنانير وسأل اعرابى بمكة وأحسن فى سؤاله فقال أخ فى الله وجار فى بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان * تتهيأ صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن على رضى الله عنه قال يا كميل مر اهلك أن يروحوا فى كسب المكارم ويدلجوا فى حاجة من هو نائم فوالذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم وربما ذبح العناق اذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمتم ما جعل أبو عقيل على نفسه فاعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بنى عقيل
طويل الباع أبلج جعفرى * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعبرى بما نواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنتا له خماسية وقال يا بنية انى تركت قول الشعر فاجيبى الامير عنى فقالت

اذا هبت رياح بنى عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا
طويل الباع أبلج عبشمى * أعان على مروأته لبيدا
بامثال الهضاب كان رعيا * عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد * وظنى فى ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد احسنت والله يا بنية لولا انك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان الملوك لا يستحيا منهم

فى المسئلة فقال والله لانت فى هذا أشعر منى وقد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فانشده

والله ما ندرى اذا ما فاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد * أحدا سوالك للمكارم يضرب
فاصبر لعادتك التى عودتنا * أولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى اينازعنى وان الطيا يمنعنى فامر له بالف دينار وقال والله لو قلت حتى تنقد بيوت الاموال لاعطيتك وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه وروى أن أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال اعطوه غلاما قال وجارية تطبخ لنا الصيد وتطعمنا منه قال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولابد لهم من دار يسكنونها قال اعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد أقطعتك يا أمير المؤمنين ما لا ضيعة عامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال احملوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية ويجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون انه قال ليحيى بن اكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما فى الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصبة له فأمون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الارض صريعا فاخر يضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به ويتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ولانت على رد مالم تفعل أقدر من رد ما قد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على ما قلت فاعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لاوقفتك الا وأنا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضرانى ثم أنشد يقول

ما جاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عقا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهى تستعر

وقيل ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الاول العديم لا يكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل اقدمانى عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع أمانهم فمرة وأما لا فرب يحه فلما قرأها كسرى دفع له

فى كل سطر الف دينار (وحكى) ان رجلا كان جارا لابن عبيد الله فاصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد فى طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لى على ابن عبيد الله دينا ومعى به اشهاد على شرعى فخذى الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأ أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكى
من لى اذا غبت فى ذا المحل قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاكى

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى ان قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) ان مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك الف وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عند معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثناء من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى * ومالى كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن ضحك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا انى جعلتك ناسيا * لامرى ولا انى أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

وقال آخر

ماذا أقول اذا رجعت وقيل لى * ماذا الفيت من الجواد الافضل
ان قلت اعطانى كذبت وان اقل * بخل الجواد بماله لم يجمل
فاخترلنفسك ما اقول فانى * لابد اخبرهم وان لم أسئل

وقال آخر

لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه * يا نائما من جملة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتى * ام فى المعاد تجود بالانعام

ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى ذم السؤال والنهى عنه روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا ايدينا وكنا حديثى عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام يا رسول الله نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهى ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط احدهم فما يسأل احدا يناوله اياه رواه

مسلم وقال رجل لابنه اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه وكان لقمان يقول لولده يا بنى اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لأن تدخل يدك فى فم التنين الى المرفق خير لك من أن تبسطها الى غنى قد نشأ فى الفقر وقيل لاعرابى ما السقم الذى لا يبرأ والجرح الذى لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو محلم السعدى

اذا ما رماك الدهر فى الضيق فانتجع * قديم الغنى فى الناس انك حامده
ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتى رجلا فيسأله اعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

وقال أحمد الانبارى

لموت الفتى خير من البخل للغنى * وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شئ لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

وقال سلم الخاسر

اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفى هذا المعنى قيل

لا تسألن بنى آدم حاجة * وسل الذى ابوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسئل يغضب

وقال محمود الوراق

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * ياذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد

وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده * سؤالا لمخلوق فليس بنابه
اذا مات من يرجى فمقصودنا الذى * ترجينه باق فلوذى ببابه

وقال بعض أهل الفضل

لما افتقرت لصحبى ما وجدتهمو * لجأت لله لبانى واغنانى
واها على بذل وجهى للورى سفها * فلو بذلت الى مولاى والانى

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردنى ردا أقبح من

خلقته وسأل عروة مصعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا ينزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لاشئ أوجع للاخيار من الوقوف ببابب الاشرار وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل ملء ردائه
فجردت من غمد القناعة صارما * قطعت رجائي منهم بذبابه
فلا ذا يراني واقفا في طريقه * ولا ذا يراني قاعدا عند بابه
غنيّ بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به
اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا * ويلج عتوّا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ناظما متردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو في غفلاته * أتاحت صروف الحادثات ببابه
فاصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقي في كتابه
وجوزي بالامر الذي كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

وقال آخر

لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فانه * ما صان عرضك لا يقال قليل
من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهه ممطول
وأخوك من وفرت ما في كفه * ومتى علقت به فانت ثقيل

وقال آخر

ليس جودا أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير الجواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

وقال آخر

لا تحسبن الموت موت البلا * انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك الذل السؤال

وقال الشافعي رضي الله عنه

قنعت بالقوت من زماني * ووصنت نفسي عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا * فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالي اذا جفاني
ومن رآني بعين نقص * رأيته بالتي رآني
ومن رآني بعين تم * رأيته كامل المعاني

والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال

صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها * وفي الاثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر * ومن الامثال اذا قدمت من سفر فأهد لاهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقي المحذور بمثل الهدية وأتى فتح الموصلي بهدية وهي خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة ورده فكأنما رده على الله تعالى واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردها فقال يا عمر لم رددت هديتي فقال رضي الله عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما الذي كان عن ظهر مسئلة فاما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك * وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال في نشر المهاداة طي المعاداة

(ذكر انواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها)

اهدى الى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية أشياء متباينة في يوم واحد فيلة من ملك الهند وجارية من ملك الترك وفرس من ملك العرب وجوهرة من ملك الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد وأهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم في الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائتا فروة سمور وأهدت قطر الندى الى المعتضد بالله في يوم نيروز في سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب في عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة في عشرة منها مشام صندل زنتها ثمانية وثلاثون رطلا وخمس خلع وشي قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلي فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندي وأربعة آلاف ألف درهم * وأهدت تريابت الاوباري ملكة افرنجة وما والاها الى المكتفي بالله في سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقليا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب كبارا لا نظير لها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كالون قوس قزح يتلون في كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الاطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت

صبيا حاضنكرا وصفقت باجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد ثبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما بجميع خلقتها وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فانفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب * بهذا الجام من هذا الطلاء
فينعم للتى قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه اعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين * وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سموقدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل فارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيأ بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوج فأهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله عنه من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبز فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما فى ثياب مصر فلا * وكتب الحمدونى الى جارية اسمها برهان وقد جعلوا اليها فقال

جعلوا اليك يا برهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فأطرفينى بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتى غير المساويك
ولست أقبل الا ما جلوت به * ثنيتيك وما رددت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة

بالطاف العبيد للسادة وقدر الامير يجل عما تحيط به المقدرة وفي سوء ده ما يوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ما حضر عندنا بانه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبده ما قل فان رأى ان يتطول بقبول القليل كتطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثيرا ما يهدى اليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة ان الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فدحه الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك)

أما العمل فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قليل مدام عليه خير من كثير مملول * وفى التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق * وكان ابراهيم بن أدهم يسقى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلى بالليل * وعن على رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يغنى عنى حجة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني * وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل * وأنشد بعضهم

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * فنفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لا شئ أحسن من عقل زانه حلم ومن علم زانه عمل ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخوارج على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله ان اعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشدوا فى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضى الله عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك * وقيل

الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم والعلم كله هباء الا موضع العمل والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل * وأما الكسب فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك ان داود عليه السلام كان يدور فى المحاريب فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فاذا سمعه عابه بشئ يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لأجد فى داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسب به فعند ذلك صلى داود عليه السلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله ان يعلمه ما يستعين به على قوته ففعله الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه السلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من بات كالا فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمق ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا انى لأرى الرجل فيعجبنى فاقول ألـه حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سلمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له فى ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت قال بعضهم فى السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهين وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق وانى لأرجو أن ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمته بها فى أهل ولا مال * وأما ما جاء فى العجز والتوانى فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه * قال الشاعر

على المرء ان يسعى ويبذل جهده * ويقضى الـه الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز اعداه من عجزه وامده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما فى العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان

مسامرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وافضى الى الفساد وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة * والكسل شؤم وكاب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يعتنف * وقيل من العجز والتوانى تنتج الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاشى هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيا ثم قال لها اتكى * فانكما لابد أن تلدا الفقرا

وقال آخر

توكل على الرحمن فى الامر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء ان تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب

وسأل معاوية رضى الله عنه سعيد بن العاصى عن المروأة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختيانى يقول يا فتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم ان تحتاجوا الى القوم يعنى الامراء وقال رجل للحسن انى انشر مصحفى فأقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى وبكون يومك فى صنعتك ومالا بد منه ورحمه الله باسكاف فقال يا هذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها * فاهواله العظمى تليها رغائبه
أرى عاجزا يدمى جليد القسمة * ولو كاف التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس بعجز المرء اخطاء الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

وقال آخر

فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للاماني المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باحالته على القدر وقال لقمان لابنه يا بنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق قال ابو العتاهية

اذا وضع الراعى على الارض صدره * حقيق على المعزى بأن تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال * وأما التأنى فانه خلاف التوانى وهو الرفق ورفض

العجلة والنظر فى العواقب * وقد قيل من نظر فى عواقب الامور سلم من آفات الدهور ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه ولا يفارق شيأ الا شانه * وفى التوراة الرفق رأس الحكمة * وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوبا التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الامل وقال بعض الحكماء اذا شككت فاجزم واذا استوضحت فاعزم وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ويد العجلة تغرس شجرة الندامة وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التأنى حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأنى فبماذا يدرك وقال المهلب أناة فى عواقبها ادرك خير من عجلة فى عواقبها فوت * وقالوا من تأنى نال ما تمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء ايانا والعجلة فانها تكسى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويحمد قبل أن يجرب وان تعجب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة وجانب السلامة

*(وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها) * فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس خياطا ووقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه على خياط فقال له يا خياط ثكلتك الثواكل صلب الخيط ودق الدروز وقارب الغروز فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها ولا تخذنها الايادى وتطلب المكافأة * وقال فيلسوف ان من القبيح ان يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع وفى الحديث اكذب أمتى الصواغون والصباغون * وكذب الدلال مثل وقالوا الكل أحد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل بخس الموازين سواد فى الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربى ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر لاطفاما الذى يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علمنا ان تفريح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه فى بيته وكان اردشير بن بابك لا يرتضى لمنادمته ذا صناعة رديئة كالحائك والحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى

سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم

قال أبو العتاهية

الا انما التقوى هي العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة * اذا صح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه في هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول

* (الفصل الاول في شكوى الزمان وانقلابه بأهله) * روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضي الله عنه يقول معروف زمانا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت * وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكي) عن شيخ من همدان قال بعثني أهلي في الجاهلية الى ذي الكلاع الحميري بهدايا فمكثت شهرا الا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فنظرته من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لحما وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها في بلاء وأذى
ان صفا عيش امرئ في صحبها * جرعته عسيا كأس الردى
ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قبل ذا

وقال يونس بن ميسرة لا يأتي علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه ومن ذلك قوله

رب يوم بكيت منه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

ومثله

وما مر يوم ارتجي فيه راحة * فأخبره الا بكيت على أمسي

ومن كلام ابن الاعرابي

عن الايام عد فعن قليل * ترى الايام في صور الليالي

وقال علي رضي الله عنه ما قال الناس لشئ طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء وقال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت أعهد

ودخل داود عليه السلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان ابن فلان الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت الف جيش ثم

صاوا هرى الى ان بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فى مكانى فى أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الارض أغنى منه أماته الله كاماتنى * وذكر ان عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حازمن الاموال ما قدر انفسه انه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم ألف درهم على نفسه أنه يكفيه فروى بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وجميع فروشها سمور و بين يديه كانون فضة يخرفيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت يا عامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

الا يا دار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوى كل ضيف * اذا ماضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت يا عبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب باهلها الزمان وقال أبو العتاهية

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله عنه بين يدى ابن زياد فى قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم كان بين أول الرؤس وآخرها قال اثنتا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لا تبيتن قد أمنت السرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خبرما استعملته الحذر
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ما وجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومديده يسأل الناس بعد ان كان ملك قطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والمحراث الا أنه

من أهل الادب اذا أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حر * تصدق بالوفاة على أخيه

قال فرئى له رقيته وأحضر له بدرهم ما سد به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبي الى الوزارة وأخنى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رقيته فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

الا قل للوزير فدته نفسى * مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فأشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه * ودخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حامدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكأنه يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويميت كبيرهم وقال حبيب ابن أوس

لم أبك من زمن لم ارض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر

يا معرضا عنى بوجه مدبر * ووجوه دنياه علىّ مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأوني مقبلا * بشوا الىّ وحيوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كأن حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

وقال آخر فى معناه

يا منزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع
أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع
أيام لا يغشى لذكرك مربع * الا وفيه للمكارم مرتع
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه
اذا سرنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

وقال بعضهم

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمان لياتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الاطمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وقرا أو متمردا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن فى زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل بقبر اخيه فيقول يا ليتنى مكانه ويقال لا يقاوم عز الولاية بذل العزل (بيت)

ما من مسئ وان طالت اساءته * الا ويكفيك يوم من مساعيه

وقال الامين

يا نفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر
كل امرئ مما يخا * ف ويرتجيه على خطر
من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

وقال بعضهم

وقائلة ما بال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه
فقلت لها هاتى من الناس واحدا * صفا وقه والنائبات تنوبه

وللامير أبى على بن منقذ

أما والذى لا يعلم الامر غيره * ومن هو بالسر المكتم اعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما * لاعلانها عندى أشد وأعظم
وبى كل ما يبكى العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه وايم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها الا ان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم والله أعلم

(الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح الثبات وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز فى مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر واثنى على فاعله وأخبر انه سبحانه وتعالى معه وحث على الثبات فى الاشياء ومجانبة الاستعجال فيها من ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر فى كتابه العزيز فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل

ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر في الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يتوقع الفرج وقوله الأناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنوره وتوفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلبانه والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين كم الى تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادني الا أن قال

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح الى الطاعات في البكر
اني رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في أمر يؤمله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه والزمت نفسي الصبر في الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال احفظوا عني خمسا لتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجون الا ربه ولا يستحي أحدكم اذا سئل عن شئ وهو لا يعلم ان يقول لا أعلم واعلموا ان الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأيما رجل حبسه السلطان ظلما فمات في حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى في الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست يصيبك الاذى ألست تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعني جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة وأبو جهل وأصحاب جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على كتفي محمد اذا سجد فانبعث أشقى

القوم فأخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضى الله عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبى جهل وعتبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال على رضى الله عنه والذى بعث محمدا بالحق لقد رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيئات ورفع الدرجات وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خير الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء فى الرخاء (وحكى) ان امرأة من بنى اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت امرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه فى وجهه فسعى فى ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بنى اسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء الا ان تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد نجعك فى بيضها قالت هو كذلك فما زال بها حتى انتزع الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد ان يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت اعقبها الفرج والفرح عاجلا ومن أحسن ما قيل فى ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت
واتت بعده نوائب اخرى * سمت نفسك الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الامانى * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتخلت

ولمحمد بن بشر الخارجى

ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ولزهير بن أبى سلمى

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

وقال بعضهم

عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا

أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح في البيدا اذا ما تغير

ولابن نباتة

صبرا على نوب الزما * نوان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح

وقال ابو الاسود وأجاد

وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر وقال نهشل

ويوم كان المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

وقال ابن طاهر

حذرتني وذا الحذر * ليس يغني من القدر
ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على حره صبر
نفس يا نفس فاصبري * فازبالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لادواء لداء الدهر الا بالصبر ولله در القائل

الدهر أدبني والصبر رباني * والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الايام تجربة * حتى نهيت الذي قد كان ينهاني

وما احسن ما قال محمود الوراق

اني رأيت الصبر خير معول * في النائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة أكدت * بعرا الغنى فجعلتها لي معقلا
فاذا ابى منزل جاورته * وجعلت منه غيره لي منزلا
واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فأفرغ لها صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

وقال بعضهم

وما مسني عسر فقوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

وما احسن ما قيل

الدهر لا يبقى على حالة * لابد أن يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زادهم همي وكادت نفسي ان تزهق وضاقت علي الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل علي ورأى ما أنا فيه من البكاء فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكروب وعون على المطلوب وروى عن ابن عمه علي رضي الله عنه انه قال الصبر مطية لا تذبر وسيف لا يكل وأنا أقول

ما احسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وانجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت بداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني اقول

اما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت احدا يعرفه ولا رآه احد قبل ذلك في الكوفة ثم اخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني * وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له اما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هذا القوم الذين وقفوا على صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان صحت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فانا اصبر على شدة الضرب واحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر ما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرسل من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولو العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ويقال ما الذي صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولي العزم فأقول (ذكر ما صبروا عليه) أما نوح عليه السلام فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان نوح عليه السلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه

قدمات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى وما آمن منهم ومن ايمانهم جاءه
رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرك
فقال له ابنه يا أبت مكنني من العصا فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام شج بها
رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة
فاهدهم والا فصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد
آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يا رب وما الفلك قال بيت من خشب
يجرى على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يا رب وأين الماء قال
أنا على كل شيء قدير قال يا رب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة
وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الأنهم كانوا يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه
فقطعها وجففها وقال يا رب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث
الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن يجعل السفينة فقد اشتد غضبي على من
عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى باتصار نوح ونجاته واهلاك قومه
وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وتفتحت السماء بأمطار
كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الارض
أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام وفي تمام
قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لأهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا
زبدة صبر نوح عليه السلام وانتصاره على قومه * وأما ابراهيم عليه السلام فانه لما كسر
أصنام قومه التي كانوا يعبدونها ولم يرتدعوا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه
بيت ثم بنوا حائرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى منادي
ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد
وفعلوا ذلك أربعين يوما بلياليها ونهارا حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا أبواب
ذلك الحائر وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا
بنيانا محاويا بنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه السلام
طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة
وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه السلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال
جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على
ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه السلام فجلس به على الارض وأخرج الله له ماء
عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك
ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمرود وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه السلام
بهم فهذه غرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره الى الله
تعالى في ذلك وتوكل عليه ووثق به * ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره
بالتسليم والامتثال وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا امهال وقصته مشهورة وتفاصيل
القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره

على ما قدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه * وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بذبح ولده قال انى أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرنى بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يا أبت اشدد وثاقى كى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها رشاش الدم فتراه أمى فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقى ليكون أهون للموت على واذا اقبلت أمى فاقرأ السلام عليها فأقبل ابراهيم عليه السلام على ولده يقبله ويبكى ويقول نعم العون أنت يا بنى على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمرّ السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال السدى جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودى ان يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلا جرم ان جعل الذبح نبيا بصبره وامتثاله لامره * وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لأبيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تارك ذلك كله بصبره وقبوله فلا جرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة * وأما أيوب عليه الصلاة والسلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله * ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه السلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يا رب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاته فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجنانه فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه السلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك ورعاتك قد ذهبت عليها بريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يا رب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقى امعاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متعهدة فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ

ومعه سخلة وقال لها يذبح أيوب هذه السخلة على اسمي فبرأ فجاءته فأخبرته فقال لها ان شفاني الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة تأمريني أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقي ليس له من يقوم به فلما رأى انه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب اني مسني الضر وانت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهي على ما قيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول وماشكا الى مخلوق ما نزل به عاد الله تعالى بألطافه عليه فقال تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وافاض عليهم من نعمه ما أنساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه في يمينه تحلة قسمه ومدحه في نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب واسنى المواهب لما امر الله تعالى به رسله ذوي الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولي العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم ومأمولهم ومرامهم فما اسعد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهي الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقي من ساق القدر اليه جزعا ووزرا ومما شنف السمع من نهج هذه الاشارة وأتحف النفع في نهج هذه العبارة ما روى عن الحسن البصري رضي الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك يا هذا فقال اكتم علي أمري حبسني الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت في أضيق حال وأسوا عيش واقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا اتكلم فلما كان بالامس أخرجت جماعة كانوا معي فضربت رقابهم وتحدث بعض اعوان السجن أن غدا تضرب عنقي فأخذني حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لساني فقلت الهي اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتني غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتاني آت فقال لي قم فصل ركعتين وقل يا من لا يشغله شيء عن شيء يا من أحاط علمه بما ذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات الامور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث أغثني وفك أسري واكشف ضري فقد نفد صبري فقمت وتوضأت في الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف علي منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت الى ابواب السجن فرأيتها قد فتحت ففتحت فخرجت ولم يعارضني أحد فأتيت الله طليق الرحمن وأعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك الضيق مخرجا ثم ودعتي وانصرف يقصد الحجاز وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف في خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يا من ألح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل في مثل * عند الاياس فأين الله والقدر

ثم الخطوب اذا أحداثها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتي بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

ولما حبس أبو أيوب في السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول

صبرا أبا أيوب صبر مبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذي عقد الذي انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلي ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول

صبرتني ووعظتني وأنالها * وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فمالبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما وأنشدوا

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما تري حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثالث من هذا الباب في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر)

قال النووي رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التي تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لا بد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ريح وقال العتبي اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا بالسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكي وقيل تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فان كان فرح دعوتي وان كان حزن دعوتك وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الأنبياء وقال مطرف ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبي فاستصغرته *وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لأهل البلاء *وروى أبو عتبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا ومر موسى عليه السلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مرقت السباع لحمه واضلاعه وكبده ملقاة على الارض فوقف متعجبا فقال أي رب عبدك ابتليته بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لأبلغه تلك الدرجة *وكان عروة بن الزبير صبورا حين ابتلي (حكي) انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب ان أغفل عن ذكر الله تعالى فأحيى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم

يتوجع ثم قال ان كنت ابتليت في عضو فقد عوفيت في اعضاء فبيناهو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه أطلع من سطيح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال ان أخذت واحدا فقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وفد من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعي مالي وعيالي ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فعرسنا في بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من أهل ومال وولد غير صبي صغير وبعير فشرد البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب في بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فطم وجهي برحليه فذهبت عيناي فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن في الدنيا من هو أعظم مصيبة منه وقيل الحوادث الممضة مكسبة لحظوظ جليلة اما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحتري يبكي محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الايام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك
وقد دهمتك الحادثان وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما في نبي الله يوسف اسوة * لمثلك محبوس على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقال علي بن الجهم لما حبسه المتوكل

فالوا حبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأي مهند لا يغمد
والشمس لو لا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار في أحجارها مخبوأة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس ما لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتورد
بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لو لم يكن في الحبس الا أنه * لا تستذل بالحجاب الاسعد
غر الليالي بادرات عوده * والمال عارية يعار ويفقد
ولكل حي معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب دهاك به الزمان الاكمد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعود
صبرا فان اليوم يعقبه غد * ويد الخلافة لا تطاول لها يد

قال وأنشد اسحق الموصلي ابراهيم بن المهدي حين حبس

هي المقادير تجري في أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس الاصل ترفعه * الى العلاء ويوما تخفض العالي

فما أمسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضي عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب في ابراهيم بن المدبر حين عزل

ليهن ابا اسحق أسباب نعمة * مجددة بالعز والعز انبق

شهدت اقدمنوا عليك واحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

وقال آخر

قد زاد ملك سليمان نعاوده * والشمس تنحط فى البحرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمى العزول الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود وسئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال عوقبت على أربعة أشياء أولها أنى قلت القضاء والقدر لا بد من جريانهما الثانى أنى قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أنى قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أنى قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والخمسون ماجاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب

فمما يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهى الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى انتظار الفرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فان يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم وقال أبو حاتم

اذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

وقال آخر

عسى الهم الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله النائى الغريب

وقال آخر

تصبر أيها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

وقال ابراهيم بن العباس

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر

ان صدع البين المشتت شملنا * فلبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

(والتذكير بنذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة) روى أن الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة ان أخرج الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء علي بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم ما الذي دعا الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ما هو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سجنه مظلوما أخرجوه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى وقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدي الي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص علي الرؤيا ثم قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ علي كذا فعاهدني أن لا تخرج علي ولا على أحد من ولدي فقال والله ما ذاك من شأني فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه الى أهله بالمدينة قال الربيع فاحكمت أمره ليلا فما أصبح الا على الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حزن طال بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

وقال مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي فمر بي انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لأضيفه وليس معي درهم بل كان عندي زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتي لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشترى بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها القدوم علينا فادخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيأ يشتري به هدية لأهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي

عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي و بيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال ما الذي أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري لم أحضرتك قلت لا ادري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا ابن يذ من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر * يمضي فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا يشتكي عما يجرحه * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستأذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فرد علي السلام فأنشدته ما قلت فيه من شعر فأمر لي بمائتي ألف درهم وأمر لي يزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ما قيل

الامن والخوف أيام مداولة * بين الانام وبعد الضيق تتسع

ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم افريقية وكان محمد بن يزيد والياً عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فأتي به اليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقني ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل افريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وفك الاسير قال اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول أطلق القائل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في أوراق السجون واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل واقر به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني أنه كان هو وجماعة من أصحابه يركبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءتهم يأمر أته فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي عليها فلما افاقت قالت انشدك الله في امري فان هذا العجوز غرتني وقالت ان في هذه الدار نساء صالحات وانا شريفة جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وامي فاطمة وابي الحسين بن علي فاحفظوهن في فقمت دونهن واناضلت عنهن فاشتد علي واحد من الجماعة وقال لابد منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقالت ستر الله كما سترتني وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فأمسكوني واتوا بي اليك وهذا امري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق الذين وهبتني لهم لا اعود

الى

الى معصية ابدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير اخرني الى غد قال وأى فرج لك فى تأخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وأمر باطلاقه وقال بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة نخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفى سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتونى بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك فى السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق على الكسب ببلدى فأخذت جملى وتوجهت الى بلد غير بلدى لاعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمى الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للاعوان فأطلقوه وأمسكونى عوضه وأخذوا جملى فناشدتهم الله فأبوا وسجنت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل شهر وقال اجعلوه على بمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلى هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه فتضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرولها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فاضيق الامر ادناه الى الفرج

وقال آخر

فلا تجزعن ان ظالم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

وقال آخر

لعمرك ما كل التعاطيل ضائر * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * الا رب ضيق فى عواقبه سعه

وقال الرياشى ما اعتراني هم فانشدت قول ابى العتاهية حيث قال

هى الايام والغير * وامر الله ينتظر
أتيأس ان ترى فرجا * فأين الله والقدر

الا مرى عنى وهبت ريح الفرج ويروى ان سلطان صقلية ارق ذات ليلة وضع النوم فارسل الى قائد البحر وقال له انفذ الآن مركبا الى افريقية يأتونى باخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وارسله فلما اصبحوا اذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر اليس قد فعلت ما امرتك به قال نعم قد امتثلت امرك وانفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فامر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك ان تذهب حيث امرت

قال ذهبت بالمركب فبينما أنا في جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته في أسماعنا نادينا مرارا لبيك لبيك وهو ينادي يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتاني الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرقه في قصره لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك قال أخبرني أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال كنت اقرأ على الشيخ أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث في حانوت رجل عطار فبينا أنا جالس معه في الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر في طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له أعطني بها أشياء سماها له من العطر فاعطاه اياها فاخذها في طبقه وأراد أن يمضي فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ما قدر على جمعه منها ودفع له ما عدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فامر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعي لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى أني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لي غيرها من المال ولكن ولدي ولد في هذه الليلة فاحتجنا لامه ما تحتاج النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشتري بها حاجة النفساء فابقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت في نفسي اشتري بها شيأ من العطر فاطوف به صدر النهار فعسى استفضل شيأ اسد به رمق اهلي ويبقى راس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت انه لم يبق لي الا الفرار منهم فهذا الذي اوجب جزعي قال ابو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبي يستوعب الحديث فقال للشيخ ابي حفص يا سيدي اريد ان تاتي بهذا الرجل الى منزلي فظننا انه يريد ان يعطيه شيأ فقال فدخلنا الى منزله فاقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندي وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندي صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفي اي موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندي اذا رايته تعرفه قال نعم فاخرج الجندي له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا همياني والله وعلامة صحة قولي ان فيه من الفصوص ما هو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندي خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وا كثر فخذها وانت في حل منها ونفسي طيبة بذلك فقال الجندي ما كنت لآخذ على امانتي مالا وأبى ان ياخذ شيأ ثم دفعها للطواف جميعها فاخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا ارحم الراحمين (وحكى) ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى اعيا الاطباء دواؤه ولم

يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان في بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعا الذي فيه القوانج فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان وبضد هذا ما حكاه أبو بكر الطرطوشي قال حدثنا القاضي أبو مروان الداراني بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا الى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وكان في تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد في هذه البقعة فأبوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات حارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فاصبحوا في عافية وحملوا على دوابهم فبيناهم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضي حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته قال وأخبرني أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد جرت في هذه الدار وأشار الى داره هنالك قصة عجيبة قلت وما هي قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة في تجارة الخز فاتفق انه جعل جميع ما معه من الخز في خريج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخريج عن الحمار فثقل عليه فاحر انسانا هنالك فاعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقي آنس بك وتعينني على سفري ونفقتك ومؤنتك علي فقال له الرجل وأنا أيضا اختار صحبتك وأرغب في مرافقتك فسار معه في سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشتري ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن انه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير في المشي الى ان ادرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على اثرنا فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحيى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشي أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعني نفسه فأظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشتري به شيأ للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فاخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت امام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فاجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج

اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر التفاتة الى قمر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال ياعدو الله ائتنى بمالى فقال له البياع ما هذا يافلان والله ما علمتك متعديا وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ حمارى وجميع مالى فقال البياع والله مالى علم غير أن رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاءه واعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة الى حين يصبح والحمار فى دار جارنا والرجل فى المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالى ياخائن قال هاهو فى خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فاين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبركوا بذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى أخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا ساروا كتب فى الالواح وامتزج بالارواح وعد فى جملة البشائر العظام وجرى فى العروق وتمشى فى العظام وكان خالد ابن عبد الله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لارى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال ياأمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدرزاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيد أطيب الطيب طيبا * ان تمسه أين مثلك أينا

ودخل على المهدى أعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكم وا أبدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى * تمس ومالها ان لا تمسا

فقال المهدى ياغلام على بالجواهر فحشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى بخانق صبيانكم وقال ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بهما من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا ودخل عطاء بن أبى صيفى على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة

الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه وولیت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بني سليم على سطح لها تحادث جارة لها الى لاوهي تقول لاوالذي أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه مما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبي نفسا وقري عينا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الثامن والخمسون في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان) *

* (الفصل الاول في مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا) * عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضي الله عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضي بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختيارنا اخترناه فاعتقه وزوجه ام أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن علي رضي الله عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبي هريرة رضي الله عنه لا يقولن أحدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وعن ابن مسعود الانصاري قال ضربت غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال اما انك لولم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم تعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال حدثني ابو القاسم نبي التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل اراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت مني ما ملكت مني ما اخرجتك من يدي فاعتقها وتزوجها وقال ابو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب في امهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير اهل زمانهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك ان عمر رضي الله عنه اتي ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى سبايا فاراد بيعهن فاعطاهن للدلال ينادي عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر واراد ان يضربهن بالدرة فقال علي رضي الله عنه يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقوموهن وأعطاهن اثمانهن وقسمهن بين الحسن بن علي ومحمد بن

أبي بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فقال عبد الملك بقول عمرو العبدي

نهيتكموا أن تحملوا فوق خيلكم * هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوي المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متنزك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلي ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما أنكحوا ناطا لعيز بناتهم * ولكن خطبناهم بارماحنا قسرا
فما زادنا فيها السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لاقى الابطال يطعنهم شزرا
وياخذ ربان الطعان بكفه * فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بني ذا والله أنت وأمر له بمائة ألف درهم سنذكر ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم) روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بئس المال في آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فارها ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب لوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالي غلام قادعو به * سوى من أبوه أخو عمتي

وقال اكثم الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغي لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن في منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد
ولا يتخذ منهن حرة عيدة * فهن لعمر الله بئس القلائد

وكان لرجل غلام من اكسل الناس فارسله يوما يشتري له عنبا وتنافا بطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء باحدهما فضربه وقال ينبغي لك اذا استقضيتك حاجة ان تقضي حاجتين فعرض الرجل فأمر الغلام ان يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال اما ضربتني وامرتني ان أقضي حاجتين في حاجة فخذ بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا فاحفر لك هذا قبرا فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الاعجمي يلي حكم السند فكتب الى موسى الهادي ان رجلا من اشراف اهل الهند من آل المهلب بن ابي صفرة اشترى غلاما اسود فرباه وتبناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فاجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط في دمه ثم ادركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى ان برئ من علته فاقام الغلام بعدها مدة يطلب ان يأخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه امرا يكون فيه شفاء

غليله وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الامور فأخذ الاسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هنالك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب اخرى الى ان دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه في شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابني للموت قال أجل والله الذي لا يحلف العبد باعظم منه لئن لم تجب ذكرك مثل ما جبيتني لأرمين بهما فقال الله الله يا ولدي في تربيتي لك قال دع هذا عنك فوالله ما هي الا نفسي والى لأسمح بها في شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال ابوهما ويلك فاصبر حتى اخرج مدية وأفعل ما اردت ثم اسرع واخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الاسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثاري وقتل اولادك زيادة فيه فأخذ الاسود وكتب بخبره لموسى الهادي فكتب موسى لصاحب السند عمرو الاعجمي بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وامر ان يخرج من مملكته كل اسود فما ترى اردأ من العبيد ولا اقل خيرا منهم واكثرهم رداءة المولدون لو احسنت الى احدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه انكره كان لم ير منك شيأ وكلما احسنت اليه تمرد وان اسأت اليه خضع وذل وقد جربت انا ذلك كثيرا وما احسن ما قيل

اذا انت اكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدي لامي يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم الأم من الزنوج واردأ لان المولد لا يعرف له ابا وربما يعرف الزنجي ابويه ويقال في المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون امه فرسا وابوه حمارا وبالعكس فلا تثق بمولد لانه قل ان يكون فيه خير وان كان فذاك نادر والنادر لا حكم له وانا استغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع والخمسون في اخبار العرب الجاهلية واوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من اكاذيبهم

للعرب اوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم واكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون * قال اهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة ابطن وكان الاخير ذكرا بحروا اذنها اي شقوا اذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى * وكان الرجل اذا اعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث * واما الوصيلة ففي الغنم كانت الشاة اذا ولدت انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * واما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى * وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة وكانت لهم يعبدونها وهي الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب

على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فاذا أراد الرجل سفرا أو امرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهي لم يمض * ومن أولادهم وأد البنات أي دفنهن احياء كانوا في الجاهلية اذا رزق أحدهم انثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار بمكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات * وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بني أمية فقال أنا ابن محيي الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا * واما الرفادة في الحج فكانت خراجا تخرجه قريش في كل موسم من اموالهم الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله واهل بيته وأهل الحرم وان الحاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من اموالهم فيدفعونه اليهم وقيل أول من اقام الرفادة عبد المطلب وهو الذي حفر بئر زمزم وكانت مطمومة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة اسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الاخر في الكعبة واعلم وفقني الله واياك انه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله بن زياد التميمي وابن سمالك الاسدي الذين ضرب بهم المثل فاما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها يا هنتاه مثلي يكون من عبيد الله واما عبد الله بن زياد التميمي فقيل انه خطب الناس بالبصرة فأحسن واوجز فنودي من نواحي المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كافئتم الله شططا واما ابن سمالك فانه اضل راحلته فالتمسها فلم يوجد فقال والله لئن لم يرد راحلتي علي لاصلبت له ابدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض اغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت يميني يمينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى افضى بهم الى الكفر وصاروا حديثا مستبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدي الى الخسران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (حكي) عن الحجاج بن يوسف الثقفي انه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله اظفرني بافاس بلغتي الامل فيهم واعانني على الانتقام منهم فكنت اتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة انهما من محاسن الحجاج وان قلت في جنب سيآته والله اعلم

(ذكر اديان العرب في الجاهلية) كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في تميروبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية في بني تميم

منهم زوارة بن عدى وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحى ابو خزاعة وهو انه رحل الى الشام فرأى العماليق يعبدون الاصنام فاعجبه ذلك فقال ما هذه الاصنام التى أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال اعطونى منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار فى بنى اسمعيل وسبب ذلك انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا فى البلاد وممن أخذ الاحمال معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبنى كنانة العزى وكان حجابها بنى شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بنى معتب من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم * وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا اسماء أولاد آدم عليه السلام وكانوا اتقياء عبادا فلما ماتت أحدهم نحتوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته فى قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه ففعلوا ذلك فقال اجعلوه فى مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى ان ماتوا كلهم فصوروهم هنالك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم المصورة فى مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا ما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الارض طمها وعلاها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركى العرب فعبدوها وذكر الواحدى فى الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فوسوس الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها وان من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها باسمائهم وقال الواقدى كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أى ذلك كان

(ذكروا بدءهم) الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة

منه فيعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد اكل قال قد خانتني امرأتي وان وجده على حالته قال لم تخني * الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينها حتى تموت يزعمون أنه اذا بعث من قبره ركبها * التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى * العرد داء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرئ داء العرد * ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون ان الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كانوا يزعمون ان الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثاره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني الى أن يؤخذ بثاره وكان للعرب مذاهب في الجاهلية في النفس وتنازع في كيفياتها فمنهم من زعم ان النفس هي الدم وان الروح الهواء الذي في باطن جسم الانسان الذي منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد في الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حي فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون ان النفس طائر ينشط من جسم الانسان اذا مات او قتل ولا يزال متصورا في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفي ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون عليهم * فلهم في صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا ان هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون ان الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت * الصفر زعموا ان الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهي حية تكون في البطن * تثنية الضربة زعموا ان الحية تموت في أول ضربة فاذا ثنيت عاشت * الغيلان والتغول للعرب في الغيلان والتغول اخبار وأقاويل يزعمون ان الغول يتغول لهم في الخلوات في أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس ان الغول حيوان مشؤوم وانه خرج منفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار في أوقات الخلوات وفي الليل (وحكى) ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رآه في سفره الى الشام فضربه بالسيف وقال الجاحظ الغول كل شيء يتعرض للسيارة ويتلون في ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا ان أكثر كلامهم انه أنثى وأما القطرب في قولهم فهو نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر في أكناف اليمن وصعيد مصر في أعاليه وربما انه يطرق الانسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما نازعا على الانسان وأمسكه فيقول أهل قالت النواحي التي ذكرناها أمنكوح هو أم مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

(ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثيرة في العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى (ومن عجيب) ما حكى من أمر الهواتف ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل وجعل يقول فى طريقه ليت شعرى هل بغت على فلما انصرفنا من مكة قالها فى بعض الطريق فاجابه صوت فى الظلام نعم ونا كها جميعه * وهو رجل أحمر ضخم فى قفاه كمه * فسكت الرجل فلما سرنا الى البصرة اخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيرانى يسلمون على فاذا فيهم رجل أحمر ضخم فى قفاه كمة فقلت لاهلى من هذا قالت رجل كان الطف جيرانا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت بجيمة فقلت الحق باهلك * وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه * وأما رمى السن فكانوا يزعمون ان الغلام اذا ثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال ابدلينى بأحسن منها فانه يأمن على اسنانه العوج والفلج * وأما خضاب الظفر فكانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة واما نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب بيوتها لتعرف بها * وأما جز النواصى فكانوا اذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه جزوا ناصيته * وأما الالتفات فكانوا يزعمون ان من خرج فى سفر والتفت وراءه لم يتم سفره فان التفت تطير واله * وكانوا يقولون من علق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك ان الجن تهرب من الارنب لانها تحيض وليست من معاليا الجن ويزعمون ان المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون ان الرجل اذا قدم قرية تخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها ويزعمون ان الحروص وهو دويبة أكبر من العرغوث تدخل فى فروج الابكار فتفتضهن ويزعمون ان الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون ان الناقة اذا نفرت وذكر اسم امها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون ان العاشق اذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر وتسمى السلوان ونكاح المقت من سننهم وهو ان الرجل اذا مات قام ولده الاكبر فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن لهم امرأة زوجها البعض اخوته بمهر جديد فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفال والطيرة والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك

أما الكهانة فكانت فاشية فى الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من معجزات النبوة وآياتها وللكهنة اخبار فمنهم سطيح ورد علمه عبد المسيح وهو يعالج الموت وأخبره على ما يزعمون بما جاء لاجله وذلك ان الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما اصبح اعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس

الايوان فازداد واغما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الى رجلا عالما بما اريد أن اسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغسانى فقال له كسرى أعندك علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليخبرنى الملك فان كان عندى علم منه والا أخبرته بمن يعلمه به فاخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فانه فاسأله عما سألتك واتنى بالجواب فركب عبد المسيح * وتوجه الى سطيح * فوجده قد أشرف على الضريح * فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير انه أنشده شعرا يذكر فيه انه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل يسيح الى سطيح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت فى بلاده ياعبد المسيح اذا كثرت التلاوة وفاض وادى سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا العجم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب وأظن ان وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات * بعدد الشرافات * وكل ما هو آت آت * ثم قضى سطيح مكانه فشار عبد المسيح الى راحلته وعاد فاخبر كسرى بذلك (وحكى) ان ربيعة بن مضر اللخمى رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسره الا الملك الاشق وسطيح فاحضرهما وقال لسطيح انى رأيت مناما هالنى فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهامة فأكل منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت شيأ فما تفسيره قال ايهبطن بارضك الحبش وتملك ما بين أبين الى برش فقال الملك ان هذا لغائظ موجع فمتى هو كائن فى زمانى أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضى من السنين ثم يقتتلون بها أجمعين ويخرجون منها اربعين قال ومن ذا الذى يملك بعدهم قال أراه ذا يزن * يخرج عليهم من عدن * فما يترك منهم أحدا باليمن * قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى * يأتيه الوحى من العلى * قال ومن يكون هذا النبى * قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر * يكون فى قومه الملك الى آخر الدهر * قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون * ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون * قال او حق ما تخبر قال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح * ومن ذلك ما حكى ان أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة سوداء الحدق تحر بمكة فرضى أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعى الكاهن حكما فخبؤا له شيأ وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبأ فان علمته تحاكمنا اليك وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لى كيت وكيت فقالوا صدقت احكم بين هاشم ابن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر * والكوكب الزاهر * والغمام الماطر * وما بالجو من طائر * وما اهتدى بعلم مسافر * لقد سبق هاشم أمية الى المآثر * ولأمية أو اخر * فاخذ هاشم الابل ونحرها واطعمها من حضر وخرج أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبنى أمية

(وحكى) ان هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة فخار جا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فاقبل رجل ممن كان يغشى البيت فوطئه فلما رأى هند ارجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذى خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما التبهت حتى انبهتني قال فارجعي الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا دسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو على بصادق فقال له يا فاكه اما قد رميت ابنتي بأمر عظيم فما كمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج أبوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا لهند ارددي على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها اني أرى حالك قد تغيرت وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف انكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمني بسمة تكون على سبة فقال لها لا تخشي فسوف أختبره فصفر لقربوسه حتى أدلي ثم ادخل في احليله حبة حنطة وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك في أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لي ثمرة في كمرة قال اني أريد ابين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال فانظر في أمرهؤلاء النسوة فجعل يأتي الى كل واحدة منهن ويضرب يده على كتفها ويقول لها انهضي حتى بلغ هندا فقال انهضي غير رصاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عني فوالله اني لاحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه

وأما القيافة فهي على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات اعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على احدهم مولود في عشرين نفرا فيلحقه باحدهم (وحكى) عن بعض أبناء التجار أنه كان في بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام اسود فمر بهؤلاء القبلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع في نفسي من ذلك شئ فلما رجعت الى امي ذكرت لها القصة فقالت يا ولدي ان أباك كان شحيحا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يموت ماله فحكمت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ولولا ان هذا شئ يستعمله غدا في الدار الآخرة لما أعلمتك به في الدنيا * وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والاخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن في قطية وتغر البراس اقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار على صخر صلد واحجار صم ولاطين ولا تراب تبين فيه الاقدام فجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم

بما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا أن هناك لطيفة لا يتساوى الناس فيها يعني في علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل ان القافة لبني مدلج في احياء مضر واختلف رجلان من القافة في أعرابيين وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هي ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بني عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه اهوذا قال نعم فوجداه خنثى فأصابا جميعا

ومنهم من كان يخط الرمل في الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتي بعد وقال رجل شردت لي ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمر بنته ان تخط لي في الارض فخطت ثم قامت فخطت ثم قامت فخطت ثم قال أتدري قيامها لاى شيء قلت لا قال قد علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فاسنحيت ثم خرجت فوجدت ابلي ثم تزوجتها وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعي غازيين فرأيا مرأة وهي تخط للناس في الارض فضحك منها مالك هزوا وقال ما هذا فقالت اما والله لا تخرجن من مجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت

وأما الزجر والعرافة فاحسنه ما روي ان كسرى ابرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى في طريقك وعنده وقال للمصور ائتني بصورته فلما عادا اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا انه سيملك أمره على ملكك لانك وضعت صورته على وسادتك وبعث صاحب الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه وصل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فتقدم الرسول فرأى النبي صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه في الماء وعن يمينه علي رضي الله عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره ولملكن ما تحت قدمي فتفاءل بالنشز العالي وبالماء الحياة * وقال المدايني وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فتقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه ما أظن اني أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبي تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبي فانظري اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكني رأيت تحت سريرها خالا ليوضعن معه رأس زوجها في حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه في حجرها وبينما مروان ابن محمد جالس في ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندي واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى)

المدايني ان عليا رضي الله عنه بعث معقلا في ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فاخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبي ربيعة الخثعمي الزاجر انكم لتصرفون من موجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون اما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى جز بينهما فتفرقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا طويلا وعمرا ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك في المرة الاولى دخلت علي والشقة بيدي ادير طولها وعرضها ودخلت علي الآن والشقة في يدي أريد قطعها لاني قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوي فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذي يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق ابن ابرهة في مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء معلقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر ذي يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لاميره اصبر لنا نظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكأنه انف من مقاتلتهم على شئ من ذلك الا على حمار لما انه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى ادنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) انه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسئل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل يطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقلت له بأي شئ عرفت ذلك فقال انك لما سألتني التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء فقرغها ثم حملها على كتفه فاوات الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلاعة قال وكان الامر كذلك

وأما الفال فقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفال الصالح والاسم الحسن وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا لامين له يا بشار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعي سألت ابن عون عن الفال فقال هو أن يكون مريض فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك وأما الطيرة فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شئ فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته في دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا يعلم المرء الا ما يصحبه * الا كواذب ما يجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضلون ودون الغيب اقفال

وقال لبيد

لعمرى ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال آخر

تعلم انه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * احايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير باشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ما يتطير منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطاب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لانت على العشاق أقبح منظر * وأبشع فى الابصار من رؤية اللحد
تصيح بين ثم تعثر ما شيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كذلك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل اثقال من ارتحل وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد

زعموا بان مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الاحباب

وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زيد فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول يا عم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبى جعفر وجاريته نعيم فقال لها غنينا شيأ فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الابيات

هم وقتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وجند أخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتهى وغنى ما يسر فى فغنت تقول

كذب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر جمعا منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء فى هذه الليلة غنى غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

تبكي فراقهم عيني فأرقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومي الى لعنة الله فقالت والله يا مولاي لم يجر على لساني غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان ابوه يحبه فاصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدي فالتفت الي وقال يا عمي أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يقول قضى الامر الذي فيه تستفتيان فقال لي اسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيأ وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فمحال أن يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدي به وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه في أول درب منها فتطير لذلك فانشده أبو الشمقمق يقول

ما كان مندق اللواء لريبة * تخشى ولا امر يكون مبذلا

لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وامر لابي الشمقمق بعشرة آلاف درهم ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم انهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل ان يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدي وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم واني على اعداء الله تعالى لانكد من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر واني لاعجب من لوط وقوله لو ان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد فاي ركن أشد من الله تعالى أو ما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخي محمد بن يوسف وامرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا في أهل اليمن فانه امره ان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد امرته ان يسيء الى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وانا اعلم انكم تقولون بعدي لا احسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة اقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فأول من استقبله اعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فامر له بمال فقال لا حاجة لي به ولكن ائذن لي في الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتني فضربتني وحبستني وتلقيتك فصدت وسلمت فاينا اشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكى) أيضا ان صاحب قرطبة اصابه وجع فأمر بعض جواريه أن تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت مفردا

هذي الليالي علمنا ان ستطوينا * فشعشعينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وامرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكى) ان نور الدين محمودا وهمام الدين ركبا في يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاولا في الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فاجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا في الازل فمات أحدهما

قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام

وأما الفراسة فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله عنه ما أضمر أحد شيأ الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه . وقيل أشار ابن عباس رضى الله عنهما على على رضى الله عنه بشئ فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق (وحكى) أبو سعيد الخراز أنه كان فى الحرم فقير ليس عليه الا ما يستر عورته فأنفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك ايضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده (وحكى) عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال احدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وأنا الآن نجار (وحكى) ان شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى اشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك انه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه واقدر أيته متكئا على دكة وبيده صورة يتوجه بها اليه فقلت السلام عليك يا فلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا اذكر منه الا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن بن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الارض أحرز منه كان ينظر الى السفينة فيحزر مافيها فلا يخطئ وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا كذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشئ ما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جواره وليمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاضيهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم ان شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شئ فاعلم ان امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشى ويلتفت فاعلم انه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يمدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الحبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى حجمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول اذا فشا الموت فى الوحوش دل على ضيقة واذا فشا فى الفارد على الخصب واذا نوق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا فوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شئ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين

وأما النوم والسهر وما جاء فيهما فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اشراف أمتى حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان ام سليمان بن داود عليهما السلام قالت له يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجىء يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلى ليلا طويلا فاذا اسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * أكل هذا الليل ترقدونا

فيقوم ثبون بين بالك وداع ومتضرع فاذا أصبح نادى * عند الصباح يحمد القوم السرى وانشدوا

يا أيها الراقدكم ترقد * قم يا حبيبى قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته * حظا اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الالباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مر بولد ما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام فى ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أو ما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهزلة منسية للحاجة والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هى التى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بها امته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق نومة بعد العصر لا ينامها الا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم ونكد وقال الثورى لطبيب دلنى على شىء اذا أردت النوم جاءنى فقال ادهن رأسك وأكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لأن تختلف السباط على ظهرى أحب الى من أن انام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن اوس يتلوى على فراشه كالحية على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتنى النوم وانشدوا فى المعنى

غيرت موضع مرقدى * يوما فقارقنى السكون
قل لى فاقل ليلتى * فى حفرتى أنى أكون

وأنشد أبو دلف

اما لكى ردى على رقادنا * ونومى فقد شردته عن وسادنا
اما تتقين الله فى قتل عاشق * أمت السكرى عنه فأحيا الليالنا

وأنشد أبو غانم النقفى مفردا

رقدت رقادا الهيم حتى لو أننى * يكون رقادى مغنما لغنيت

فقيل له من هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان قوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا اسود قيل انه نام اسبوعا وقيل انه تمادت على أهله وقال اندبونى لا علم كيف تندبونى اذا أنا مت فسجى ونام وندب فاذا هو قد مات

وأما الرؤيا فقد قيل فيها أقاويل وهو انهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانصداره الى الكبد ومنهم من رأى ان ذلك هو سكون النفس وهدوء الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جمهور الاطباء الى ان الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذي يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى في منامه اجداثا وأواه واتامكفنين بسواد وبكاء وأشياء منزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهي والثياب المصبغة والذي يقع عليه التحقيق ان الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجيء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا في صورة مثل ضرب له فمن ذلك ما حكي ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لابي جهل بن هشام فقال ما لابي جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول في قتل الحسين لما رأى ان كلبا ابقع يلغ في دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابي بكر رضي الله عنه اني رأيت كأني رقيت انا وأنت درجا في الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضي الله عنها سقوط ثلاثة أقمار في حجرتها فأولها أبوها بموته وموت النبي صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضي الله عنهما ودفنهم في حجرتها فكان الامر كذلك (وحكي) ان ام الشافعي رضي الله عنه لما حملت به رات كأن المشتري خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق في كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر ويتشعر علمه بأكثر البلاد فكان كذلك (وحكي) أيضا ان عاملا اتى عمر رضي الله عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لا ولينك عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضي الله عنه وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية * واما من مهر في تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رايت كأني اسقي شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال ما التي تحتك قال علجة اشتريتها وفي رواية جارية وأنا اطؤها فقال اخاف ان تكون امك فكشف عنها فوجدها أمه وجاءه رجل فقال رايت كان في يدي خاتما أختم به فروج النساء وافواه الرجال فقال له انت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاءه رجل فقال رايت جارية لي قد ذبحت في بيت من دارها فقال هي امرأة نكحت في ذلك البيت وكانت امرأة الصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم في تلك الليلة وجامع زوجته في ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رايت في النوم كأني أشد الرفاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغي ان يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون في جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان

وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت في النوم كأن القمر دخل في الثريا ونادى منادٍ من خلفي ان ائتي ابن سيرين فقصي عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيت هذا فأعادت عليه فقال لا تحته هذه تزعم اني أموت لسبعة أيام وامسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام وجاءه رجل فقال رأيت كأني آخذ البيض واقشره فآكل بياضه وألقي صفاره فقال ان صدق منامك فانت تباشر الموتى فكان كذلك (وحكي) ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصي وقال يموت الحسن واموت بعده وهو أشرف مني فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكي) ان رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال له يا نبي الله صلبك حق قال نعم فعبر على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائي فكان كذلك وأتى ابنة مغيث آت في المنام فقال لها لك البشرى بولد

أشبه شيء بالاسد * اذا الرجال في كبد * تقابلوا على بلد * كان له حظ الاسد * فولدت المختار بن ابي عبيد وذلك في عام الهجرة وقال رجل لسعيد بن المسيب رأيت كأني بت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال يلي أربعة من صلبه الخلافة وقال الشافعي رضي الله عنه رأيت عليا رضي الله تعالى عنه في المنام فقال لي ناولني كتبك فناولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت أخاكاتبة فأتيت الجعد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآني في منامه فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأن رأسي قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال باي عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفي وأتوا برأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلي بن الحسين رأيت كأني أبول في يدي فقال تحتلك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال ابو حنيفة رضي الله عنه رأيت كأني نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدري فهالني ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغي لاحد من اهل هذا الزمان أن يرى هذه الرؤيا قلت انا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بماله عند الله من الكرامة في الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال تضرعت الى ربي سنة ان يريني ابي في النوم حتى رايته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك ابوك انه سألني عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الحادي والستون في الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر

الحيلة من فوائد الا راء المحكمة وهي حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث

وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضى الله عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشرب فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال ألم تؤمنى قال كيف امنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشرب وقولك لا بأس عليك امان ولم اشرب فقال عمر قاتلك الله أخذت منى اماناولم أشعر وقيل كان دهاة العرب اربعة كلهم ولد وا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع * وكان يقال الحاجة تفتح ابواب الحيل وكان يقال ليس العاقل الذى يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للامور ان لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصرانى لو اسلمت فقال ما زلت محبا للاسلام الا انه ينهانى منه حبى للخمر فقال اسلم واشرب فاما اسلم قال له قد اسلمت فان شربتم احد ينا ك وان ارتددت قتلناك فاخترلنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة وقيل دليت من السماء سلسلة فى ايام داود عليه السلام عند الصخرة التى فى وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مدّ يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى ان ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت وذلك ان رجلا اودع رجلا جوهرة فجحدها فى مكانه فى عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذى اودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعى اللهم ان كنت صادقا فالتقدمنى السلسلة فقدت منه فسها فدفع المدّعى عليه العكازة للمدعى وقال اللهم ان كنت تعلم انى رددت الجوهرة اليه فالتقدمنى السلسلة فقدت منه فسها فقال الناس قد سوّت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقى ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبى عبيد الثقفى من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر عليكم فأرسلها ثم قال للناس انى لا اجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب ان الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب تاتى فى صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على اصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبى احداهما فاكله فاختصما فى الصبى الباقى الى داود عليه السلام فقال كيف امركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصما الى سليمان عليه السلام فقال ائتونى بسكين اشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى اتشقه يا نبى الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبى فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه السلام وقال يا نبى الله ان لى جيرانا يسرقون اوزى فلا اعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال فى خطبته وان احدكم ليسرق اوزجاره ثم يدخل المسجد والريش على راسه فمسح الرجل راسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفى من العرب امرأة وكان شابا جميلا

فأرسلت اليهما ان يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم انها تؤثره عليه فأقبل على الفتى وقال لقد اوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال ما يخفى عليّ منه شيء وانى لأستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكني أضع البدرة في بيتي فينفقها أهلي على ما يريدون فلا أعلم بنقادها حتى يسألوني غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني أحب الي من هذا الذي يحصي علي مثقال الذرة فتزوجت المغيرة وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويقيمون في جبال شاهجة ولاية دارعليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوا مسمومة كثيرة الطيب في ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره ان يسير مع القافلة ويظهر ان هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار امام القافلة فنزل القوم فأخذوا الاسعة والاموال وانفرد احدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فقبح على نفسه ان ينفرد بها دون اصحابه فاستدعاهم فاكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ ارباب الاموال اموالهم واتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجيء له بكوز فرماه بين يديه فارتاع احدهما وثبت الآخر فقال للذي ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر انت اخذت المال وتلذذت به وتهدده فانزعج فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوي القلب والبرئ يجزع ولو تحرك عصفور انفزع منه وقصد رجل الحج فاستودع انسانا مالا فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر بذلك القاضي اياس فقال اعلم بأنك جئتني قال لا قال فعد الي بعد يومين ثم ان القاضي اياسا بعث الى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندي اموال كثيرة لايتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك فلما بلغني من دينك وتحصيني منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيئ موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضي اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالي والا شكوتك للقاضي اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فأخذه وأتى الى القاضي اياس فأخبره ثم بعد ذلك اتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التي ذكرها له القاضي فقال له القاضي بعد ان اخذ الرجل ماله منه بدا لي ترك السفر فامض لشانك لا أكثر الله في الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال ابرويز للداخل عليه ليقتله انى لادلك على شيء فيه غناك لوجوب حقك علي قال وما هو قال الصندوق الفلاني فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة قبض عشرة ابكار وكان لشيرويه غرام في الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل منكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقني عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا امير المؤمنين هذه البيعة في عنقي الى قيام الساعة فلم يفهم الرشيد ما اراد وظن انه الى قيام الساعة يوم الحشر وما اراد الرجل الا قيامه من المجلس

وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعني غير غلام من بني الحرث بن كعب فاني ذكرت امرأة منهم لاتزوجها فقال أيها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فأعرض عنها فتزوجها الفتى فلقيه وقلت ألم تخبرني انك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لي جعل على أن ألطم سيد بني تميم فقال است بسيدهم عليك بحرقة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده وقال الشعبي وجهني عبد الملك الى ملك الروم فقال لي من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الي فلما قرأها عبد الملك قال لي أتدري ما فيها قلت لا قال فيها العجب اقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدري ما أراد بهم ذا قلت لا قال حسدني عليك فأراد أن اقتلك فقلت انما كبرت عنده يا امير المؤمنين لانه لم ير لك ولم يترك شيأ الا سألني عنه وانا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبي فقال لله أبوه ما عدا ما في نفسي ولما ولي عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا في خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من ابنيات وأرملة * اذا نعالك لاهل المغرب الناعي
ان ابن مروان قد سانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت علي بشر وأصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الظريفة) ما حكي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر واعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمي وكان أول ما اسلم في تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة ولي مال متفرق عند تجار مكة فأذن لي يا رسول الله في العود الى مكة عسى اسبق خبرا سلامي اليهم فاني أخاف ان علموا باسلامي ان يذهب جميع مالي بمكة فأذن لي لعلي اخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني احتاج ان اقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت في حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية الثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصروني قالوا هذا العمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندي من الخبر ما يسركم قال فأحدقوا حول ناقتي يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان اصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي من غرمائي فاني أريد أن أقدم خيبر فاغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل ان يسبقني التجار الى هنالك فقاموا معي فجمعوا لي مالي كأحسن ما احب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على

حتى وقف الى جانبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذي جئت به
قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر عني
حتى القاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى اذا فرغت من جمع كل شئ
كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ علي حديثي يا أبا الفضل
فاني أخشى أن يتبعوني فاكتم علي ثلاثة أيام ثم قل ما شئت قال لك علي ذلك قال قلت
والله ما تركت ابن أخيك الا عروسا على ابنة ملكهم يعني صفية وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها
وصارت له ولاصحابه قال احق ما تقول يا حجاج قال قلت اي والله ولقد أسلمت وما جئت الا
مسلما لآخذ مالي خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فأظهر أمرك فهو والله على ما
تحب قال فلما كان في اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج
حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة قال
كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز اموالهم وما
فيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به ولقد دخل
عليكم مسلما واخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا واصحابه ليكون معهم قالوا تفلت عدو الله اما
والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته
واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش
وغطفان وقبائل العرب وبني النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الأمر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على
ما وصفه الله تعالى في قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا
فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى
بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد علمتم ودي اياكم
وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان
ليسوا كأنتم فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على
ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم
عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها
وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا
بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على
ان تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأي ثم اتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب وكان اذ
ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودي لكم وفراقي محمدا وانه
قد بلغني أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه علي قالوا نعم قال اعلموا ان معشر

يهود بني قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذي بيننا وبينك فهل يرضيك ان نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقي منهم فنستأصلهم فأرسل يقول لهم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت ارسل ابو سفيان ورؤس بني غطفان الى بني قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاغتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ واستامع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بني قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذي ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا ان تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فأرسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وارسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى ان الهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التي عم نفعها وحسن وقعها

(وأما ما جاء في اليقظة والتبصر في الامور) فقد قالت الحكماء من ايقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى انوشروان كان أشد الناس تطلعا في خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى في زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال خرج امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ليلة من الليالي يطوف يتفقد احوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا قد نامت منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى امير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر والرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته ام كلثوم بنت علي بن أبي طالب بنت فاطمة الزهراء رضي الله عنهما هل لك في أجر قد ساقه الله تعالى لك قالت

وما هو قال امرأة تمخض ليس عندها احد قالت ان شئت قال فخذي معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن واتيني بقدر وشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلي الى المرأة ثم قال للرجل او قدلي نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار و يضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت ام كلثوم رضي الله عنها بشرصاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا امير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا امير المؤمنين اهكذا تفعل بنفسك قال يا اخا العرب من ولي شيأ من امور المسلمين ينبغي له أن يتطلع على صغير امورهم وكبيره فانه عنها مسؤل ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضي الله عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم واطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضي الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي في البرمة وفي غدائت الينا فلما اصبح جاءه بما أغناه به وانصرف وكان رضي الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الأمة يعس بنفسه و يباشر أمور الرعية سرا في كثير من الليالي حتى انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قدامه انا ء فيه خمر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما راوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود فقال له يا امير المؤمنين قد اخطأت وانى تائب فاقبل توبتي فقال اريد ان أضرب على خطيئتك فقال يا امير المؤمنين ان كنت قد اخطأت في واحدة فانت قد اخطأت في ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من ابوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتبه واستحسن كلامه وله رضي الله عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه قد سلك طريق امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك وكان زياد بن ابيه يسلك مسلك معاوية في ذلك حتى نقل عنه ان رجلا كلمه في حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن ان زيادا لا يعرفه فقال انا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له انت تتعرف الى وانا اعرف بك منك بنفسك والله اني لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك واعرف هذه البردة التي عليك وهي لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثاني خلفاء بني العباس ولي الخلافة بعد اخيه السفاح وهي في غاية الاضطراب فنصب العيون واقام المتطلعين وبث في البلاد والنواحي من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور ودانت له الجهات واقد ابتلي في خلافته باقوام نازعوه وارادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا ان الله تعالى اعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له في الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد اولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى

على خلافه فعالجه باتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقط رؤس عنادهم باسيافه وكان
لكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له
الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها واحكمها بأوثق الاسباب فمن آثار يقظته
وفطنته ما نقله عنه عقبة الازدي قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابني فلما خرج الجند
أدناني وقال لي من انت فقلت رجل من الازد وانا من جند أمير المؤمنين قدمت الان مع عمر
ابن حفص فقال اني لأرى لك هيبة وفيك نجابة واني اريدك لامر وانا به معنى فان كفيتنيه
رفعتك فقلت اني لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين في فقال أخف نفسك واحضر في يوم
كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده أحدا ثم قال لي اعلم ان بني عمنا
هؤلاء قد ابوا الا كيد ملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم
ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندي وألطافا وكتبا
واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب
على ألسنة أهل تلك القرية والالطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيردك ويقول
لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيروني سرا وسيروا معي ألطافا وعينا وكلما
جبهك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه والعين والالطاف
وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته بالكتب فأنكرها ونهرني
وقال ما اعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته القول وذكرت له اسم القرية وأسماء
أولئك القوم وأن معي ألطافا وعينا فأنس بي وأخذ الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك
اليوم ثم سألته الجواب فقال اما كتاب فلا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابي اليهم فاقرأهم
السلام وأخبرهم ان ابني محمدا وابراهيم خارجان لهذا الامر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت
من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فاخبرته بذلك فقال لي المنصور اني اريد الحج فاذا صرت
بمكان كذا وكذا وتلقاني بنو الحسن وفيهم عبد الله فاني اعظمه واكرمه وارفعه واحضر الطعام
فاذا فرغ من اكله ونظرت اليك فتمثل بين يدي وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى
تقف من ورائه واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه واياك أن يراك
وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فاجلس عبد الله
الى جانبه وحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد
الله بن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما اعطيتني من العهود والمواثيق أنك لا تريدني بسوء
ولا تكيد لي سلطانا قال فانا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور بعينه فقمت
حتى وقفت بين يدي عبد الله بن الحسن فاعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام
رجلي فرفع رأسه وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثى بين يدي المنصور وقال اقلني يا امير
المؤمنين اقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله ان لم اقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه
محمدا وابراهيم ويستعمل أخبارهما قال علي الهاشمي صاحب غدائه دعاني المنصور يوما فاذا

بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بانواع العذاب وهو يقول لها ويلك اصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة والتي صدقتني لاصان رحمه ولا ثابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب وهي تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها أغمي عليها فقال قوا عنها فلما رأى ان نفسها كادت تتلف قال ما دواء مثلها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وان تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعنفه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت منه ذلك تغير وجهها وقالت نعم يا امير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله امتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتم وأمرتها أن تدخل منازلكم وتجمعكم وتتعرف احوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي دفعت اليه مالا وامرته أن يبتاع به ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وهو ائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا لتخذ النساء ما يحتجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما أراد والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والثلاثون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم

(حرف الهمزة)

(الاسد) من السباع والانثى اسدة وله أسماء كثيرة فمن أشهرها اسامة والحرث وقسور والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الابطال وأبو شبل وأبو العباس وهو أنواع منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو احمر كالعناب وغير ذلك وتلد أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتتفرج اعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عيناه مغلقة سبعة أيام ثم يفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى سنة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعاود فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سائل حبكم من غير بغض * وذاك لكثرة الشركا فيه
اذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورد ماء * اذا كان الكلاب يلغن فيه

واذا أكل وحش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفزع من صوت الديك

والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه انه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل أربع عيون تضيء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور وعين الأفعى وروى انه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الأسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من اى شئ ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وأنت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي ووالله ما أظلت السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا انفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم وناموا فجاء الاسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو بآخر رمق يقول ألم اقل لكم ان محمدا أصدق الناس ولبعضهم في الاسد

عبوس شموس مصلخد مكابد * جرى على الاقران للقرن قاهر
براثنه شثن وعيناه في الدجى * كجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر
يديل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) اذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ما قيل ان بختنصر رأى في نومه ان هلاكه يكون على يدي مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرى له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يبصبصان حوله ويلحسانه فاقام ما شاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرمياء بالشام ان اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرمياء فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك الى قلت ارسلني اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرمياء من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بقبر دانيال عليه السلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شئ (وحكى) ان ابراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الاسد هاربا وقيل لما حمل نوح عليه السلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الارض ثم شكوا اليه العذرة فامر الله الخنزير فعطس فخرج منه الفار فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه السلام فامر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس فخرج منه الهر فحجب الفار

عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه ان صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحلل المعقود ولحمه ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده في صندوق لم يقربه سوس ولا أرضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذي يعيش ألف سنة على ماذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (الابل) قيل ما خلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان حملت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت اروت وان نحرت أشبعت وفي الحديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهي من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطته الناس وقد أطاعها الله للادمي وغيره حتى قيل ان قطارا كان يبعض حمله دهن فزرت فأرة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهي مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماؤه قليل وماماؤه كثير جعل الله تعالى له صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفي الحديث لاتسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أي مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيده والذي يعرف لاتسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان ليس لشئ من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لاتعرف من أي شئ هي من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لاينزو على أمه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شئ رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة في العين كحلا وفي معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه السلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادي فاشتكى عرق النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء في ذلك فذهب الاكثرون الى انه لاينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبي وابن عباس وابو الدرداء وابو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعي وابو حنيفة وأصحابهم وخالف في ذلك احمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي وهو مذهب الشافعي القديم (خواصه) قال ابن زهر وغيره أكل لحمه يزيد في الباه وفي الانعاظ بعد الجماع وبوله يفيق السكران وبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها في الارض أضيف اسمها اليها قال القزويني اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التي دلت الجن على موت سليمان عليه السلام ومن شأنها انها تبني لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت مخروطا من أسفله الى اعلاه وله في احدى جهاته باب مربع ومنه

تعلم الاوائل وضع القوارير لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتي من خلفها
ويحملها ويمشي بها الى بحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يغلبها (الارنب) حيوان شبيه
العناق قصير اليدين طويل الرجلين بطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على
الذكر والانثى وله شدة شبق وربما تسفد وهي حبلى ويمكون عاما ذكرا وعاما انثى ومن
عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتي الصياد فيظنها مستيقظة فيل من رأى أرنبا عند
خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطاح به لم تقض له حاجة في
ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت
الارض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القوية حتى انها تخرب
الجدران وعند ولادتها ينتحل شعرها وهي تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه
انه ابله وفيه قوة وشدة وفي سفاده حالة تزوه يصرخ الذكر والانثى كالسنانير فاذا
وقع منه الانزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تديره وجهها فاذا ملكها بعد
ذلك فانها تجري به وهو راكب عليها ويجري معها (فائدة) ذكر ابن الاثير في الكامل أن
صيدا قال اصطدت ارنبا وله انثيان وذكر وفرج وقيل انقطت الارنب تمرة فاختصمها
الثعلب فاكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سمعا دعوت
قالت أتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت
اني وجدت تمرة حلوة قال فكليها قالت قد اختلف فيها الثعلب قال لنفسه بغي الخير قالت
فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمني قال اقتص قالت فاقتص بيننا قال قد قضيت
فذهبت أقواله امثالا ومن ذلك ما حكي ان عدي بن ارطاة أتي شريحا القاضي في مجلس
حكمه فقال له أين أنت قال بيتك وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني
تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أرف
لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال في حفظ الله قال
فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أملك قال بشهادة من قال بشهادة
ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من عاق عليه كعب ارنب لم تضره عين ولا سحر
وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل انفحة الذكر
ولدت ذكرا وان شربت انفحة الانثى ولدت أنثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب
البحري من السموم فلا يحل اكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وسلخت وملحت
وشرب منها مثقال زاد في الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى
اليهم فيدفنونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم
أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة
على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعي سجستان
ومن أعجب ما يحكى عنها انها لدغت انسانا فربطه فاصدعت جبهته (وحكى) انها
نهشت ناقة وفصيلها يرتضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال
له يا شبيب ادخلت سجستان فقال له نعم قال صف لي أفاعيها قال يا امير المؤمنين هي دقاق

الاعناق صغار الاذناب مقلصة الرؤس رقش برش كانها كسين اعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سموف وقيل انها تندفن فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الراز يابج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشرى اذا عميت الافعى بعد ألف سنة ألهمها الله تعالى ان تأتى البساتين وتلقى نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهى أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها فى كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذى ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهى تبيض على عدد اضلاعها اى ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا ومن عجيب أمرها انها لا ترد الماء ولا تريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع أنه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم فى الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأى بحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها الاندور واذا قلعت عادت ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفر بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حباشديدا واذا دخلت بصدرها فى بحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوى قال كنا فى طريق مكة فاصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا منا قطار جمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جعنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذونى جعلونى فى أواخر بيوتهم فبكيت فى حالة أتمنى فيها الموت وبينما انا كذلك اذ أتوا يوما بافاعى اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت فى نفسى هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فاملى ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فأطعمونى واحدة فلما استقرت فى بطنى أخذنى النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى نحو مائة مرة فلما اصبحت وجدت بطنى قد ضمر وقد انقطع الالم فعالجت منهم ما كولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما نشطت وثقت من نفسى بالحركة أخذت فى الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة (فائدة) قيل ان الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى وانما وجد فى زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا فى بعض متفرجاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتملق مثل الذى يشتكى فاراد بعض الجند قتلها فنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها الى المكان الذى تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فنخسها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فاخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفى فمها بزر فنثرته بين يدى

الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه فى الارض لننظر ما يكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ (لطيفة) من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا فى ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت فى سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذى خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر فى داخلها فاذا هى مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره ومن ألطف ما اتفق له أيضا انه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذى قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذى يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش انه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدى عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندى سوى اثنى عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فأمر باحضارها فأحضرها فاخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد أن تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لها متعين وفى الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فليتفقده ومن أوى الى فراشه فلينفقه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الاين للاين والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمرى (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) فى جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلى به واسانه ينفع افطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطىء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله اسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتيهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذى يسمى بالبنزهير الحيوانى وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع فى فيه نفعه وهذا الحيوان لا تثبت قرناه الا بعد سنتين وينبتان فى أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كشجرتين ثم بعد ذلك يلقيهما فى كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب الطرب والصيادون

يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت اذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه واذا أحرق واستنشق به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شئ منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(حرف الباء الموحدة)

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى انها لا تكون الا أنثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما ومن صفاته المحمودة ان يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحطاط من الجؤ غليظ الذراعين مع قصر فيهما (لطيفة) من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فارسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب تبيض وتفرخ على هيئة السمك لها اجنحة ليست بذوات ريش فاجازه مقاتلا على ذلك وأكرمه (بالة) سمكة عظيمة قال القزوينى يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهى تظهر فى بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها أرسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (بيغاء) هى أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادى والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) انه اهدى لعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجيع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر اكله السمك (بح) طائر لطيف يأوى اطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا الا اثنين فقط (براق)

هو الدابة التي ركبها النبي صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربي وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضي الله عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلخل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته ابو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق في ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط
اذا رأت خيلا على مربط * تقول سبحانك يا معطي
تمشي الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطي

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحبل ابدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طاسر وأبو عدي وأبو ثاب وهو يثب الى ورائه (وحكي) أنه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطير السنادي ويبيض ويفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما في الاماكن المظلمة وسلطانه في أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله أنياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتي أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على ظهره ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له أنه يمشي تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقلي ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع الفعل فقال له أنس في ذلك فقال أبدا بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابي

ليل البراغيث أعيا فى وأنصبني * لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي اذ خلون به * قضاة سوء أغاروا في المواريث

وقال أبو الرماح الازدي

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن * بوادي الغضى ليلي علي يطول
تؤرقني حدب قصار أذلة * وان الذي يؤذيه لذليل
اذا جلت بعض الليل منهن جولة * تعلقن في رجلي حيث أجول
اذا ما قتلنا هن أضعفن كثرة * علينا ولا ينجي لهن قتيل
الا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث على سبيل

وقال ابن اييك الصفدي

اشكو الى الرحمن ما نالني * من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما درروا * أني تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقرأ ومالنا أن لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة في دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت

فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج (بعوض) قيل انه على خلقة الفيل الا انه أكثر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه باربعة أجنحة وله خرطوم مجوف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى انه اذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الى أن ينشق أو يطار ومن عجيب أمره انه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض ان وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وانها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو أنك طعنت فيه بسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

اقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض
يملله فليس له قرار * ويخنسه فليس له تهوض
حماه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كأنك حين تهدى بالاغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخاوعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يا من يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى منا طعروقها فى نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أوداجها * منتقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين بسطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تمثل
ويرى مكان الوطء من أقدامها * فى سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ما هو دونها * فى قاع بحر مظلم متهوّل
امنن علىّ بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

(بغل) معروف وكنيته أبو قوص وابو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب ان كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ما ذكر (بقر) هو حيوان شديد

القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهي أكثر ألبانا وكل حيوان اناثه ارق اصواتا من ذكوره الا البقر واتنها يضربها الفحل فى السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت واذا طلع عليها الفحل النوت تحته اذا أخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودى رأيت بالرى البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكى فى الاحياء ان شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل فى بعض الاودية وهى واقفة ترعى فرعيها انغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التى كنا نخلطها بلبنها اجتمعت نغرقتها (فائدة) ذكر ابن الفضل فى كتابه عن وهب بن منبه انه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا فى نهاية العظم والقوة وأمره ان يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثا له أربعة آلاف عين ومثلها انوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له يهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزنجبار أحمر طرد العقارب واذا طلى به اناء اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد فى الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل فى طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلى به على الأثر الاسود فى البدن ازاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت فى عسل وأكلت فانها تزيد فى الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الاسنان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها ان تدخل على كل طير فى وكره وتأكل افراخه ولمعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون فى اشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها حسناء وهى أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها انها تنام باحدى عينيها والاخرى مفتوحة فاذا اخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم ما دام فى يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فألقهما فى الماء فالراسية للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهى نائمة تحدثت بجميع ما فعلته فى نومها (بوقير) طير أبيض يأتى منه فى كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيمسك منها شيئا فان أمسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان امسكت اثنتين كان كثير الخصب

قوله كيوثا بياض ان خلدون لو تأمل كيف الزهر وروح السان والبهجة اه ولحرر

وان لم تعلك شيأ كانت السنة مجدبة واهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة ماربة أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

(حرف التاء)

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي انثى في ذكر اذا أطبق فمه على شئ لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد بحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع الى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في البحر تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل في فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج والذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح ان له ستين نابا وستين عرقا ويسقد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا افرخ فاصعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد الصقار اخذه انثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا انها لا تستطيع الانقلاب لبسوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه اضعف الحيوان وهو كلب الماء يقال انه يتلبط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه في فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل في جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد الى امعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر في أذن من به صمم نفعه (تنبيه) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين لهما بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها في البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها في النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

(حرف الثاء)

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل في طلب الرزق فمن ذلك انه يتموت ويتنفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد ومن حيلته انه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه

فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه انتن من سلح الحبارى ومن لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه ادفأ الفراء وفيه الابيض والرمادى وغير ذلك وذكر فى عجائب المخلوقات انه اهدى الى ابى منصور السامانى ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد ألصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكياء والحافظ ابو نعيم فى حلية الاولياء عن الشعبى انه قال مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ماخلا الثعلب فلم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فأعلمنى فلما حضر الثعلب اعلمه الذئب بذلك وكان قد اخبر بما قاله الذئب فقال الاسد اين كنت ياأبا الحوارس قال كنت أتطلب لك الدواء قال واى شئ اصبته قال قيل لى خزعة فى عرقوب ابى جعد قال فضرب الاسد يده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيأ فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه ياصاحب الخلف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالامانات وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يقتسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الاسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب انا اقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغذى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث يتنقل به فما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضى ما اعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمنى التاج الأحمر الذى أبستنه هذا وأشار الى الذئب (وحكى) ان الثعلب مر فى السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له اما تنزل نصلى جماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه أما تأتى لنصلى فقال قد انتقض وضوئى فاصبر حتى اجدد لى وضوأ وأرجع ومن العجيب فى قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى اتقن ما صنع (الخواص) رأسه اذا ترك فى برج حمام هرب الحمام منه وناب يشد على الصبى يحسن خلقه ومرارته يجعل منها فى انف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللقوة والجذام وخصيته تشد على الصبى تنبت أسنانه وفروه انفع شئ للمربوط ودمه اذا جعل على رأس اقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ (ثعبان) هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو انثى وهو عجيب الشأن فى هلاك بنى آدم يلتوى على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لا كلت الثعابين اهل مصر (لطيفة) قيل ان عبد الله بن جدعان كان فى ابتداء امره صعلوكا وكان شريرا يقتل ويقتل وكان ابوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد فى

صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرذ والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا لانه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

(حرف الجيم)

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائما هاربا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور فضربها بذنبه فتفرج له فيلقي بيضه فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذي ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا طعن أميره تتابع خلفه وفي الحديث ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من انعم منك يا يحيى وقد اجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه أن الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر قال فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها ان جروا دخل تحت سرير في بيته صلى الله عليه وسلم فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحي قال لعله حدث في البيت شيء فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير *(عجيبة)* حكي أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ الفعل في يوم كذا وصار يعدد أفعاله لها فقالت له ان صاحبك لم يقتلني ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جرو فأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما العبة كانا يلعبان بها قال جرو

كلب قال ائتني به فاتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأي بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفرلهما مكانا يدفنهما فيه فامسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ماتقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى

(جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق بعض البهائم في وجهها قترب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من اختلائهما ومن شأنه جمع الروث واذخاره ومن عجيب أمره انه اذا شم الورد مات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه انه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

(حرف الحاء)

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض ولشدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب ولشدة شبقه وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوي على غيره أخذ بيضه فضمنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه انه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصيادون في أشراكهم (غريبة) قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمي الاكراد فأتي على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فربي تاجرا فأخذته فلما أردت قتله تضرع الي فلم أقبله فلما علم أنه لابد لي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهد الى أنه قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عندمن أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين واذا سعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوي بصره

(حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادي وهي لا تصيد الا خطفا وفي طبعها أنها تقف في الطيران وهي أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لا تأكل أفراخ جارها ويقال انها طرشاء وفي طبعها انها لا تخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهي سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب

(عجيبة) روى الحافظ النسوي في فضائل الاعمال أن عاصم بن أبي النجود شيخ القراء في زمانه قال أصابتني خصاصة فجئت الى بعض اخواني فاخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت رأسي على الارض وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضي الحاجات اكفني

بجلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك قال فوالله مارفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فاذا بجدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة في قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لي عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف في الظل وتنقع في اناء زجاج فمن لسع قطر منها في ذلك الموضع واكتحل مخالفا بجهة اللسع ثلاثة أميال ابرأته ودسمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع في بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها تشبه رأس العجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهي أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت في كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوي في حلقها فلذلك تخطف به مابعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشري بريدك ان الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها انشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا انشرت اجنحة أحسن من تلك ملونة واذا مشت تطأطئ برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء (حمار أهلي) معروف ليس في الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو مجدود وأبو بحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك الطريق *(لطيفة)* في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدي ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبي ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أتوقعك لتركبني وأنا عند يهودي يجيع بطني ويضرب ظهري وكنت أعثر به عمدا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفور وقال له أتشتهي الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه في حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضي حاجته فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلي في التعريف والاعلام وللناس في ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض فمن مدحه أن أباصفوان وجد حمارا كبا على حمار فقيل له في ذلك فقال عمر هي من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويمنعني أن أكون جبارا في الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبي يسار مثلا في الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة ومن ذمه مانقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لاتركبوا الحمار فان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل مايبغي لمركب الدجال ان يكون مركبا للرجال وقال اعرابي الحمار بئس المطية أن أوقفته

أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغرث سريع الى الفرارة بلى فى الغارة لا توقى به الدماء ولا تمهر به النساء ولا يحلب فى الاناء قال الزمخشرى

ان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد قيل كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحى أغير عليهم فاخذوا فاصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة فى هلاك ما عندى فمن عرف لطف الله رضى بفعله (حمام) هو أنواع كثيرة والكلام فى الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشدادو الغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطاب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الاخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ فى يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا أبصره يعتريه ما يعترى الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفار اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الاذكره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويفقد لتمام أربعة اشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى البيضتين ذكرا والاخرى أنثى واتخاذها فى البيوت لا بأس به غير أنه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شئ مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شئ أبله من الحمام فانه تؤخذ فراخه فتذبح فى مكان ثم يعود فى ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شئ من الطير غيره وهو الهادر الذى جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا يبع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق (الخواص) دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرى حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دار صينى نفع

من الحصاة

(حرف الخاء)

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادي اللون يسكن ساحل البحر ومنه مالونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم انه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لا تجدها تفارق البيوت وهي تبني بيتها في أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فتمرغت في التراب والماء وأتت فطينته وهي لا تزيل داخله بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها في أقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تبقى الى كل الانام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم * اضحى مقيما في البيوت ريبا

ومن شأنه انه لا يفرخ في عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب البرقان يلطخون أفراشه بالزعفران فيذهب فيأتي بحجر البرقان ويلقيه في عشه لتوهمه أن البرقان حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به البرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره أنه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمي ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيضيق من غشاوته ويفتح عينيه *(لطيفة)* قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تمنعين مني ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبي الله ان العشاق لا يؤاخذون باقوالهم (الخواص) مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش) طير يوجد في الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا في ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذي يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير القرسخين في ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه السلام لما سأله النصارى في طير لاعظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهي تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهي سائرة فيرى في مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائي انه حيوان ستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطارد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها في زمن هيجانها وتطأطئ رأسها وتغير أصواتها وتحبل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل

ثمانية واذا بلغت الانثى خمس عشرة سنة لاتحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير فى نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع مالاقاه واذا التقى نابا من الطول مات لانهما حينئذ يمنعانه من الاكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كابا استطشعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب امره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شئ من لحمه على ماذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسولان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة (فائدة) قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فاجابه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطرقى يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتونى بخنفساء فتحلل منه الحاشرون فقال ائتوه بالذى يطلب فأتوه بها فاخذها فاحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح أن الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن فى أخس المخلوقات أعم الادوية فسبحان القادر على كل شئ (الخواص) اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ماذكر (خيل) جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فاتى جبريل فاخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين القوس أو البراق فقال الفرس يارب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفى الحديث ما من فرس الا ويقول فى كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس للانسان وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث ان الملائكة لاتحضر شيأ من اللهو الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولا يرد عليه ان ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تبعتها الحصنتهم فاغرقوا لان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى أن يعبر البحر فعبره وهو خلفه فاعمى اعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها الصافنات وهى التى اذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك وكانت

الصافنات

الصافنات ألف فرس لسليمان عليه السلام فعرضها يوما ففاتته الصلاة قبل صلاة العصر فاغتم بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لايحب الماء الصافى ولايضرب فيه بيده كما يضرب بها فى الماء الكدر فرجابه فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولايراه فى الماء الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس * ربطناها فأثمرت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم * وتكسبنا الاباعر والجمالا

(حرف الدال)

(دابة) اسم لكل مادب على الارض وأما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبا فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك أن سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت ما لم يخلق قال وكان قد بنى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخى يا عزرائيل أمهلنى حتى يفرغ قال ليس فى امر ربى مهلة قال فتقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ما صنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك سنة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فأكلتها فخر ميتا ففرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت واما الدابة التى من أشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهى مختلفة الالوان وذلك فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أو سائرين الى منى ومعها عصا موسى وخاتم سليمان لايدركها طالب ولايفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر وروى انها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك ما نعلم لها قضية غير انها جارية حديثة السن تنجن وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولايخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل باثنتاه وتضع جروا واحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمر لانها تضعه قطعة لحم ثم لاتزال تلحسه وترفعه فى الهواء أياما حتى تنفرج

اعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفي ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهي من الحيوان الذي يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمي بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذي لا يقطع الا بالفأس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحدا الا قتله (دجاجة) وكنيتها أم ناصر الدين وام الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مح وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف في الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض في اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة في بطن الدجاجة في عشرة أيام وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب في صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاء له كما خلق الطفل من المني وجعل دم الحيض غذاء له فتبارك الله احسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتي يزيد في العقل ويصفي اللون ويزيد في المني ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر (دج) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك في أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر في قدره ولونه ويخرج في الاماكن الدافئة اذا كان مصرورا في حق وربما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر اصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك في مدة ستين يوما قال ثم يأخذ في النسج بما يخرجه من فيه الى أن ينفد ما في جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينشران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير تركا في الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستي

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وقال آخر

بفني الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه

لا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة لانه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها انه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل انه ليوقته ويقسمه وربما لا يخرم فى توقيته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون بن مهران ان لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلمون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لا تسبوا الديك فانه يوقت للصلاة وزعم أهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الاقرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (نادرة) قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فأرادت المرأة تمسكه ففر فتبعته فصار يخترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق الى هذا القدر فأرسل اليه هذا شاة وهذا ثمانين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ما هذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة يتولد من العفونة ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدباء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى احدى جناحيه دواء وفى الاخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء (وحكى) أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لاى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن لى ألم فقالوا هذا كان حقنا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب انها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت بها المرأة كانت عينها أحسن

مايكون وقيل ان المواشط تستعمله و ياهرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات والقى عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو ثمامة لونه رمادى وهو من الحيوان الذى ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى ويطول فى سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها اكلوه واذا خاف منه الانسان طمع فيه وليس فى الارض أسد يعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا واتمهم سلاحا كان الحمية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفأر فيسيل عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الاتهام عند السفاد الا فى الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر انهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا فى طرفها لمعانا وبريقا فقصدوا اليه واذا هم بشئ مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفؤس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجروه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحمة ولة كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب وألقى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ما ساروا فى البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مسيرة تسع قلوع ووقع الحجر فى البحر فنجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقى معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الاكبر (رخم) طير أغبر أصقر النقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انما اصماه وسبب ذلك ما قيل فى بعض الحكايات ان موسى عليه السلام لما مات تكلمت جونه وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

(حرف الزاى)

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فينزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح انها خلقة بذاتها ذكرا وانثى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة فى بنيانه بيته وذلك أنه

بينيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى ايام الربيع فيتفتح الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير وفى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته انه اذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش واسمه تزال بعصارة الملوخية

(حرف السين)

(سعلاة) نوع من الشياطين قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمسكته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من يتقذنى منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها (سمندل) حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره انه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفأر يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق (سنور) حيوان متواضع الوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كلها وأسماؤه كثيرة (حكى) ان أعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القط والقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخبيث والقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الحيوان المحال والقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر قال أبيعه قيل له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين منه وتراهن يتردد ن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة تجلت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان فى بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ ولده بلعابه حتى يصير كان الدهن يسرى فى جلده وقيل اذا بال الهر تشمم بوله ودفنه قيل لاجل الفأر فاذا شمه علم ان هنالك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه ومخذيه (سوس) هو دود الحبوب والفاكهة ومن الفوائد التى تكتب فى الحبوب فلا تسوس اسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لا يقتدى بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(حرف الشين)

(شادهوار) حيوان يوجد بارض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة

مجوفة فاذا هبت الريح سمع لها صوت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن واخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شئ من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيأ يوجد بالغياض فى قصبة أنفسه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهى تعلم ذلك منه وتحتر زفاذا لم يسمك منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة تهرب وتتركه (شاهين) طير يكون كهيئة الصقر الا انه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل أقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل اول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تظله من الشمس اذا سار فاتفق فى بعض الايام انه ركب فدارت الشواهين عليه وسار فطار واحد منها وانقض على صيد فاخذه فاعجب الملك ذلك وصار يتصيد به (شحرور) طير أسود فوق العصفور يصوت باصوات عجيبة مطربة

(حرف الصاد)

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء (صعو) طير من صغار العصافير أحمر الرأس

(حرف الضاد)

(ضأن) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه واحدا واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهى صفوة الله من البهائم ويقال فى المدح هو كبش من الكباش وفى الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لى الاخوان حين طبختها * أتطبخ شطرا نجا عظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتى غنم من الهند للكبش منها آلية فى صدره وأليات فى كتفيه وآلية على ذنبه وربما كبر آلية الضأن حتى تمنعه من المشى ومن عجيب أمرها أنها اذا تنافدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم (ومن خواصها) أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد فى المنى والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حملها واذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ماذكر والله أعلم (ضب) حيوان يجعل جحره فى الارض الصلدة وعنده بلم فربما لا يهتدى لجحره اذا خرج منه فلذلك لا يحفره الا بقرب كودية او اشارة وهو من الحيوان الذى يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه انه يصبر على الماء يقال انه

لا يشرب

له يسمى الصرصار الخ
ى فى القاموس طائر
سم الرأس يصطاد
ما فيراه فهو أكبر من
غفور كما فى عبارة غيره
له يسمى الصرصار على
ر انه نفساء ليس بظاهر

لا يشرب فانه يبول فى كل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة واكثر وتجعلها فى الارض وتتعاهدها فى كل يوم الى أربعين يوما فيخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمى ولذلك يجعل العقارب فى جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة فى بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى بينه وبين الافاعى مناسبة وذلك انه لا يخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وفى كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسمينى العرب بجعولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعنى يارسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عمر أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب واخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ياضب فاجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه فقال من أنا ياضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابى عند ذلك يا ويلاه ضب اصطاده بيدى من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا واقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا منى اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة منى اليك ولا ئت الساعة أحب الى من أهلى وولدى وما تملك يدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك لهذا الدين الذى لا علو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمنى ياحبيبى قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله ألك مال فقال ياحبيبى ليس فى بنى سليم أفقر منى فقال لاصحابه اعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله عندى ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة فى الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطف لك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابى من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بقصته فاسلموا عن آخرهم وأمر النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطنى بتمامها والبيهقى والحاكم وابن عدى (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلى به الذكر يزيد فى الباه وكبده يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شئ وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا (ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمى حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها فى خل سبعة أيام ثم جعلها

تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم فى قبل ماء ونثر بذرات سحره (ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الامطار وأول مايظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نتج جعل فكه الاسفل فى الماء والاعلى من خارج وفى صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكرا لله تعالى من الضفدع وفى الآثار أن داود عليه السلام قال لا سبحن الله تعالى بتسبيح ما سبحه أحد قبلى فنادته ضفدعة يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا الى تسعين سنة ما جف لسانى عن ذكر الله تعالى قال فما تقول فى تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وما عسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله أعلم

(حرف الطاء)

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو فى نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة فى كل شهر فى السنة اثنا عشر بيضة أو أقل أو أكثر ويسقط الذكر فى ايام الربيع ويرمى ريشه فى ايام الخريف كالشجر فاذا بدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما (فائدة) قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاءه مبادى السكر لعب ومشق بيديه كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور قيل لانه كان سبب الدخول لابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

(حرف الظاء)

(ظبى) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الآرام وهى ظباء الرمل ولونها رمادى وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر وهى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبى يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحيتها فى الماء العذب فأى شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبى يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لا تزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها انها تأتى بيت الظبى فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل ما فيه وتأكله

بعد ذلك

(حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمي بذلك لاستعجال بني اسرائيل بعبادته والسبب في ذلك أن موسى عليه السلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامري في قلبه من حب عبادة البقر شيء فابتلى الله به بني اسرائيل فقال ائتوني بحلي قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذي كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم (فائدة) نقل القرطبي عن سيدي أبي بكر الطرطوسي رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية أن هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله وأما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة عباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغي لولاة الامر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل كثير والعدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب النائم الا اذا تحرك شيء منه والخنافس تأوي اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا أسود قد أقبل الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت أنه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فأتزرت بمئزري وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها عظاما ناخرة من شدة الحر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فلما قرب العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يارا قد الليل يحفظه * من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جريت أنا ذلك التنين ورميته في البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى أن مات رحمة الله تعالى

عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هدّ قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالنجائب

(فائدة) اذا لدغ أحد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لادابة بين السماء والارض الا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لاتلدغوه ان ربى بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب واسان الحية ويد السارق بقول اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو أنه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملها معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرط له ذلك (الخواص) من جرب البيت بزرنيخ أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب منقالين من حب الاترج أبرأه من سمها ومن علق عليه شئ من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته (عقعق) طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لا يأوى الا الاماكن العالية واذا بيض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده (الخواص) دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن اخرجه (علق) دود أحمر وأسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمى فاذا علقت بك فرش عليها ملحا وملحا واذا علقت بفرس فبخره بورق الشعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل بياض بياضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وسميت بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخاف الفيل لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس الى أن خافت عروسا يحملها فذهب أهلها الى نبى ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر

حتى قيل انه يعيش ألفى سنة ويتزاوج اذا مضى عليه خمسمائة (وحكى) الزمخشرى فى ربيع الابرار ان الله تعالى خلق فى زمن موسى طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له انثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه السلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوه اله فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده دودا صغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته (فائدة) قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبغى بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا أصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها القضى بعض شؤنها وعمد الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب قال فجاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة فدعت بمن يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فاقامت هنالك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هنالك اخطبى لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتنى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها متجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان فى بعض الايام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرأها متجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا قالت له لا اعلم الا أن أمى أخبرتنى أنه كان لنا خادم وأنه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وانها حين رأتنى كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها أنا ذلك الخادم وحكى لها السبب وأن ذلك السائل أخبره انها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بامرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها أن تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هو ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بأبهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فأفاده قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة (فائدة) نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أنيس

لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلي فقتله وحمل رأسه ودخل به في غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه (الخواص) نعجبها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة اذا دلك به والذي يوجد من نعجها في بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به (ابن عرس) حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفأر وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وامرأته واقفة تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذي كان عليه الفأر فسقط فأخذته أنثاه ومما يحكى عنه انه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه (عجيبة) قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر ومازال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فاراد ابن عرس أن يأخذ ما بر طله به فلما علم الرجل ذلك فهم أنه لم يبق عنده شئ فافلته له

(حرف الغين)

(غراب) وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة فخير وهو كالانسان عند الجماع وفي طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والاب يسعى في طعمتها الى أن تفرخ فاذا فرخت حربت أفراخها قبيحة المنظر فتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريري يا رازق الغراب في عشه * وجابر العظم الكسير المهيض ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة أكل منها ويقتم من الارض ما وجد ويسمى بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجده في طريقه رمة فسقط عليها وترك ما أرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق في أثرهم ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب ألفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقرب بطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره (الخواص) اذا غمس الغراب في الخل ثم جفف ومحق ريشه وطلى به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزبل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صرفي خرقة على من به السعال زال (غرغر) دجاج بني اسرائيل يقال ان فرقة من بني اسرائيل كانت بتهامة فطغت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بان جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وعنهم الارالة وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد في زماننا هذا الآن على ما نقل والله أعلم

(حرف الفاء)

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى ان الحيات

تهرب من صوتها وفى طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها فى البيوت وهى من الحيوان الذى يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة (الخواص) دمها ينفع من الآثار فى العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها (فارة) وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهى التى قطعت حبل سفينة نوح وأذاها لا يكاد ينحصر ومنه انها تأتى الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت فى فيها بماء وأفرغته فيه حتى يعلوها الزيت فتشربه وربما وضعت فيه جمرا فيكسرته ويقال انها من بقايا المسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها لبن ناقة فى اناء فان لم تشربه فهى منهم (الخواص) عينه تشد على المائى يسهل تعبه واذا بخر البيت بن بل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار (فرس البحر) حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره (فهد) حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو هو متولد من الاسد والنمر وفى طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفى طبعه الحنو على انثاه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراسانى (فيل) حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته أبو الحجاج والانثى أم سبل وهو يئز على انثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل انثاه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر فى مدة حملها ولا بعده بثلاث سنين ولا يلقح الا بيلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة علته كالجمل ويهيج فى زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان ثديه فى صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون ان أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس فى مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذى فى خرطومه لا ينقذ وانما هو وعاء اذا ملأ من طعام أو ماء أو بله فى فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وأهل الهند تجعله فى القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخل تحت أمره وقيل جعل الله فى طبع الفيل الهرب من السنور (حكى) عن هرون مولى الازد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر فى وجهه فادبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا انه هرب منه قال أبو الشمقمق

يا قوم انى رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لى فى رؤية الفيل

رأيت بنانه شيء يحركه * فكدت أفعل شيأ في السراويل

وقيل اذا اعتلم الفيل لم يكن اسواسهم الا الهرب بانفسهم ويتركونه ومن عجيب أمره ان سوطه الذي به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه في جبهته والآخر في يده راكبه فاذا أراد شيأ غمزه به في لحمه وأول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك قيل خرج كسرى أبروين لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل واحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند ان جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا أطيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا في بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا ان جوهر نابه أكرم وأثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة في قوله نحن اكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيل لا تنسافد في غير بلادها (فائدة) من قرأ سورة الفيل ألف مرة في كل يوم عشرة أيام متوالية ثم جلس على ماء جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمني وأساء فيّ ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقصه قيص الردى اللهم اقصفه ست مرات اللهم اخفضه مرتين فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله واق فان الله يستجيب له ما لم يكن ظالما (الخواص) جلده اذا بخر به بيت هرب بقه واذا سقي انسان من وسخ أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شيء على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

(حرف القاف)

(قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا انه ابرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب (قاوند) طير يكون بساحل البحر بيض في الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيرقها بعد سبعة أيام ويقال ما يمسك الله البحر في هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا اكرامه لانه يقال انه يبر والديه (خواصه) انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب (قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدي للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس في الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعدو خلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومي يوما الى أبي الحسن الاخفش وهو يحاكي مشية القرد فقال

هنيأ يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد في قبح وسخف * وما قصرت عنه في الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب امره أنه يصعد الكرم فيرمي العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما أطاق فان كان له افراخ تمرغ في الباقي فيتعلق بشوكه

فيذهب به الى أولاده وهو مولع بأكل الافاعى فاذا لدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا تأذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول أذاها وهو من الحيوان الذى يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

(حرف الكاف)

(كركند) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل نابا شيأ معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة اربعة آلاف أو أكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوى الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع أخرج الولد راسه من بطنها وصار يرعى أطراف الشجر فاذا شبع ادخل رأسه بطن أمه ويزعم أهل الهند أنه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهو يأمنه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ (كروان) طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا فى القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يبصره ولا يحتمل المغابنة (كركى) طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فشتاؤه بارض مصر ومصيفه بارض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا نامت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزوينى واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية (كلب) معروف وهو نوعان أهلى وسلوقى وهذان النوعان سواء الا ان أنثى السلوقى أسرع فى التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفى طبعه اكرام الاجلاء من الناس (حكى) أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم فى منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فأنشد يقول

ومازال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عهدى والخليل يخون
فواعجبا للخل يهتك حرمتى * وواعجبا للكلب كيف يصون

(وحكى) أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم يثنه ولم يرجع فلما تعدر بعض الكلب بين يديه فجاء عدوه فى طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بقرهناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فمازال يبحث فى التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به اناس فتنادوه وردوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة

وسمى ذلك قبر الكلب وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

(ومن ذلك ما حكى) أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنى عشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فارسل من جاءه اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغنى لانه يرى من نعمته وبؤس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أول الكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك (فائدة) حكى أن الامام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروى أحاديث مثالثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فاخذت فى نفسى وأضمرت أن أرجع اذ لم يلتفت الرجل الى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يرح الجنة وان أرضنا هذه ليست بارض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخشيت ان أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا الى أهله (فائدة أخرى) قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل وأطعمه اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما السلام وذلك لان قومه كانوا يعمدون بالليل فيفسدون ما صنعه فى السفينة بالنهار فامره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه السلام فيدفعه (فائدة) قيل كان كلب أهل الكهف أسعر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان ما يدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم (فائدة أخرى) اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فانك تكفاه

* (حرف اللام) *

(اللقلق) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتى الى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل ما قسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

(حرف الميم)

(مالك الحزين) طير يوجد بالفحص غذاؤه السمك وسمي بذلك لانه قيل انه لا يشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الفحص حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بارض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغر ما خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا يستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت فى مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع فى حرها لبردها وفى ورودها لصدرها لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا وللقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها ان يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشئ من بعيد ولو وضعته على أفقد لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شئ استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعل فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم (نحل) حيوان ليس له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفى طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه فى تدبير معاشه انه يبنى له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافى وأتى فاخرج ذلك فاول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية وما مات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى (فائدة) قيل مر مرض شخص فقال ائتونى بماء وعسل فاتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفى وروى أن شخصا شكا للنبى صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فامره بشربه ثم جاء فى الثالثة فقال يا رسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى (نادرة) قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله

تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من اللطفاء جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطون بني هاشم فضحك الحاضرون عليه وأبهته (الخواص) اذا خلط العسل الخالص بعسل خالص واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للسموم (نسر) هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب في يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قبل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه في تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله في عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض في الاماكن العالية ويلقيه في الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق ألفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للانثى منه أم قشعم وفي الحديث أتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد لكل شئ سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربي وسيد العربي القرآن وسيد القرآن سورة البقرة (الخواص) اذا أخذ قلب النسر وجعل في جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضي الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها (نعام) يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بأم البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا منساوية القدر وتجعلها ثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تأكله في حضنها وثلثا تكسره وتفقحه فتعقض ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها (فائدة) روى كعب الاحبار رضي الله عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق اولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان في زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى ان يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء كالضب ويقال ان القناص اذا ادركها أدخلت رأسها في شئ اما شعب أو بحر تظن انها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجر وفي طبعها الاذى يقال انها تخطف الخلق من اذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وافراخه مادام الابوان حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى ان يسلمه الى الانثى فتركضه الى ان تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه او يعجزهما هاربا وقيل اشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان اصمان لا يسمعان النعام والافاعي وسأل

أبو عمرو الشيباني بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (نمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة في خلقه ويقال ان أشاه لا تدع ولدها الاطوقا بجبهة ولا يضره نهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفأر فيبرأ وفي طبعه عداوة الاسد وعنده شرف في نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون (الخواص) من حمل من جلده شيأ صارمها باعند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

(حرف الهاء)

(هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه السلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه السلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبا أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه السلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبي الله اني رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه السلام لما أراد تعذيبه يا نبي الله اذكروقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه (الخواص) اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمخه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه ومن علق عليه لحيه الاسفل أحبه الناس والله أعلم

(حرف الواو)

(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل نفسه اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنوه قال بعضهم انه يقول في صياحه لدوا للموت وابنوا للخراب * والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمي البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لما خلقوا وليتهم علموا لما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربي الاعلى والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته في الضالين كالقارئ

(حرف الياء)

(يأجوج ومأجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمي غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه السلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتقى منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي الحديث يأجوج

ومأجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة اه وهم أصناف منهم ماطوله عشرون ذراعا وماطوله ذراع وأقل وأكثر وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتساقد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا في الارض كان أولهم بالشأم وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شئ يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له أذنان احداهما صلدة والاخرى وبرة فهو ينتصف باحداهما ويفترش الاخرى وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه السلام دعوتهم ليلة أسري بي فلم يجيبوا فهم خلق النار وفي الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحد وفي الحديث ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت الى أرض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت في بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتني فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا بأس عليك ان هذه الضجة اصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا البنه مثل الصخرة وسامير مثل جذوع النخل كله من حديد كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذي بناه ذو القرنين وهذه الامة خلفه تطلب المجئ الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضي الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع في حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار في ذلك كثيرة (يحمور) دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقى قرنيه في كل سنة وهما صامتان وقال الجوهري هو الحمار الوحشي (نادرة) قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لي عليك حق واني رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وما هي قال اذا وصلت الى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا ركب الجني انسانا ما يعمل له قال تشد ابهامه بشعر من جلد اليحمور وتقطر في أذنيه من ماء السذاب في اليمنى أربعا وفي اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسي ففعل ما أمره به الجني من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عند ناعقلها فلا تفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم أنوني بشعر من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهامها وقطرت ماء السذاب في أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسي ثم مات من ساعته وشفي الله

تلك الشابة

(فصل فى خواص الطير والحيوان على الاجمال) الضب والخنزير لا يقيمان شيأ من أستانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان أهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها لانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن وما لا قرن له فله حافر والحيوان المتهم بالواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعبون التى تضيء بالليل عين الاسد والنمر والأفعى والسنور والذى يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذى يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والارنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت ايراده فى هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم)

ذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الارض قبل آدم ثمانيا وعشرين أمة على خلق مختلفة وهى أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ما له أيدان كالأسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوى ومنها ما له وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمى وظهره كالسلحفاة وفى رأسه قرن وكلامهم مثل عوى الكلاب ومنها ما له شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ما له أنياب بارزة كالخناجر وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجمل من الانسان وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة وعشرون فى البر وفى الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهى والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفى الحديث لا تضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى فى البشر أكثر من أن تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت سن أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندى فى باشقرد نصف ثنية أخرجت لى من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألفا ومائتى مثقال وكان دور فك ذلك العادى سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت فى بلغار

سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنق أو دبق كان يأخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا ويضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقيني يسلم علي ويرحب بي ويكرمني وكان رأسي لا يصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن في بلغار حمام يمكنه دخولها الا حمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات في بلغار وقال لي قاضي بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ذهبته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته وروى عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجلهم الا أنه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيخطاها كما يخطو احدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا في أفعاله يسير في الارض برا وبحرا وينفذ ما شاء ويقال انه لما حصر بنو اسرائيل في التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذي على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق في عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه السلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز في الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن أمه عنق بنت آدم عليه السلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفي كل يد عشرة أصابع ولكل اصبع ظفران كالمنجلين وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هي أول من بغى في الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه السلام أسماء عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها فغافلتها عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فأرسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بسنتين * ومن ذلك ما حكي عن بعض فقهاء الموصل انه شاهد ببلاد الاكراد الحميدية في جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوي ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه (وروى) عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيد وهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لي أحسن الله عزاءك في أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط في

أسفله جبل وثيق وترك حتى ذبل ثم قطع ورأيت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا
(ومنه) ما أرسله بطارقة الروم الى ناصر الدولة وهو رجلان فى جسد واحد فأحضر الاطباء
وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم
فقالوا له لا يمكن فصلهما ويقال انه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان فى
بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما * ومن ذلك ما ذكر أنه أهدى الى أبى منصور السامانى فرس
له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد ألسقهما (وذكر القاضى)
عياض رحمة الله تعالى عليه انه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا فى السنور البركى وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل
ومثلها أيد وذكر أنه كان لبعض ولاة مصر مملوك يدعى طقطو فولاه قوص من أعمال
الصعيد فتزوج بها وولد له ولدتم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين * واما كبش بأربعة
قرون ودجاجة بأربع أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى
فى مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصى ثناء عليه (ومن ذلك) انسان
الماء وهو حيوان يشبه الآدمى وفى بعض الاوقات يطلع بحر الشام شيخ بلحية بيضاء
ويستبشر الناس برؤيته فى تلك السنة بالخصب ومن ذلك بنات الماء وهم أمة ببحر الروم
يشبهن النساء ذوات شعور وثدى وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب
ولهن رجال من جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة
لا توجد فى غيرهن من النساء ثم يعيدونهن فى البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبرلس
ورشيد على ما ذكر (وحكى) عن الشيخ أبى العباس الجزرى قال حدثنى بعض التجار أنه فى سنة
من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها
فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن
ما يكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقيها شئ كالثوب يستر قبلها ودبرها ودائر عليها
كالازار فأخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما
تصيح النساء حتى ماتت فى أيديهم فألقوها فى البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى)
القزوينى عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بها مدة
وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة
وكمنوا فى جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فأخذوا منهن ثلثين
فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها فوثبت فى البحر وأما الآخر فبقى
مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كانه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر
وثق بها فأطلقها فأغفلته وألقت بنفسها فى البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام
ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه درّ وجوهر فباعه وصار من
التجار * ونظير هذه الحكاية ما ذكره ابن زولاق فى تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة
الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين كأنها
البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وولدها ولدا

ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ورفق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها في البحر فكاد أن يلقي نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه درر ثم سلت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه ومالم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع مالم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات في الآفاق والسموات مايدل عليه قوله تعالى وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب فكل الاشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الاله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية ... تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذي يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذي أودعه هذا السر قادر على كل شئ فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان في بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبي في كتاب سير الملوك وذكر أن في بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش في أرضهم ذكر وان هؤلاء النساء يدخلن في ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرا أبدا وقيل ان ولد تبع اليماني وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التي دخلها ذو القرنين وأن ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذي بنى افريقية وسماها باسمه وانه وصل الى وادي السبت وهو واد يجري فيه الرمل كما يجري السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استحيل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله تعالى أعلم وتلك الامة التي لا رؤس لهم أعينهم في مناكبهم وأفواههم في صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذي لا خوف معه ففي بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التي لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفي بلادهم وجزائرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصيني والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان الملك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك في سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتغرب بحيث تكون أذكى

من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم أنواع اليواقيت وأكثرها فى جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه السلام من الجنة فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان فى احداها تمثال الارض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم فى التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا ومالم يسد فى التمثال لايسد فى ذلك البلد وفى الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه فى ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذى جاء به وفى الثالثة طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفى الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على أى حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفى الخامسة اوزة من نحاس فاذا دخل فيها الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفى السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتى الخصمان فيمشى المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل فى الماء وفى السابعة شجرة ضخمة لاتظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا زادوا على الالف واحدا جلسوا فى الشمس كلهم ولو بسطت المقال فى ذلك لاتسع المجال وقد اقتصرت فى ذلك على ماذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم)

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب انه قال قرأت فى بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى ان الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال تعالى فى موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء فى بعض الاخبار ان نوعا من الجن فى قديم الزمان قبل خلق آدم عليه السلام كانوا سكانا فى الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبرما فى السماء وكثرت نعم الله عليهم الى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودى أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من يخطف مع لهب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وخلا الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه

السلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هنالك ثم ألقى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يملك نفسه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفي الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتني الى الارض وطردتني ورجمتني فاجعل لي مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لي طعاما قال ما لم يذكر اسمي عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لي صيدا أو قال مصايد قال النساء

(فصل في مكايده لعنه الله) منها أنه كان في بني اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا يدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فلو شرفك لو حملتها عندك في جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاءه ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاءه ابليس لعنه الله فقال له اقتلها الا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه وضربوه ليقتلوه فعارضه ابليس اللعين في الطريق فقال له ان سجدت لي خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين ومن ذلك ما اتفق أن بني اسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت لشيء لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك في كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فأخذ العابد الفأس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس في الطريق وتحاور معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عني وأخبرني كيف غلبتني فقال له لما غضبت لله غلبتني ولما غضبت لنفسك غلبتك ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

(فصل في المتشيطنة وهم أنواع كثيرة) منها الولهان يوجد في جزائر البحار على صورة الانسان (حكي) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ من بعض المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزي النساء ويتراءى للرجال (وحكي) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما

كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم ترنيران السعالى وتغيرلونها وقالت بنولئ وبناتك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يحبوا بأنفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله انى لأعلم انه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى اثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعرا الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعلمك بغلامى قال كعلمى بجهلك قلت أوجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شئ من ذلك ولا فى وجع من الاوجاع الا برئ وخلص صاحبه ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى أثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى ومازلت أردد ها الحديث حتى رضيت فأنخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الارض فقالت ها هو قد أتانا فأنخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وانشأ يقول

ياذا الذى للعين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر
وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فأجبته

ياذا الذى للعين يدعوه الحق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق
ما أنت فى الجن بأول من عشق

قال فتبدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحدنا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى جزء ناصيتى أو احدى ثلاث خصال قلت وما هن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتى أو ألف دينار الساعة وخل بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءنى منها أولاد وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين أجيبوا نبى الله سليمان بن داود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف

والغيران والاودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعي للغنم حتى حشرت بين يدي سليمان عليه السلام طائعة ذليلة وكانوا اذذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هي سود وشقر ورقط وبيض وصفر وخضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبي الله سليمان عليه السلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهي ألبستني هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم في الصنائع من قطع الصخور والاحجار والاشجار والغوص في البحار وأبنية الحصون وفي استخراج المعادن والجواهر فقال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ونكتفي من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤل في تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والستون في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول

*(الفصل الاول في ذكر البحار) * روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء واعلم أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند خليج منه وبحر الاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذي يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر ميتنة والبحر الذي عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله في البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمي البحر الاسود لان ماءه في رأي العين كالطير الاسود فان أخذ منه الانسان في يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء في بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاي شيء ذلك وكذلك يرى في بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان في هذه المواضع والماء في نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض * وأما ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه تلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فاشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأقمنا شهرا ناكل منها

ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى وقب عينها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمها فتطعمونا فأرسلنا له منه فأكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها التأم كلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين وقال صاحب تحفة الالباب ركبت فى سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبى يخلع وسقطت على وجهى أنا وغيرى ثم ألقت السمكة نفسها فى البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كاسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول ان جماعة ركبوا سفينة فى البحر فارسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل ان فى البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول وتقروا الطسوت والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات ربما صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته وقال الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما فى البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلى فتباعدت عنها فاخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معى فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فامسكت نصابه بيدى جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الجحر فتركت الجحر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هى خمس حيات فى رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بام الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمى فى الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيأ قال ورأيت مرة فى البحر صخرة عليها شئ كثير من النارنج الاحمر الطرى الذى كأنه قطع من شجره فقلت فى نفسى هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هى ملتصقة بالجر فجذبتها فاذا هى حيوان يتحرك ويضرب فى يدى فلففت يدى بكم ثوبى

وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة ونهر فلم أقدر أن اقلعه من مكانه فتركته
عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى
أعلم لاى شئ يصلح ذلك قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبيرا لحب
أخضر العرجون كأنما قطف من كرمه فأخذته وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس فى تلك الارض
التى كنت فيها عنب فرمت أن آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من
العنقود حتى كانها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها اجذبة أقوى من الاولى فانقشرت قشرة من
تلك الحبة كقشر العنب وفى داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لى هذا من عنب
البحر ورائحته كرائحة السمك وفى البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كانياب
السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلى الضفدع وليس له
يدان يعرف بالسمك اليهودى وذلك انه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقى
نفسه فى البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ
يدخل البحر ولا تطيقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب الفرس فلا يجد له
ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان فى بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة
مائة ذراع وأكثر وله أنياب كانياب الفيل تؤخذ وتباع فى بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهى
أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر
ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفى البحر
أيضا سمك يسمى الرعاد اذا دخل فى شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على
حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده
زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا ايضا من العجائب فسبحان الله
جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثنى الشيخ أبو العباس الحجازى قال حدثنى رجل
يعرف بالهارونى من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة فى بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج
من البحر أحسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبر ناحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه
ويفشر أجنحته وينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص فى البحر وفى البحر دابة يقال لها الدرفين تتبعى
الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى
ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف واحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا
ان السمك يحبه نحو الغناء والصوت الحسن ويصيخ لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين
يحفرون فى البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع
فى تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وانواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر
وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهى صفة خيل البر وقيل انها تأكل التماسيح وربما
خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا ان ماء النيل ينتهى فى
طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان فى البحر المحيط شيأ يرامى كالحصون فيرتفع على وجه الماء
ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهى

كثيرة

كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجففونه
في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال ان
الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل روس الكلاب يخرج من
أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا
متلونة بالوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه
ويقال انه مر في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها
قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائة ذراع ودور
ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر
وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من
نيل مصر وان هذه الامة التي بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وهم في غاية
اللطافة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها
الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود القماري
والابنوس والطواويس وبها معدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون
داخل البحر الجنوبي ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين
وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهي جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها
أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفي هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز وخيار
الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط
وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب
ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ويقاسوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر
بابا وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام
واذا جاوزت السفينة الابواب سارت في ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذي تريده وفيها من
الاودية والاشجار والانهار ما لا يمكن وصفه تبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما
فرغ من بناء سده حمد الله تعالى واثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا
وسد الافق فظن من حول الملك انه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما لكم فقالوا له انظر
ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذنا قبل انقضاء أجلها وقد منعني من العدو فلا يسلط علي
حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر
وقد رأيت هذا السد بنى وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب في البحر فتبارك من له
هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة الفنساس باليمن مدينة بين جبلين
وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها نحو ستة فراسخ وهي حصينة ذات كروم
ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثي في وجهه التراب فان أبى الا
الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من الفنساس ويقال انهم من
بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شاشق انسان ونقل عن بعض

المسافرين انه قال بينما نحن سائرون اذا أقبل علينا الليل فبتنا بوادٍ فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بحير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فاحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقي دعهما قال فلما وثقا منا زلا هاربين فتبعهما الكلبان وجدا في الجري فأمسكا شخصا منهما قال فأدركناه وهو يقول

الويل لي مما به دهاني * دهري من الهموم والاحزان
قفا قليلا أيها الكلبان * الى متى الى متى تجريان *

قال فأخذناه ورجعنا فذبحه رفيقي وسواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثاني في ذكر الانهار والآبار والعيون) قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله في الارض وجعله عيونا ومسايل ومجاري كالعروق في الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهي الى البحار والبطائح وفي ممرها تسقي المدن والقرى وما فضل منها ينصب في البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها فنقول * النيل المبارك ليس في الانهار أطول منه لانه مسيرة شهرين في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة في الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب في البحر الرومي ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر واختلف في زيادته فقيل ان الانهار والعيون تمده في الوقت الذي يريده الله تعالى وفي الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الانهار التي من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور * نهر الفرات يوجد بارض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقي وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتي الى بغداد ستمائة وثلاثون فرسخا وفي وسطه مدن وجزائر تعد من اعمال الفرات * جيحون نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شيء من البلاد سوى خوارزم لانها متسفلة عنه ثم ينصب في بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد في الشتاء خمسة أشهر والماء يجري من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والاحمال المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق وبعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين * سيحون نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجري حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون في بعض الاماكن * الدجلة نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفي بعض

الاوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه (حكى) أنه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروى فى الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه السلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * واما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول * نهر حصن المهدى قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وانه يرتفع منه فى بعض الاوقات شئ يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه * نهر اذر بيجان قيل ان بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان فى تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير * نهر صقلاب يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام * نهر العاصى بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الدانى ويسعى لها القاصى
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق فى أكناف أذيالها العاصى

* نهر العمود بارض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقى نفسه فيقطع * نهر باليمن قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب الى المشرق * نهر بلاد الحبشة والسودان يجرى الى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالارز يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شئ يشبه القند فى الحلاوة لكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

* (الفصل الثالث فى ذكر الآبار) * قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شئ غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فأمر يهوديا يذهب معى فوقفنى على البئر ويطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فأمرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى فى فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال فخر اليهودى فتعلقت به فقال اما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك * بئر برهوت بقرب حضرموت وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم انها مجمع أرواح الكفار

قال علي كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها ملك يسمى دومة * بئر عسفان ماؤها يستشفى به قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم نفل فيها قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها * بئر معروفة بأرض حلب خاصيتها أنها اذا شرب منها الملكوب زال كلبه مالم يجاوز الاربعين * وبنيسابور آبار كثيرة وهي معادن الفيروزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها * وبأرض فارس بئر ينبع منها ماء في وقت من السنة قيرتفع على وجه الارض لمحة واحدة ويجرى فينتفع به في سقي الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تنحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

الباب السادس والستون في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول

*(الفصل الاول في ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب) * روى وهب بن منبه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كخردلة في كف أحدكم وقال رواة الاثر ان لله عز وجل دابة في مرج من مروجه في غامض علمه رزقها في كل يوم يقدر رزق العالم باسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثاني الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا وبغداد في وسط هذا الاقليم فلا عتدال اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين والممالك المشهورة التي ضبطت مدتها في زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتا آن في سنة واحدة وانه يكون في بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فاتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

*(الفصل الثاني في ذكر الجبال) * قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور معروف بين الناس فمن أعجبها (جبل سرنديب) وطوله مائتان ونيف وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه السلام حين أهبط وحوله الياقوت وفي أوديته الماس الذي يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذي فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهي الى بحر الظلمات (جبل أبي قبيس) سمي بذلك لان آدم عليه السلام كان بذلك حين اقتبس

منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضىء بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل اروند) بهمذان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشأم) لونه أسود كالفحم وترابه أبيض تبيض به الثياب (جبل الانداس) فيه غار اذا دهنت قنديله وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والأخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلدا وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء برى كذلك (جبل الأرجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مستديرا أو مثمنا (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان ثنى جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

(الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها) قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار ان أول بناء بنى على وجه الارض الصرح الذى بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وبقعته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فأخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (حكى) الشعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة فى الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه السلام فدعاهم الى الله تعالى فقال له شداد ان آمنت بآلهك فماذا لى عنده قال يعطيك فى الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبنى مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدنى به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الارض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الارض فأمروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة الموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيأ

من الذهب الاغصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب واللؤلؤ واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلئ وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة من زخرفة له وجعل أشجارها الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذوا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضىء كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك شيأ وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصدها من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال هاهو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم

القيامة

القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله تعالى أعلم * ومن المبانى العجيبة (الخورنق) الذى بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من أعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

* ومن المبانى العجيبة (حائط العجوز) واسمها لولة القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى أسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل الى أن مات لامفر من قضاء الله تعالى * ومن المبانى العجيبة (الاهرام) وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة الفا ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزالق ومهاوى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذى بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سرياق لرؤيا رآها وهى آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال قل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله تعالى أعلم * ومن المبانى العجيبة (منارة الاسكندرية) التى بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندمة مغموسة فى الرصاص فيها ثمانون ومائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها

تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ميلة منه سمع له صوت يعلم به أهل المدينة مجيء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق في البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدي الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك قال المسعودي قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر انه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم أموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبيئة بها كذا وكذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما السلام في الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليماني المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشي خلفه لصفائها وفي وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة واحدى عشرة ذراعا وفي تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه وفي مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجاري في كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس في الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذي لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفي كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحي من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان في داره بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفي هذه المدينة أكثر من مائتي ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف *ومن المباني العجيبة (ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذو الاكتاف في نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع في عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول

كل شرافة من شرار يفه خمس عشرة ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فأخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته في بنائها فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) انه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته يزنا نظر في تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والستون في ذكر المعادن والاحجار وخواصها)

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهي مقسومة الى ما يذوب والى ما لا يذوب والذي اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصيني ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف واشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قيل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته واللينونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائه خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها اذا كان مبلا ويحسن نظرها واذا ثقب به الاذن لم تلتحم واذا كوى به لم يقطع ويبرأ سريعا واما سكه في الفم يزيل البخر (الفضة) قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلي بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول (النحاس) قريب منها لكنه أيبس وأغلظ في الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلي بالحامض زال صدؤه والاكل في آنيته يولد أمراضا لا دواء لها (الحديد) كثير الفائدة اذ ما من صنعة الا وله فيها مدخل ومن خواصه أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وحمله يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه انه اذا ألقي في قدر لم ينضج ما فيها (الاسرب) هو الرصاص ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول في كل شئ واذا شد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها (الخارصيني) يحمر لونه أسود يعطي حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها في الظلمة نفعت للقوة واذا تنف الشعر بملقاط منه لم ينبت

(الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيها

ويصير درة فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان في بطن هذا الحيوان شئ من الماء المتر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفي دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين (الياقوت) سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجوني ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرماني الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردي ثم الخمري ثم العصفري وأردؤها الازرق الذي لونه يشبه زهر السوسن وأقل قيمة الابيض خواصه أنه لا يعمل فيه الفولاذ ولا الحجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق في الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوي القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا الى ما قبل (البلخش) هو مقارب للياقوت في القيمة ودونه في الشرف ومن خواصه أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البلخش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوي الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق مفرط وما ئيته رقيقة شفافة وفي ما ئيته سر اذا حرك يمينا تحرك يسارا وبالعكس ومن خواصه اذا علق على العين أمن عليها من الجدري على ما قيل (الماس) يوجد بوادي بالهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتي من يريد استخراجه من ذلك الوادي فيضع في الوادي مرآة كبيرة فتأتي الحيات فتنظر الى خيالها في المرآة فتقفز من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم ينحرون الجزر ويلقون لحمها في ذلك الوادي فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتي الطير فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر في مكان ومصيف ستة أشهر في مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر في غيبتها والله أعلم بصحة ذلك ومن عجيب أمره انه اذا أريد كسره جعل في انبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل في شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وقرب من النار ذاب ومن خواصه أن الملوك يتخذونه عندهم لشربه وهو من السموم القاتلة القاطعة الصغيرة منه اذا حصلت في الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء ومن خواصه الجليلة انه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرد) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجاري وصابوني ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل وأقل ومن خواصه أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوي البصر ويصفي الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقي وخلنجي وأجوده الاسحاقي الازرق الصافي خواصه النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضي الله عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفئ (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه بعر

الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد بالهند ولكن اليمنى أجود خواصه التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يوقى به من اليمن والصين وألوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لاعلم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لانه فى النهار يكون له شعاع عظيم خواصه النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه يتشجره يشبه النبات وبتحجره يشبه المعدن ولا يزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر ويبس خواصه النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلع الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر الماطليس) هو حجر هندى لا يعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به امن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب وخاصيته أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من محكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب واذا طلى بمحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الباه (السبج) خواصه انه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لا يتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة خواصه الاكتحال بسحاقته يورث الفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستحالة وخاصيته انه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا ومن خاصيته انه يحسن الذهب ويزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يا على ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر النطرون) قال ارسطو

ينفع الارحام التي غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها واذا ألقي في العجين طيبه وبيضه ونشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور وقال ارسطو من تختم به عظم في أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم ومن أراد التعمق في ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والستون في الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه)

وما ذكرت ذلك الا لاني كرهت أن يكون كتابي هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

(فصل في الصوت الحسن) قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون مني كان الحداء قالوا لا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله قال ان أباكم مضر خرج في طلب مال له فوجد غلاما له قد تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا الكلام لاجتمع عليه فاشتق الحداء وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري رضي الله عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه السلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما في الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تنخلع أوصاله مما كان يتحبب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادي للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر يا أمير المؤمنين بأن يظمؤا ايلا ثم يوردوها الماء فاني آخذ في الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدم في العروق فمصقوله الدم وتمويله النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على اثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقي من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح الاثرى الى أهل الصناعات كلها اذا خاقوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس في الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاياة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاياة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح

وقد

وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيرى الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكى الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره ولاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضى يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحنّ القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا أنّ فى البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشى من حلاوتها فاعتنى بها وضعة الالحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الامّ كيف تناغى ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد فى نشاطها وقوّتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر فى مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك فى باب ذكر البحار وما فيها من العجائب والراعى اذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم بآذانها وجدت فى رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب وليس شئ مما يستلذ به أخف مؤنة من السماع قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد ومازالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيبانى

وسماع مسمعة يعللنا * حتى ننام تناوم العجم

(وحكى) أن البعلبكىّ مؤذن المنصور رجع فى اذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهى لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى عمارة فى قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت فى صوتها كيف تصنع

تدير نظام القول ثم تردّه * الى صلصل من صوتها يترجع

وبعد فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشدّ اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن

مقرّب من فرح * مبعد من حزن

لا فارقانى أبدا * فى صحة من بدن

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا تأخر مرجه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الاشاش وشجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله ورشحت أطرافه واختلف الناس فى الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم القول ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم اتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحنطة السمرا * لم نحمل بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه سرورا بكل زيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ما روى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضا ما روى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدفان ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ما عفا الله تعالى عنه من هناتك فأسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسمعته يغنى بالركابية يقول

فكيف لى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى اسمعت ما قلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت فى القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وما عملت العرب الشعر موزونا الا لتد

الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا وأخطأ من أول هذا التأويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزؤا وقال رجل للحسن البصرى ما تقول فى الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخى ما ظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الا تشويه وجهه وتعويجه فمه وسمع ابن المبارك سكران يغنى هذا البيت

أذانى الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة فى منزلة وكان لابى حنيفة جار من الكيالين مغرما بالشراب وكان يغنى على شرابه بقول العرجى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذه العسس ليلة وحبسه فافتقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله ما فعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو فى الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فأسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتى أبواب الملوك فأقبل عليه عيسى ابن موسى وسأله عما جاء به فقال أصلح الله الامير ان لى جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع فى حبسه فأمر عيسى بن موسى باطلاق كل من فى الحبس اكراما لابى حنيفة فاقبل الكيال على أبى حنيفة يتشكر له فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذى ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت وكان عروة بن أذينة ثقة فى الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا مقلا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره ويحملها للمغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهى تغنى فأقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الظرف للطرف بعثناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمى عليه وكاد يهلك فقالت له انى والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمى على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بينى وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التى كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فأعجب لما تأتى به الايام

فاليوم أعذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشأم فأنزله فى دار عياله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هلم فاسمع ما فى منزل الذى جعلته من لحمك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله انى لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تخر له ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلى فنبه فاختة وقال لها اسمعى مكان ما أسمعتنى هؤلاء قومى ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره انى قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية مره فليرجع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذنى عليلة فمره ان يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديح المغنى فأمره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذنى من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعاد فان الركب مرتحل * وهل نطيق وداعا أيها الرجل

قال فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لابليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديح هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح وقال

أليس عندك شكر للتى جعلت * ما ابيض من قادمات الرأس كالحمم

وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتنى عن تحريك رأسى فأجبتك واخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح احد منكم حتى يأتى له اذنى ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بالف دينار وعشرة أثواب وحدث ابن الكلبى والهيثم بن عدى قالا بينما عبد الله بن جعفر فى بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فأصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغنى وتقول

قل للكرام ببابنا يلجوا * ما فى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فاقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول قل للكرام بيانيا يلجوا * فولجنا فان كنا كراما فقد أذن لنا وان كنا لئاما خرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد علي ما غنيت به فغنى واحتقل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جمرة الفحل في الشول وما ظن أني تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فخصي (أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قابن ابن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع والستون في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الرؤساء

قيل ان أول من غنى في العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذي علم ابن سريج والدلال نوبة النحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الاسلام هذا البيت

قد برانى الشوق حتى * كدت من وجدى أذوب

ثم تجمع بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا * دافت لهم بساطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فاني * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكيم الوادي ومن غنائه

امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قاتلونا بالعطش

انما الراح ربيع باكر * فاذا ما وافت المرء انتعش

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي وغيرهما

وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحسنهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول فى ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيث ما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغنى كل انسان بما يشتهيه كأنه خلق من قلب كل انسان وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عينى اليسرى فلما رثيتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم وحدث ابن الكلبى عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غنّ قال المثلى يقال غنّ على عتق رقبة ان غنيت يومى هذا فما كان فى بعض الايام سال وادى العقيق فلم يبق فى المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج ينظره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى وهو معجب بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان يمشيان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لأنكلن بكما فقالا يا مولانا قل ما تامرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعجب بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفاه فى العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما آخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أتاهذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بأبى أنت وأمى قال اسمع منى ما أقول لك واعلم أنك مأسور فى أيديهما وقد أقسمت ان لم تغنّ مائة صوت لبطرحانك فى العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال افتح واقم من يحصى ثم أقبل يغنى فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك لنحيا وتموت فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا لاخلاقك الشرسة فقال ابن عائشة والله ما مررت بى شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أعضائى فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق وحدث أبو جعفر البغدادى قال حدثنى عبد الله ابن محمد كاتب بغداد عن أبى عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فررت بباب أبى عيسى ابن المتوكل فاذا على بابه المشهد ودوهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلى أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبى عيسى قلت أمثل أبى عيسى فى قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبى عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الى فحملونى حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أظرف منها هيئة فلما نظرت الى أبى عيسى قال لى ما يعيش من يحتشم اجلس

فجلست فأتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع فى زجاجة كأنها كوكب درّى فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولاسلبه ماوهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ديس ورقيق ولم يكن فى ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقلّ بأرداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدرّ شاربه
وأشرق الورد من نسرين وجنته * واهتزّ أعلاه وارتجّت حقائبه
كلمته بجفون غيرنا طقة * فكان من ردّه ماقال حاجبه

ثم سكت وغنى ديس

* الحب حلو أمرّته عواقبه * وصاحب الحب صبّ القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودّعنى * يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعى الشوق يهتف بى * أرفق بقلبك قد عزّت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس فتّه كواكبه * قد لاح عارضه واخضرّ شاربه
ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

يادبر حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فانى است بالصاحى

ثم سكت وغنى ديس

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيح الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لطومهم * من العبادة الا نضو أشباح
وخمرة عتقت فى دنها حقبا * كأنها دمعة فى جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق

لاتحفلنّ بقول اللائم الالحى * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كأسا اذا المحدرت فى حلق شاربها * أغناه لألاؤها عن كل مصباح
مازلت أسقى نديمى ثم أثمله * والليل ملتحف فى ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت جوانبه * يادبر حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال لاغنّ لى شعرى ففناه

ياجلة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع
ماحيلتى وفؤادى هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاى ملسوع
لاوالذى تلفت نفسى بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ماأرق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خدّيه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس مالايحصى عددها الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ماانقطعوا (وحكى) عن الرشيد انه قال يوم

للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بني أمية وأمير المؤمنين يشتهي سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات يا هاشم فغناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ما ترا جعنا الذي كان بيننا * جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
فيا روح نفسي حب نفسي الذي بها * ويا روح عقلي ما اصبت به أهلي
خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك يا هاشم فقال يا أمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لي أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال يا أمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما حجا ولا حسنا فلما رقعت عينه علي قال هذا أعرابي قد ظهر من البوادي ادعوا به فسخر به فدعاني فصرت اليه ولم يعرفني فغنت احدى الجاريتين بصوت هولي فأخطأته الجارية فقالت لها اخطأت يا جارية فضحكت ثم قالت يا أمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الاعرابي يعيب علينا غناءنا فنظر الي نظر المنكر فقلت يا أمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ فلتصلح وتر كذا وتر كذا ففعلت وغنت شيئا ما سمع منها الا في هذا اليوم فقامت الجارية تكبته علي وقالت أستاذي هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم يا أمير المؤمنين وكشفت عن وجهي وأقمت معه بقية يومنا فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية يا أمير المؤمنين أتأذن لي في رأس أستاذي فقال الوليد ذلك اليك فقلت يا أمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته في عنقي وقالت هو لك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب في السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين وتبعتهما صاحبتي فأرادت أن ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت في الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لي يا هاشم ما نرجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا فذكرها به فبعني اياه فبعوضني عنه ثلاثين ألف درهم فلما رهبتني العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قضيته وهذا سبب بكائي فقال الرشيد لا تجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم وقال علي بن سليمان النوفلي غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بروقك هاديا
ذكرتك بالدرين يوما فاشرقت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا
اذا ما طوى الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن علي قال أتمنى الهنيء والمريء رهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة فأمر لهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا

معه على مائة الف دينار فرضى بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين فى اخراج مائة الف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها ومن ذلك ما حكى اسحق الموصلى قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغنى بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت اهل العصر فى كل شئ فغنى شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يوما هذا قال اسحق فغنيته هذه الابيات

ما كنت أعلم ما فى البين من حرق * حتى تنادوا بان قد جى بالسفن
قامت تودعنى والدمع يغلبها * فهمهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الى وضمتنى لترشفنى * كما يميل نسيم الريح بالغصن
واعرضت ثم قالت وهى باكية * يا ليت معرفتى اياك لم تكن

قال فخلع على خلعة كانت عليه وأمر لى بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفى ودعينا ياسعاد بنظرة * فقد حان منا يا سعاد رحيل
فيا جنة الدنيا ويا غاية المنى * ويا سؤل نفسى هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فافنيت علاتى فكيف أقول
فما كل يوم لى بارضك حاجة * ولا كل يوم لى اليك وصول

فقال والله لا سمعت يوما غيره وألقى على خلعة من ثيابه وأمر لى بصلة مأمر لى قبلها بمثلها

(ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن ابراهيم بن المهدى قال قال جعفر ابن يحيى يوما لبعض ندمائه انى قد استأذنت امير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرنى فى الميعاد فما زلنا فى أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا موائد الاطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فاكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا يا نعم يوما ثم انه دا خله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فاذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر ان عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا فى ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجلس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما فى أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا لذلك وخجلنا وزادنا الحياء فقال لا باس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم قال فما كان باسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خففوا عنى فانه شئ والله ما فعلته قط قال فتم الى وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداءك لقد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتى وتحيط بها نعمتى فأقضيها لك مكافأة لك

على ما صنعت قال بلى ان فى قلب أمير المؤمنين بعض تغير على فسأله الرضا عنى فقال جعفر قد رضى عنك أمير المؤمنين قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال جعفر هى حاضرة للذ من مالى ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهرا بنى ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تحقق الاولية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ما سأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لانظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث ان دعى بابى يوسف القاضى ثم بابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والاولية تحقق على رأسه وخرج كل من فى القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن ان ناوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالامس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألنى رضا الله عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضى عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر ان عليه عشرة آلاف دينار قال نعم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال نعم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تحقق الاولية على رأسه قال فنعم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجز له جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدى فوالله ما أدرى أى الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأه عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم أقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق (وحكى) أبو العباس عن عمر الرازى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى جدد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لاتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد على ما سمعت فقال والله لو كان عندى قرى أقريكه لفعلت ولكنى أجعله قرا لنفاى والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط أو عطشان فاروى ثم اندفع يغنى ويقول

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ودجليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التى وصفها لى فاذا هى كما ذكر والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى)

(حكى) على بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله

ابن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت فى الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال على بن الجهم فبينا أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظنى فقال يا على قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة فى منامى كأنى رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هى جاريتك والرضا والجفاء بيدك فوالله انا فى حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا على نتظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هى تضرب بالعود وتقول

أدور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى
كأننى قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصنى
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصارمنى

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاى رأيت فى منامى هذه الليلة كأنك قد رضيت عنى فانشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا على هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد فى موضعه الذى شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب رقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغنى رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام ضجيعتى * مسترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأننا * بتناجعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومنكبك كلاهما * فى راحتى وتحت خدك ساعدى
فقطعت يومى كله متراقدا * لا رالك فى نومى واست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أملته * ستناله منى برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلى ودمالجى * وتحل بين مراشفى ونواهدى
وتكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمى اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا له انه لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا أن العشق قد حاصرهما قال فأعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم وكان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا أهديت لها ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع فى قلبه منها ما وقع وأحبته هى أيضا فجعل أبو نواس كلما أمسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من القصر فامسكها فبكت وقالت له يا سيدى الموت

دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا
فوجدها نائمة فى سدلة وهى سكرى لا تفيق فتقرب منها وحل سراويلها ووقع عليها فاذا هى
خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد
يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * هرقرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وما حب الكواعب من أمرى
فمازلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيأ فتأبى بعبرة * أموت ولا هذا ودمعتها تجرى
فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها ياقوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى ياغلام فجاءنى * وقد زالت رجلى وصرت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه * تداركنى بالحبل صرت الى القعر
فأقسمت عمرى لاركبت سفينة * ولاسرت طول الدهر الا على ظهر

ومن ذلك ما حدث الشيبانى قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها
وكانت تظهر له انها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال
فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أرالك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام

وقال أبو سويد حدثنى ابو زيد الاسدى قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان
مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه
وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت
وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان
مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد فى مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير أوقامت
القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال أبا زيد ما يطيب فى يومنا هذا
قلت أصلح الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة الفاء أشربها من
كفها وأمسح فمى بخدها فاطرق سليمان مليا لا يرد جوابا فتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما
رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال ابا زيد حضرت فى يومنا نبه انقضاء أجلك ومنتهى
مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك أو لتخبرنى ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم اصلح
الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب
القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى بين منه بياض بدنها
وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها

بذؤابتين تضربان الى سقويها الهاصدغان كانهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوأتان سحرا وأنف كانه قصبة بلور وفم كانه جرح يقطر دما وهى تقول عباد الله من لى بدوا مما لا يشتكى وعلاج مالا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا ومانوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبنى ذكاء عقلك وأذهلنى حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كانها لم ترنى ثم قالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة لصعب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رأيت حسنا الا سمج فى عينى لحسنها فقال سليمان أبا يزيد كاد الجهل يستفزنى والصبا يعاودنى والحلم يعزب عنى لشجو ما سمعت اعلم يا أبا يزيد ان تلك التى رأيتها هى الذلفاء التى قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخى ألف ألف درهم وهى عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفى الصبر سلوة وفى توقع الموت تهيئة قم أبا يزيد فى دعة الله تعالى ثم قال ياغلام نقله بيدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما أفضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فامر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب فى روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها أنواع الزهر ما بين أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع وكان لسليمان مغن يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فامره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان فى أكل سرور وأتم حبور الى ان انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرانا أصلحك الله قال وماقراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الاكل والشرب فبالطان لكم واما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان فى مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غنناصوت كذا فرفع صوته يغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتى فارقها * من آخر الليل لما نبه السحر
فى ليلة البدر مايدرى مضاجعها * اوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها طارق والصوت منحدر
لو مكنت لمشت تحوى على قدم * تكاد من لينها فى المشى تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله فى نفسها وهيئتها فخر لذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا ياذلفاء فقالت

ألا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد

يروعك منه صوته واعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام على بسنان فدعت الذا فاخادما لها فقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين سليمان فلما أتى به قال يا سنان الم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني على ذلك حلمك وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين ان يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل ودقت له الحجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى أصغت له المرأة ايالك ايالك والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكى) ان الرشيد قصد يوما فارسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة الحياء وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

قصدت عرفا تبتغي صحة * البسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الكاس ياسيدى * واهنأ به من كف ذى الجاريه
واجعل لمن أنفذه خلوة * تخطى بها فى الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فابطا قليلا * على الرغم منى فصيرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول * فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه فى حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وأرسل اليها أنا عندك الليلة واهدى داود بن روح المهلبي الى المهدى جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لاهجرن حبيبا خان موعده * وكان منه لصفو العيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه

لاتهجرن حبيبا خان موعده * ولاتذمن وعدا فيه تاخير
ما كان حبسى الا من حدوث أذى * لايستطاع له بالقول تغيير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

أمست تباع ولو تباع بوزنها * دراهبكى أسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من أحسن الناس وأسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فحسدها الجوارى وقلن لاحسب لها فنقشت على خاتمها حسبى حسبى فازدادبها المأمون عجبا فسمعتها الجوارى فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتى من يدى * أبكى عليها آخر الأبد
كانت هى الانس اذا استوحشت * نفسى من الاقرب والابعد

وروضة كان بها مرتعي * ومنهلا كان بها موردي
كانت يدي كان بها قوتي * فاختلس الدهر يدي من يدي

وللمتوكل في قينة

أما زحها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فأحسن ذي دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثني اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدي قال كان في المدينة رجل من بني هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جؤذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فأرسل الهاشمي اليه ذات يوم ليسخر به فلما أتاه قال له اصلحك الله انك لفي لذتك ولا لذة لي قال وما لذتك قال تحضر لي نبيذا فانه لا يطيب لي عيش الا به فامر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمي وغمز جاريته عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين واهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتي أين المرحاض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

رحضت فؤادي فخليتني * اهيم من الحب في كل واد

فاندفعتا تغنيانه فقال في نفسه والله ما اظنهما فهمتا عني وما اظنهما الا مكيتين واهل مكة يسمونها المخارج فقال يا حبيبتي اين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

خرجت لها من بطن مكة بعدما * اقام المنادي بالعشي فأعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال في نفسه لم يفهما عني وما اظنهما الا شاميتين واهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتي اين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبتا قالت يقول غنياني

ذهبت من الهجران في كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنتاه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لم يفهما عني وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال يا حبيبتي اين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

خلا على بقاع الارض اذ ظعنوا * من بطن مكة واسترعاني الحزن

قال فغنتاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما اظن الفاسقتين الا بصريتين واهل البصرة يسمونها الحشوش فقال يا حبيبتي أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنياني

أوحشوني وعز صبري فيهم * ما احتيالي وما يكون فعالي

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما اراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما يا حبيبتي اين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها يعيش سيدنا ما رأيت اكثر اقتراحا من هذا

الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن تغني له

تكفنني الهوى طفلا * فشيبني وما اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لها ما يازانية ان لم تعلماني به انا اعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك وقال ويلك ما هذا تسلح على وطائي فقال الرجل حياة نفسي اعز علي من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ما هذا قال المضحك هذه الابيات

تكنفني الملاح واضجروني * على مابي بنيات الزواني

فلما قل عن ذا الناصطباري * قذفت به على وجه القواني

قال فانبسط الهاشمي ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله * وقال علي بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فاني الحب أقصاني

قالت تأتي من باب الذهب وانشدت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه * فليس يدخل مدينا من ليس بالداني

وكان اشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما اراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك اذكرك به قالت اذهب واخاف ان تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك ان تعود وناولته عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم اصابتها علة فتغيرت حالها فكانت تنشد

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح

اباها علي الناس لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها في بعض الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جاريتي فلانة فأقلقني الشوق اليها فعسى ان تغنيني شيأ في معنى ما ذكرته لك فاطرق ملياثم غنا مشعرا

وددت من الشوق المبرح انني * أعار جناحي طائر فاطير

فالنعيم ليس فيه بشاشة * وما السرور ليس فيه سرور

وان امرأ في بلدة نصف قلبه * ونصف بأخرى غيرها لصبور

والحكايات في معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ما قل ودل خير من كثير ملل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل ان يمدني منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف واخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول) *

* (الفصل الاول في وصف العشق) * قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما ان السرف اسم لما جاوز الجود وقال اعرابي العشق خفي أن يرى وجلي ان يخفى فهو كامن كمون النار في الحجران قدحته أورى وان تركته توارى وقيل اول العشق النظر واول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق

رداء حبيبها ويقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بنى الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابى ما بلغ من حبك لفلانة قال انى لاذكرها وبينى وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا يا جميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الاخفش الحداد يقول

مطارق الشوق منها فى الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
وناركور الهوى فى الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يبقى ولا يذر

وفى الجليس الانيس لابى العالية الشامى قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن اكثم عن العشق ما هو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال ثمامة العشق جليس ممتنع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآرائها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الابصار مدخله وخفى فى القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور قال لسليمان بن عمرو ومن معه أنتم أدباء وقد سمعتم الحكمة والكم حداء ونعم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروأة خامل النفس مسىء الادب فهمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنحمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة أدبه الى أن سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء أدبه فحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء فى فلاحه قال وما ذاك الذى حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ الا بها ولا يتشاغل الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبى الجارية فقال له انى مسر اليك سرا فلا يعدونك فضمن له ستره فاعلمه ان ابنه قد عشق ابنته وانه يريد أن ينكحها اياه وأمره أن يأمرها باطماعه فى نفسها ومراسلته من غير ان يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجتنبه وتهجره فان استعلها أعلمته انها لا تصلح الا للملك ثم لتعلمنى خبرها وخبره ولا تطلعهما على ما أسره اليك فقبل أبوها ذلك منه وقال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما

أمرها أبوها فلما انتهت الى النجني عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لاجله أخذ فى الادب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى أبيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسر الملك بذلك وأمر له بما طلب ثم دعا مؤدبه فقال له ان الموضع الذى وضعت ابنى نفسه من خبر هذه المرأة لا يدرى به فتقدم اليه وسره أن يرفع أمرها الىّ ويسألنى أن أزوجه اياها ففعل المؤدب ذلك فرفع الفتى ذلك لابيه فدعا بأبيها وزوجه اياها وأمر بتحويلها اليه وقال له اذا اجتمعت أنت وهى فلا تحدث شيأ حتى أصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يا بنى لا يضعن قدرها عندك أمر اسلمتها اياك وليست فى خبائك فانى أمرتها بذلك وهى أعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش أبوه مسرورا به وأحسن ثواب أبيها ورفع منزلته واصطنعه وأحسن جائزة المؤدب لامتثال ما أمر به * وكان عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكوا اليها الم الفراق فحان وقت الظهر فنادا مؤذن الصلاة يا أبا الحسن فقال رويدك حتى تزول الشمس أى حتى تقوم الجارية وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى * وانى قد ذبت كتمانا

وقال أحمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى المريب بها * واقنع منها بالشنيعة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

أيها العاشق المعذب صبرا * فخطايا أخى الهوى مغفوره
زفرة فى الهوى أحط للذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبى ربيعة كنت بين امرأتين هذه تسارنى وهذه تعضنى فاشعرت بعضة هذه من لذة هذه وأنشد شيبان العذرى يقول

لو حز بالسيف رأسى فى محبتها * لطار يهوى سريعا نحوها راسى

وقال يحيى بن معاذ الرازى لو أمرنى الله أن اقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا

(الفصل الثانى من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتى ان تنادى فى الموقف بقولى

تزود كل الناس زادا يقيهم * ومالى زاد والسلام على نفسى

فنادیت

فناديت كما أمرتنى واذا بفتى نحيل الجسم قد أقبل الىّ فقال انا الزائد فضيت به اليها فمازاد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان لقاءك كما يقتصر على هذا فقالت أمسك ياهذا أما علمت ان ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقتلنى * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اثمان معصية * لا خير فى لذة من بعدها سقر

وقال بعض بنى كلاب

ان اكن طامح اللحاظ فانى * والذى يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

فقالت بحق الله الا ابتذلتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت وما فى القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقرب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدو له فأنزله فى منزلة وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفى هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى أمر أة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبى ربيعة عفيفا يعف ويعف ويحوم ولا يرد * ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا بثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الىّ بعينين ليستا فى رأسك قال فكيف رأيته فى عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذى تسجد الجباه له * مالى بما تحت ذيلها خبر
ولا بقبلها ولا هممت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين فى الجزء الاول فيما جاء فى الكناية على سبيل الرمز * وعن أبى سهل الساعدى قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لى يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجو له الجنة قلت اى والله فمن هو قال انى لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لانالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى بريبة قط وعن عبد الله بن عبد المطلب أبى النبى صلى الله عليه وسلم انه دعته بغى الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تتكهن وتسمع بأتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم منها للنور الذى رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا أتاه أو أستبينه

فكيف بالامر الذى تبغينه * يحامى الكريم عرضه ودينه

وقال آخر

وأحور مخضوب البنان محجب * دعانى فلم أعرف الى مادعا وجها
يخلت بنفسى عن مقام يشينها * واست مريدا ذالك طوعا ولاكرها

وراود شاب ليلى الاخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلناله لاتبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لناصاحب لاينبغى أن نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

وقال ابن ميادة

موانع لايعطين حبة خردل * وهن دوان فى الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

وقال آخر

حور حرائرماهمن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان الاصمعى يستحسن بيتى العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لايظهر الشوق ان طال الملوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها فغنى يوما وهى قائمة على رأسه

ياغزالا لى اليه * شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبى اليه فأعلميه انى قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها اكفى فلست بخائن فقالت قد وهبتنى لك مولاتى وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ماان دعانى الهوى لفاحشة * الا نهانى الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدى * ولامشت بى لزلة قدم

وقال آخر

يقولون لاتنظر فذاك بليسة * بلى كل ذى عينين لابد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لاينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو فى الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له ياهذا اتق الله أفى مثل هذا المكان فقال ياأمير المؤمنين والله ماذاك بخنى ولكنها ابنة عمى وأعز الناس

على وان أباها منعني من تزوجها الفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه أراك اليوم يا مولاي تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نراك قد هويت فأنشدها هذه الابيات يقول

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد أسلمت حينا
أراك اليوم قد أحدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو رأيت لها جبينا
فقلت شكا الي أخ محب * كمثل زمانتا اذ تعلمينا
وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هي خمسة أبيات فأعتق خمس رقاب ثم قال لله در لمن خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين في الحلال وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت أريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها فتغنت بقول نصيب

بزينب ألم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تقلينا فما ملك القلب

فقالت يا هذا تعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت أتعرف زينب قلت لا قالت أنا زينب قلت حيالك الله وحيالك قالت اما والله ان اليوم موعده وعدني العام الاول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك ان لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني اذا أنا بالراكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت اني لاحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم أقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته أن ينشدها فأنشدها فقلت في نفسي محبان قد طال التنائي بينهما فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيري لأشد عليه فقال على رسلك اني معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا فقال لي أقلت في نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو أقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة وعن محمد بن يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا أحب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها أبا هريرة وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم أنشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قلت غسل بقرنيها وتفرق بين رجليها قالت لست بعاشق أنت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا
يريد أن يبكي أحبابه * من قبل أن يشهد أو يثكلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذي أمتعني بحبها وأشقاني بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب في إثمها وأعصي الشيطان في إثمها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يبقى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره الى آذان اللئيم لم يلدني كريم ومر سيدنا عمر رضي الله عنه ليلة في بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبي خليل ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يعفني * وأكرام بعلي أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضي الله عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضي الله عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي في كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج
الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج
تمنيه اعراق صدق حين تنسبه * أبى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن على بنصر ابن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لما أخذت من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا رمان فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبي قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر اليها شئ فدست اليه المرأة أبياتا وهي

قل للامام الذي تخشى بوادره * مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجي
ان الهوى زم بالتقوى فحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد

خرج فى ازار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لا تقفن أنا وأنت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أبيتن عبد الله وعاصم الى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافى والاودية فقال لها ان ابنى لم تم تغيبهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة ابن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد أن يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع منى هذه الابيات

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى * ومانلت من عرضى عليك حرام
وأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لى بالمكتين مقام
لئن غنت الذافاء يوما بغيبة * وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بى الظن الذى ليس بعده * بقاء ومالى جرمة فألام
فيمنعنى مما تقول تكرمى * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها فى قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعى * فقد جب منى كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضى الله عنه هذه الابيات قال أما ولى السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة فى سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله تعالى أعلم

*(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثنى أبى قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما لك قرابة أو أحد تحبين ان أضيفه وأسدى اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا اصدقاء مولاى وأحب ان ينالهم خير عما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة فى احضارهم اليه وان يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم فى الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فاما اثنان منهم فذكروا حوائجهما فقضاها واما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا امير المؤمنين مالى حاجة قال ويحك اوليست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتى ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألنى فانك لا تسألنى حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلى الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين ان تأمر جاريتك فلانة التى أكرمتنا بسببها ان تغنى ثلاثة اصوات أشرب عليها ثلاثة ارطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فاحضر وأمر بثلاثة كراسى من ذهب فنصبت فقعد يزيد على أحدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصوف الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة ارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين ان تغنى بهذا

الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * او يصنع الحب بي فوق الذي صنعا
ادعو الى هجرها قلبي فيسعدني * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فامرها ففعلت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين ان تغني بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عودا اراكة * لهند واكن من يبلغه هندا
الا عم جابي بارك الله فيكما * وان لم تكن هند الا رضكما قصدا

فامرها ففعلت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك قال نأمرها يا امير المؤمنين ان تغني بهذا الشعر

متى الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر
والله لا اسلوكم أبدا * مالاح بدر أو بدا فجر

فأمرها ففعلت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومي انظري ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا ابكيه يا أمير المؤمنين وأنت حي فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن واما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت (وحكى) عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجواري المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثني بأمر ما مر لك في هذه الاغاني وما رأيت من الجواري قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الي في شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج مني بيع ولا هبة فامسك عني فكانت عندي على تلك الحالة لا ازداد فيها الا حبا فبينما أنا ذات ليلة اذ أتتني عجوز من عجائزنا فذكرت لي ان بعض اعراب المدينة يحبها ويحبه ويراها ويراه وانه يجيء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكي شغفا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذي قالت عليه العجوز فاذا به قد أقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم ادع بها في تلك الليلة وجعلت أتأمل موضعها وموضعه فاذا بهما تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الا عتبا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجواري اصلحي فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت الى الفتى فحركته فانتبه مذعورا فقلت لا باس عليك ولا خوف هي هبة مني اليك فدهش الفتى ولم يجبني فدنوت الى اذنه وقلت قد أطفر لك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيأ قط كان أعجب من أمره قال عبد الملك لقد حدثتني بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بايام بعد تحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الغلام وقيل ان عبد الله ابن عجلان الهندي رأى أثر كف عشيقته في ثوب زوجها فمات وذكر محمد بن واسع الهيتي ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف اما بعد اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات ابكارا يكون اليهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل جارية منهن وصياغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين واحضرهم بما امره به أمير المؤمنين وامرهم ان يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالغرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد امير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وان ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه اني اشتري له ثلاث جوار مولدات ابكارا وان اكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الاولى اطال الله تعالى بقاء امير المؤمنين فانها جارية عيطاء الساق عظيمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها اذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها ادعج * كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الثانية فانها جارية فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا امير المؤمنين ستون الف درهم واما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف الغزال وثمنها يا امير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم اطنب في الشكر والثناء على امير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوارى الى امير المؤمنين فقال أحد النخاسين ايد الله الامير انى رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني افتأذن لي في ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا في بعض مسيرهم نزلوا يوما يستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجوارى فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها الساعة فأتاها على غفلة من اصحابه وجعل يقول

امكتوم عيني لا تمل من البكا * وقلبي باسهام الاسى يترشق
أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا اتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه واتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها وأراد ان يهرب فقطن به اصحابه فاخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى ان قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجوارى بين يديه اخذ الكتاب

ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجوارى ولم توافق الثالثة ورأى فى وجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين مابال هذه الجارية لم توافق حليتها التى ذكرها الحجاج فى كتابه وماهذا الاصفرار الذى بها والانتحال فقالوا يا امير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم امنتم وان كذبتم هلكتم فخرج احد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم انشأ يقول

امير المؤمنين اتيت رغما * وقد شدت الى عنقى يديا
مقرا بالقبيح وسوء فعلى * ولست بما رميت به بريا
فان تقتل فقوق القتل ذنبى * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يا فتى ما حملك على ما صنعت أستخفافا بنا ام هوى الجارية قال وحق رأسك يا امير المؤمنين وعظم قدرك ماهو الا هوى الجارية فقال هى لك يا أعددته لها فاخذها الغلام بكل ما اعده لها امير المؤمنين من الحلى والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو اهله حتى اذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما اصبح الصباح واراد الناس السير بهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك ومن ذلك ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اخرج خالد بن الوليد المخزومى رضى الله عنه الى مشركى خزاعة قال خالد فاخرجنى اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة آلاف فارس من اهل النجدة والبأس قال فجدينا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا ان الله تعالى ايدنا بنصره لكادت الدائرة ان تكون علينا ولكن تدراكنا الله برحمته منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب امرت اصحابى بجمع السبايا فقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا واحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له يا غلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا فى بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت اصحابى قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فلك منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز يا خالد قال فبرزت اليه بنفسى بعد ان انشدت شعرا فوالله لم يعبأ حتى اتم شعرى بل حمل على فقطعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تقللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال ومارست الابطال فما رأيت اشد من حملاته ولا اسرع من هجماته فبينا نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول اشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانا اوذلك من حيث جئت قال يا خالد ما انصفتنى اتركنى حتى اجدد من نفسى القوة قال خالد فتركته وقلت اعله ان يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وانا ابكى اشفاقا على حسن شبابه ثم اوثقته على بعير لى فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد اسألك بحق الهك الا ما شددت ابنة عمى على ناقة اخرى الى حانبى قال خالد فاخذتها وشددتها على ناقة

اخرى الى جانبه ووكات بهما جماعة من اشد القوم بالقواضب والرماح وسمرنا فلما استقامت مطاياهما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر ان لا يسلم ابدا فاخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية واكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فاركبنا الاباعر وحفرنا ودفناهما فلما اندمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيأ انا احدثكم به فقلنا من اعلمك به يا رسول الله قال اخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة اجلهما ومن ذلك ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الاسود وما رأيت شيخا أصبح ولا اوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فبازات في طلبها الى ان اظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت اطوف واطلب الجادة فلا اجدها فبينما انا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت اسقط عن فرسي فقلت لاطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فبازات اقرب اليه الى ان هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى ازورها * ارى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك اتاك يستجير بك ويستعينك قال مرحبا واهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطي وطعام غير بطي فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم اتاني بقرص وبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا لخير كثير فمال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما اكلت توضأت وصليت واتكأت فاتى لي بين النائم واليقظان اذ سمعت حس شيء واذا بجارية قد اقبلت من كبد الوادي فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها ومازال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها حرمة له فتناومت وما بي نوم فما زالا الى احسن حديث ولذ مع شكوى وزفرات الا انهما لا يهم احدهما الصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئي عني كما ابطأت الليلة قالت يا ابن العم اما علمت اني انتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا انصرف حتى استضيفه الليلة وانظر ما يكون من امرهما فلما اصبحنا قلت له جعلني الله فداءك الاعمال بخواتيمها وقد انى امس تعب شديد فاحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو لقيت عندي بقية عمرك ما وجدتني الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فاججها وشواها وقدمها الي فاكلت واكل معي الا انه اكل اكل من لا يريد الاكل فلم ازل معه نهاري ذلك ولم ار اشفق منه على غنمه ولا الين جانبا ولا احلى كلاما الا انه كالولهان ولم اعلمه بشيء مما رأيت فلما اقبل الليل وطأت وطائي فصليت واعلمته اني اريد الهجوع لما مر بي من التعب بالامس فقال لي نم هنيأ فاظهرت النوم ولم انم فاقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فاطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم جاء نحوي فحركني

فاوهمته انى كنت نائما فقال يا اخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فقال ابنة عمى واعز الناس على وانى لها محب ولها عاشق وهى ايضا محبة لى اكثر من محبتى لها وقد منعنى ابوها من تزويجها الى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها التى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وتحدثنى نفسى ان الاسد قد افترسها ثم انشأ يقول

ما بال ميسة لا تأتى كعادتها * اعاقها طرب ام صدها شغل
نفسى فداؤك قد احللت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة واتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها الاسد واكل اعضاءها وشوه خلقتها ثم اخذ السيف وانطلق فابطأ عنى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم انشأ يقول

الا ايها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جريت حقا لك الشرا
وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها غبرا

ثم قال بالله يا اخى الا ما قبلت ما اقول لك فانى اعلم ان المنية قد حضرت لا محالة فاذا انا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر واحد وخذ شويهاتى هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هى والدتى فاعطها عصاى هذه وثيابى وشويهاتى وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الهنيئا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات اساعته فقلت والله لاصنعن له ما اوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقى جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهى كالولهانة فقالت لى هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت اتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فاخذت تصيح وتبكى وانا الاطفها الى ان اقبل الليل وما زالت تبكى بحرقة الى ان مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسى وجمعت الغنم وسقتها فاذا انا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن
فرق الدهر بالتفريق الفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فاخذت الغنم ومضيت الى الحى لبنى عمهم فاعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم اهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى اهلى وانا متعجب مما رأيت فى طريقى ومن ذلك ما حكى ان زوج عزة اراد ان يحج بها فسمع كثيرا الخبر فقال والله لاحجن لعلى افوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جمله فخيمته ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها فناقته فوقف على الجمل وقال

حييتك عزة بعد الحج وانصرفت * فحى وبحك من حييت يا جمل

لو كنت حبيبها ما كنت ذا سرف * عندي ولا مسك الادلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال انا كثير عزة فمن انت يرحمك الله قال انا الفرزدق بن غالب التميمي قال انت القائل

رحلت جمالهم بكل اسيلة * تركت فؤادي هائما محمولا
لو كنت املكهم اذا لم يرحلوا * حتى اودع قلبي المتبولا
ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا * جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا اني بالبيت الحرام لاصيحن صيحة افزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لاعرفن بذلك هشاما ثم تواادعا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا بالنطاق عزة من زوجها وتزوجها اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يقلي نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد في السير ثم انه مال ليستقي راحلته من حي بني فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحي فقال يا ابن اخي اراك رأيت في طريقك شيأ فراعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتقلى وينتف ريشه فقال له الشيخ اما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتقلي فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد في السير الى ان وصل الى دمشق ودخل من احد ابوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما اغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدي فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما افاق انشأ يقول

فما اعرف الفهدي لا درده * وازجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا قد علا فوق بانة * ينتف اعلى ريشه ويطايره
فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب نعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد (وحكى) الاصمعي قال بينما انا اسير في البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

ايا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يداري هواه ثم يكتم سره * ويخشع في كل الامور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يداري والهوى قاتل الفتى * وفي كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبر الكتمان سره * فليس له شيء سوى الموت انفع

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامي على من كان للوصل يمنع

وحكى ايضا عن الاصمعي رحمه الله تعالى انه قال بينما انا نائم في بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحي فتى اوفى البرية كلها * واقواهم في الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية بم كان اوفى البرية وبم كان اقواها فقالت يا هذا انه ابن عمي هويتني فهويته فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه فانشدني شعرا ومازال يكررهما الى ان مات والله لاتبينه حتى اصير مثله في قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لي ان بحت قد غرك الهوى * وان لم ابح بالحب قالوا تصبرا

فما الحر حتى يهوى ويكتم امره * من الحب الا ان يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات في ذلك كثيرة وفي الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا في هذا المعنى اشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثاني والسبعون في ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما اشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول في الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة اقسام

هرقص كقول ابي جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لاتشرب خمر الندى * في الروض الامن كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي انت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون ان يمجه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى * قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة ابواب حسبما بوب ابو تمام في الحماسة وقال عبد العزيز بن ابي الاصبع الذي وقع لي ان فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهي غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وادب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهاني ووعيد وتحذير وتحريض ومدح وباب مفرد للسؤال والجواب ولنذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بذكر الغزل المذكر

أأغصان بان ماارى ام شمائل * واقمار تم ماتضم الغلائل
وبيض رقاق ام جفون فواتر * وسمر قناق ام قدود قواتل
وتلك نبال ام لحاظ رواشق * لها هدف منى الحشى والمقاتل
بروحى اوذى شادنا قد الفته * غدوت وبى شغل من الوجد شاغل
امير جمال والملاح جنوده * يجور علينا قده وهو عادل
له حاجب عن مقلتى حجب الكرى * وناظره الفتان فى القلب عامل
رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع بجرى فهو فى الخد سائل
شكوت فما الوى وقلت فما صفى * وجد بقلبى حبه وهو هازل
طويل التوانى دله متواتر * مديد التجنى وافر الحسن كامل
اطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل
ويرفع وصلى وهو مفعول فى الهوى * وينصب هجرى عامدا وهو فاعل
تفقهت فى عشق له مثل ماغدا * خبيرا باحكام الخلاف يجادل
فيا مالكى ماضر لو كنت شافعى * بوصلك فافعل بى كما انت فاعل
فانى حنيفى الهوى متحنبل * بعشقك لااصغى وان قال قائل

كمال الدين بن النبيه

الله اكبر كل الحسن فى العرب * كم تحت لمة ذا التركى من عجب
صبح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب
تنفست عن عبير الراح ريقته * وافترمبسمه الشهدى عن حبب
لا فى العذيب ولا فى بارق غزلى * بل فى جنى فمه او ريقه الشنب
كانه حين يرمى عن حنيته * بدر رمى عن هلال الافق بالشهب
ياجاذب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب
اليس من نكد الايام يحرمها * فى ويلثمها سهم من الخشب
من لى باغيد قاسى القلب مبتسم * لاعن رضا معرض عنى بلاغضب
فكم له فى وجود الذنب من سبب * وليس لى فى قيام العذر من سبب
تميل اعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب
اشار نحوى وجنح الليل معتكر * بمعصم بشعاع الكاس مختضب
بكر جلاها ابوها قبل ماجليت * فى جرة الدن اوفى قشرة العنب

البهاء زهير

يعاهدنى لاخاننى ثم ينكث * واحلف لا كلمته ثم احنث
* وذلك دأبى لايزال ودأبه * فيامعشر العشاق عنا تحدثوا
اقول له صلنى يقول غدا غدا * ويكسر حفنا هازئا ويعبث
وماضر بعض الناس لو كان زارنى * وكان خلونا ساعة نتحدث
امولاى انى فى هواك معذب * وحتام ابقى فى الغرام واعبث

نفذ مرة روحي ترحني ولا ارى * اموت مرارا في النهار وابعث
فاني لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث
اعيذك من هذا الجفاء الذي بدا * خلائقك الحسنى ارق وادمث
تردد ظن الناس في فاكثروا * احاديث فيها ما يطيب ويخبث
وقد كرمت في الحب مني شمائل * ويسأل عني من اراد ويبحث

النابلسي

ما كنت اعلم والضمائر تصدق * ان المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذاك اسباب المحبة تعلق
ولقد قنعت من اللقاء بساعة * ان لم يكن لي للدوام تطرق
قد ينعش العطشان بلة ريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيوني ان ترى لك سيدي * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

ابو الحسن الجزار

في خده من بقايا اللثم تخميش * وبي لتشويش ذاك الصدغ تشويش
ظبي من الترك اغنته لواحظه * عما حوته من النبل التراكيش
اذا تثنى فقلب الغصن منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش
يا عاذلي ان تكن عن حسن صورته * اعمى فاني عما قلت اطروش
كم ليلة بات يسقيني المدام على * روض له بثياب الغيم ترقيش
والغيث كالجيش يرتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش
في مجلس ضحكت ارجاؤه طربا * لانه ببديع الزهر مفروش

سيدي ابو الفضل بن ابي الوفاء

ترى متى من فتور اللحظ ينتشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط
قد رق لي خصره المضنى فناسبني * فقلت خير الامور الانسب الوسط
وقد خفي الردف عني من تثاقله * فقلت هذا على ضعفي هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة ترى * رمانها فيه قلبي امره فرط
ان الصواب لتعجيل السرور فقم * قبل الفوات فاوقات الهنا غلط

القاضي مجد الدين بن مكانس

اهدى تحيته وجاد بوعده * افديه من قمر بدا في سعده
بدر جرى ماء الحياة بثغره * وترددت فضلاته في خده
اسكنته قلبي فأعدت خده * نيران احشائي عليه ووجده
من لي به حلو الشمائل اهيف * روت العوالي عن منقف قده
يا عاذلي في حبه لو ابصرت * عيناك فوق الردف مسبل جعده
لعذرت كل متيم في حبه * وعلمت ان ضلاله في رشده
فوحق موتي في هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهي وبرده

ما جاد غيث الدمع الا من هوى * خلع القلوب ببرقه وبرعده
قم يا رسول وأبلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألت أن تؤدى فى الهوى * خبرى فصف فعل الغرام وأبده

عز الدين الموصلى

نفس عن الحب ما أغفت وما غفلت * بأى ذنب وقالك الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجارى لقد لقيت * ما قدمت من أسى قلبى وما عملت
أفديك من ناشط الاجفان فى تلفى * والسحر يوهم طرفى انها كحلت
واوضح الحسن لو شاءت ذوائبه * فى الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت
معسل بنعاس فى لواحظه * أماتراها الى كل القلوب حلت
من لى بألحاظ ظبى بدعى كسلا * وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وجرة فوق خديه ومرشفه * هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت
اما كفانى تكحيل الجفون اسى * حتى المراشف منه بالامى كحلت
استودع الله اعطافا شوت كبدى * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
ومهجة لى كم القت بمسمعها * الى الملام ولا والله ما قبلت

غيره للفاضل

شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر فى كاف بكم قضيته
وأنا الذى لو هربى من نحوكم * داع وكنت بحفرتى لبيته
كيف التعرض للسلو وحبكم * حب بأيام الشباب شربته
لله داء فى الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى التجنى مسرف * قاس على العشاق قلت فديته
أأروم من كافى عليه تخلصا * لا والذى بطحاء مكة بيته
ولو استطعت بكل اسم فى الورى * من لذة الذكرى به سميته

للشيخ بدر الدين الدماميني

سل سيفنا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه وحث قتيلا
صح عن جفنه حديث فتور * وهو مازال من قديم عليلا
مر أبدى لنا من الخصر ردفا * فأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا ان يميلا
كامل الحسن وافر ظل وجدى * فيه ياعاذلى مديدا طويلا
فاتك الجفن ذو جمال كثير * اتلف العاشقين الا قليلا
قلت اذ لاح طرفه ولماه * فاتر اللحظ بكرة واصيلا
كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

وقال آخر

لو ان قلبك لى يرق ويرحم * مابت من ألم الجوى اتألم

ومن العجائب انني لاسهم لي * من ناظريك وفي فؤادي اسهم
ياجامع الضدين في وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبي لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عندما تتكلم
ومن المروأة أن تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

وقال آخر

تصدق بوعدان دمعي سائل * وزود فؤادي نظرة فهو راحل
فخدك موجود به التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل
أيا قمرا من شمس طلعة وجهه * وظل عذاريه الدجا والاصائل
تنفلت من طرف لقلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطري * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

وقال آخر

وغزال كل من شبهه * بهلال أو ببدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فمه * قد تعديت وأسرفت فمه

وقال آخر

بأبي غلام است غير غلامه * مذ جادلي بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

وقال جمال الدين بن مطروح

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى
تجري مدامعه ويخفق قلبه * مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
واذا تالق بارق من بارق * فهناك ينشر من هواه ما انطوى
فخذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل في شرع الغرام وما غوى
وبمهجتي رشأ اطالت عذلي * فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتي سوى
ما أبصرته الشمس الا واكتست * خجلا ولا غصن النقا الا التوى
يروي الاراك محاسنا عن ثغره * ياطيب ما نقل الاراك وما روى

وقال آخر

عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى * لما غدا بجماله متفردا
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى

حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

وقال غيره

ياحسنا مالك لم تحسن * الى قلوب فى الهوى متعبه
رققت بالورد وبالسوسن * صفحة خدبالسنا مذهبه
وقد ابى خدك أن أجتنى * منه وقد ألسعنى عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسنى * وياذالك اللفظ ما أعذبه
قلت له كان عندى سنا * وكل ألفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطنى * ومذرآنى ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبنى * وحبه اياى قد أتعبه
يرحمه الله على أننى * قتلى له لم أدر ما أوجبه

وقال آخر

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

وقال يحيى بن اكثم

دناها جرى لهوى بعقلته الكعلا * فلما رأى ذلى ثنى عطفه دلا
فتيمنى شوقا وأنحل أسى * وأفقدنى صبرا وأعدمنى عقلا
شكوت فما ألوى وولى ومالوى * وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمى لزورة * يناديه فرط العجب من عطفه كلا

وقال أيضا

بأبى غزالا غازلته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زورة تشفى الجوى * فأجابنى عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا فى خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكى لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتق
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عنى وكان معانقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كى لا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب فى لمم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بأن أرانى مفارقى

وقال ابن نباتة

بداورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنا فرصنير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه فخال خالا
وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الالفاظ لالا

وتحلف لى لتلبسنى سقاما * تهبى جلدى به وتذيب جلدى
وترمينى بنبل من جفون * فتضنينى وتصمينى وتردى
وتحرقنى بنارا صد حتى * تذيب حشاشتى كمدا وكبدى
فقلت لها ودمعى فى انسكاب * يفيض دما على صفحات خدى
ومن لى ان يقال قتيل وجد * واذكر فى هوالك ولو بصد

وقال عفا الله عنه

سلوى عنك شئ ليس يروى * وحبى فيك سار مع الركاب
ولم يمر سوالك على ضميرى * ووجدى فيك أيسره عذابى
ومالك عن سواد العين يوما * وما السواد قلبى من حجاب
وما اخضرت دواعى الشوق الا * هززت اليك أغصنة التصابى

وقال عفا الله عنه

فقل لبيك داراشط عنا مزارها * وأضحلنا بعد البعاد ادكارها
وعوجا باطلال محتها يد البلى * فأظلم بالنأى المشت نهارها
فقد نابها رياعا من الانس ان رنت * بمقلتها يصمى القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها
ويهزأ بالاغصان لين قوامها * اذا مال فوق الغصن منها خمارها
وليس لبدر التم قامة قدها * وما هو الا حجلها وسوارها
منازلها منى الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففى القلب دارها
يمثلها بالوهم فكرى لناظرى * واكثر ما يضنى النفوس افتكارها
وهيج دمعى حر نار صبابتى * وما خمدت بالدمع منى نارها
وساعدنى بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا لا يقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعينى فاضت بالدموع بحارها

وله رحمه الله تعالى وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وان يدعو له بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سليمى رسائلى * بلطف وقل عن حال صبك سائلى
فقد صار بالاسقام صبا معذبا * قريح جفون من دموع هوامل
صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلى
الا ياسليمى قد أضر بى الهوى * وهاجت بتبريح الغرام بلابلى
رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبى والحشى ومقاتلى
كتمت غرامى فى هواك ولم ابح * بسر فباحت ادمعى برسائلى
سليمى سلى ما قد جرى لى من النوى * فقد عادلى حال له رق عاذلى
لعل تجودى للكئيب وتسعدى * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلى

عسى تنطفى بالوعد نارى واشتفى * فبالسقم اعضائى وهت ومفاصلى
خفيت عن العوّاد لولا تأوهى * وعظم انينى لا يرانى مسائلى
فرقى فقد رقت عداى لذلتى * وفاضت على حالى عيون عواذلى
قطعت زمانى فى عسى ولعلها * ومافزت فى الايام منك بطائل
فما آن ان ترضى علىّ وترحمى * ضنى جسدى فالوجد لاشك قائلى
توسلت بالمختار فى جمع شملنا * نبى له فضل على كل فاضل

وله رحمه الله تعالى

يا ربة الحسن من بالصد اوصاكى * حتى قتلت بفرط الهجر مضناكى
ويا فتاة بفتان القوام سبت * من فى الورى يا ترى بالقتل افتاكى
لقد جننت غراما مذ رأى نظرى * فى النوم طيف خيال من محياكى
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد * اضحى عليه لا حزينا لم يزل باكى
عذبتنى بالنجنى وهو يعذبنى * فهل ترى تسمحى يوما برؤياكى
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا * فالله يعلم انا ما نسيناكى
ما آن ان تعطفى جودا علىّ فقد * اضحى فؤادى اسير الحظ عيناكى
ما كنت احسب ان العشق فيه ضنى * ولا عذاب نفوس قبل اهواكى
حسبى تولع قلبى بالغرام فما * امسى اسيرا سوى فى حسن معناكى
رقى لعبدك جودا واعطفى وذرى * ولا تطيلى بحق الله جفواكى
يا هند رنقا بقلب ذاب فيك أسى * ومهجة تلفت يا هند ما أقساكى
رق العذول لحالى فى الهوى ورثا * وانت يا هند لا ترثى لمضناكى
والله لومت ما أسلاك يا املى * ولو فنيت غراما لست انساكى

وقال آخر

كأن فؤادى يوم سرت دليل * يسير امام العيس وهو ذليل
فصرت عقيب الظاعنين لكى ارى * فؤادى سرى فى الركب وهو عجول
وقائلة لى كيف حالك بعدنا * لتعلم ما هذا اليه يؤل
فقلت لها قدمت قبل ترحلى * فمن باب أولى أن يجد رحيل
وقلت قليلى طال هما فانشدت * ومازال ليل العاشقين طويل
فقلت وجسمى لم يزل متزحفا * فقالت وجسم العاشقين نحيل
فقلت لها لو كنت أدرى فراقنا * يوم وداع ما اليه سبيل
قلعت لعينى فى هوالك باصبعى * لكى لا أرى يوما على ّ ثقيل

وقال الوأواء الدمشقى عفا الله عنه

يا من نفت عنى لذيذ رقادى * مالى ومالك قد أطلت سهادى
فبأىّ ذنب أم بأية حالة * أبعدتنى ولقد سكنت فؤادى
وصددت عنى حين قد ملك الهوى * روحى وقلبى والحشى وقيادى

ملكت لحاظك مهجتي حتى غدا * قلبي أسيرا ماله من فادي
لاغرو أن قتلت عيونك مغرما * فلكم صرعت بها من الآساد
يامن حوت كل المحاسن في الورى * والحسن منها عاكف في بادي
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعي السيوف تقر في الاغماد
وتعطفي جودا علي بقبلة * فبميم مبسمك شفاء الصادي
ماتت أطال الله عمرك سلوتي * ولقد فني صبري وعاش سهادي
ومن المنى لو دام لي فيك الضنى * ياحبذ الارداف من عوادي
وأجيل منك نواظري في ناضر * من خدك المترقرق الوقاد
واقول ماشئت اصنعي يامنيتي * مالي سوالك ولو حرمت مرادي
الامديح المصطفى هو عمدتي * وبه سألقى الله يوم معادي

وقال البهاء زهير

اذا جن ليلى هام قلبي بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والاسى * وتحتي بحار بالجوى تتدفق
سلوا ام عمرو كيف بات اسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا انا مقتول ففي القتل راحة * ولا أنا ممنون عليه فيعتق

مجنون ليلى

وقد خبروني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا تنقضي * فما للنوى يرمي بليلى المراميا
اعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد الليا
وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا يناز عني الهوى عن شماليا
أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
خليلي لا والله لا املك الهوى * اذا علم من ارض ليلى بدا ليا
خليلي لا والله لا املك الذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهل ما بشئ غير ليلى ابتلانيا
ولو ان واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبي الحياة لو أنه * يزاد لها في عمرها من حياتيا
على أنني راض بان احمل الهوى * واخلص منه لا علي ولا ليا
اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فما لي ارى الاعضاء منك كواسيا
فلا الحب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وقال آخر

قالت لطيف خيال زارني وهفى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خافقه لومات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق سيمته * يابرد ذاك الذى قالت على كبدى

كمال الدين بن النبيه

أما وبياض مبسمك المفتر * وسمرة مسكة الاهدب الشهى
ورمان من الكافور نعلو * عليه طوالع النهد الندى
وقد كالقضيب اذا تثنى * خشيت عليه من ثقل الحلى
لقد أسقمت بالهجران جسمى * وأعطشنى وصالك بعد ريى
الى كم أكتم البلوى ودمعى * يبوح بمضمر السر الخفى
وكم أشكو للاهية غرامى * فويل للشجى من الخلى

صفى الدين الحلى

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء
أصفتك من بعد الصدود مودة * وكذا الدواء يكون بعد الداء
احيت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء
أتت بليل والنجوم كأنها * در بياطن خيمة زرقاء
أصمت تعاطينى المدام وبيننا * عتب عنيت به عن الصهباء
آبت الى جسدى لتنظر ما انتهت * من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشائى
أصيبة منا بنبل لحاظها * ما أخطأته أسنة الاعداء
أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا * أضعاف ما عاينت فى الاعضاء
أمسى ولست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء

وله رحمه الله تعالى

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى
قضيت وما أودى الحمام بمهجتى * وشبت وما حال البياض بمفرقى
قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى * ولم تقنعى بين المنى والشقى
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق
قبلت وصايا الهجر من غير ناصح * وأحببت قول الهجر من غير مشفق
قطعت زمانى بالصدود وزرتنى * عشية زمت للترحل أينق
قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تدعى أفعاله وترفقى

وقال عفا الله عنه

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج
جلت علينا محيا وجلته لنا * فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج
جورية الخد تحمى وردوجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جزت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها يغنى عن الحجج

جادت لعرفانها أنى المريض بها * فما على اذا أذنبت من حرج
جست يدى لترى مابى فقلت لها * كفى فذاك جوى لولاك لم يهج
جفوتنى فرأيت الصبر أجمل بى * والصمت فى الحب اولى بى من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راجعة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

وقال ابن نباتة

رقت لناحين هم السفر بالسفر * وأقبلت فى الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسى فجادلنا * وكان أبخل من تموز بالمطر
رأت غداة النوى نار الكليم وقد * شبت فلم تبق من قلبى ولم تذر
رشيقة لو تراها عند ما سفرت * والبدر ساه اليها وهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * فى ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت در الحيا من مقبلها * اذ نبهتنى اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوى فما نظرت * من يرشف الراح قبلى من فم القمر
راق العتاب وأبدت لى سرائرها * فى ليلة الوصل بل فى غرة القمر

وقال ابن الساعاتى

قبلتها ورشفت خمر ريقتها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال آخر

بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الواوا الدمشقى تضمين

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

لابن نباتة

عذولى لست أسمع منه قولا * على غيداء مثل البدر قالا
له طرف ضرير عن سناها * ولى أذن عن الفحشاء صما

وقال آخر

ورب ليال فى هواها سهرتها * أراعى نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثى عال فى السهاد لانتى * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

السراج الوراق

يالائمى فى هواها * أسرفت فى اللوم جهلا
مايعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وقال آخر

وعدت أن تزورنا لافألوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

لعز الدين الموصلى

قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن

وقال آخر

قالت وناولتها سواكا * سادبنيها على الاراك
سواى ماذاق طعم ريقى * قلت لها ذاقه سواكى

وقال آخر

سألتها أن تعيد لفظا * قالت محب دعوه يعذر
حديثها سكر شهى * وأحسن السكر المكرر

ابن نباتة

وملولة فى الحب لما أن رأت * أثر السقام بجسمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

وقال ابو الطيب المتنبى

بأبى الشموس الجانحات غوادبا * اللابسات من الحرير جلابيا
الناهبات عيونا وقلوبنا * وجناتهن الناهبات الناهبا
الشاعرات القاتلات الحيا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تقديتى وخفن عراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا
ويسمن عن برد شبيت أذيبه * من حر أنفاسى فكنت الذائبا
ياحبذا المتجاهلون وحبذا * وادلهت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب لخلصا * من بعد ان نشبن فى مخالبا

وله أيضا من جملة قصيدة

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفول وان عاظلت أبكى وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلى ميتا يتكلم

الشريف الرضى

وتيس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر ومسك ومصندل
هيفاء ان قال الشباب لها انهضى * قالت روادفها اقعدى وتمهلى
واذا سألت الوصل قال جمالها * جودى وقال دلالها لاتفعلى

ابن اسرائيل

وعدت بوصل والزمان مسوف * حوراء ناظرها حسام مرهف
نشوانة خجلا منهل ثغرها * درورية قتها سلاف قرقف

وتخال بين البدر منها والنقا * غصنا يميس به النسيم مهفهف
لا تحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوف
يا بانة قد أطلعت أغصانها * وردا جنيا باللواحظ يقطف
وغزالة يحكي الغزالة وجهها * ويعير ناظرها الحسام الاوطف
ما تأمرين لمغرم تسطو به * أجفانك المرضى ولا تستعطف
قسما بوجهك وهو صبح مشرق * وسواد شعرك وهو ليل مسدف
وبهز غصن البان منك على النقا * مالي الى أحد سواك تشوف

ولنذكر ان شاء الله تعالى في هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

للشيخ شمس الدين بن البديوي

ولما نأت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت أني بالغرام أذوب
علقت بأخرى غيرها متلاهيا * ليطفي ضرام في الحشا ولهيب
وكان هيامي والهوى وصبابتي * لمن هو في الاولى الي حبيب

وله في المعنى

تلاهيت عنها في الغرام بغيرها * وقلت لقلبي هذه هي زينب
وقبلت فاها مبرد الصبابتي * فاضرمت نارا في الحشا تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة * تمسك بالموج الذي يتقلب

وقال أيضا

سألت القلب هل ميل لليلى * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأنى * فقلت الحب فيه تقلبات
فان الحب يهجم بعد يأس * ويعتاد المحب تغيرات
فلا تظهر لها يوما سلوا * فتفضحك التصابي الواردات
وترمي بالصدود وبالتجني * وتنحلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولا تك ذا لجاج * فما يغنيك ان فات الفوات

وقال البيطار

يقولون هذي ام عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء
الا انما قرب الحبيب وبعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

وقال غيره

وقالوا بع حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخر انحيا سعيدا
اذا كان القديم هو المصافي * وخان فكيف آتمن الجديدا

وقال آخر

لم انس اذ قلت من وجدي لها غلطا * ووجهها مشرق في حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهي ضاحكة * لتقر عن علي السن من ندم

وقال

وقال آخر

أمن المروءة أن أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابستي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع

وقال آخر

الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فعالي من يديه خلاص
جرحت بعيني خده وهو جارح * بعينيه قلبي والجروح قصاص

وقال آخر

قد كنت أسمع بالهوى فأكذب * وأرى المحب وما يقول فأعجب
حتى رميت بحبه وبحبه * من كان يتهم الهوى فيجرب

وقال آخر

سألتها التقبيل من خدها * عشرا وما زاد يكون احتساب
قد تلاقينا وقبلتها * غلطت في العد وضاع الحساب

وقال آخر

يا من سقامي من سقام جفونه * وسواد حظي من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

وقال آخر

صحته عند المساء فقال لي * تهزا بقدري أو تريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غرني * حتى توهمت المساء صباحا

ابو عبد الله الغواص

من عذيري من عذول في رشا * قاصر القلب هواه فقصر
قد رمى قلبي بسهم جفنه * وهواه غير مقلوب فقر

وقال آخر

جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عني بقلب العقرب

وقال آخر

لومت من كثرة الاشواق وانبدلت * مدامعي بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلوا لا ولا نظرت * عيني لغير محبا وجهك القمر

ابراهيم بن العباس

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى * ويصرع قلبي اذ يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

وقال النوفلي

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * قدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كاسا مذ علقت بحبها * فأنربه الا ودمعي مزاجها

وقال آخر رحمه الله تعالى

ياذا الذى زار ومازارا * كأنه مقتبس نارا
قام ببابالدار من تيهه * ماضره لو دخل الدارا

وقال آخر

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ابن نباتة

أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لايكون الى الحشر
اذا ماغدا مثل الحديد فؤاده * فوا لعصران العاشقين لفى خسر

أمين الدين بن ابى الوفاء

ياناز لامنى فؤادا راحلا * ومن العجائب نازلا فى راحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

وقال آخر

ياعاذلى فى هواه * اذا بدا كيف اسلو
يسربى كل وقت * وكلما زيد احلو

الحاجبى

ملأت فؤادى من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبى رائغ
وقلت لقلبى قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

وقال ديك الجن

ولى كبد حرى ونفس كأنها * بكف عدو ما يريد سراحها
كأن على قلبى قطاة تذكرت * على ظمأ ورد افهزت جناحها

وقال عبد الله بن طاهر

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس فى الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

وقال آخر

ما اخترت تركك وداعكم يوم النوى * والله لا ملالا ولا لتجنب
لكن خشيت بأن أموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتقادبى

وقال ابن المعتز

هب لعينى رقادها * وانف عنها سهادها
وارحم المقلة التى * كنت فيها سوادها
كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

وقال آخر

وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح

فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلى والصباح

وقال آخر

ولى فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شيء فداك به

وقال آخر

وما هجرتك النفس يا مى أنها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

وقال المحاربى

اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى * بأهل الهوى فاقعد جبانا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بانضج من كى الغضى المتلهب

وقال الاقرع بن معاذ

أقول لها قالت ذات يوم لقيته * بعكة والانضاء ملقى رحالها
بحقك أخبرنى أماتأثم التى * أضر بجسمى منذ مر خيالها
فقال بلى والله أوسيصيبها * من الله بلوى فى الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

وقال آخر

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بى وقولا فى حديثكما * ما ضر لو يوصل منك تسعفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
وان بدا لكما من سيدى غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال عبد الله بن ابى الشيص

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى
كأنى قد قتلت لها قتيلا * فما يرضى بغير الهجر ترضى

وقال الحسين بن الضحاك

بعضى بنار الهجر مات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننت ذلك المعشوقا

وقال آخر

وأجيل فكرى فى هوا * ك بلا لسان ناطق
ادعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

وقال آخر

يا ويح من حبل الاحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه
عزوا ومال به الهوى فأذله * ان العزيز على الذليل بتيه

انظر الى جسد أضرّ به الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه
من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وحليفه واخوه

وقال احمد بن طاهر

تقول العاذلات تسلّ عنها * وداو عليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال اسحق مولى المهلب

هبيني يا معذبتي أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت
فاين الفضل منك فدتك نفسي * عليّ اذا أسأت كما اسأت

وقال ابو العتاهية

يقول اناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف أنعت
سقام على جسمي كثير موسع * ونوم على عيني قليل مفوّت
اذا اشتد ما بي كان أفضل حيلتي * له وضع كفي فوق خدي واسكت

وقال بشار

يا قرة العين اني لا أسميكي * أكني باخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أو سهم عيران يرميني ويرميك
لولا الرقيبان اذ ودعت غادية * قبلت فاك وقلت النفس تفديك
يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * بالله لا تجعليها بيضة الديك

وقال آخر

ألم تعلمي يا أحسن الناس أنني * احبك حبا مستكنا وباديا
احبك ما لو كان بين قبائلي * من الناس أعداء لجر التصافيا

وقال آخر

أقول لشادن في الحسن اضحى * يصيد بطرفه قلب الكمي
ملكت الحسن اجمع في نصاب * فادّ زكاة منظرك البهي
وذاك بان تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهي
فقال ابو حنيفة لي امام * يرى أن لا زكاة على الصبي

وقال آخر

سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهنا في روضة الحسن ضاحك
اقمنا زمانا والعيون قريرة * واصبحت يوما والجفون سوافك

وقال آخر

الم تعلمي يا عذبة الماء أنني * اظل اذا لم اسق ماءك صاديا
ومازلت بي يا بين حتى لو أنني * من الوجد أستبكي الحمام بكى ليا

ابو العباس الشهير بالنفيس

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقيا تتفق
ما أنصفتك جفونى وهى دامية * ولا وفى لك قلبى وهو يحترق

الوزير ظهير الدين الملقب بابى شجاع

لا عذبن العين غير مفكر * فيما بكت بالدمع أو فاضت دما
ولأهجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
هى اوقعتنى فى حبائل فتنة * لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمى فلاسفحن دموعها * وهى التى بدأت فكانت أظلما

وقال العتبى

أضحت يخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

الرفاء الاندلسى

ومهفهف كالغصن الا أنه * تصبر الالباب عند لقائه
أضحى يسام وقد تكلل خده * عرفا فقلت الورد رش بمائه

وقال آخر

اخضر واصفر لاعتلال * فصار كابن رجس المضعف
كأن نسرين وجنتيه * بشعر أصداغه مغلف
يرشح منه الجبين ماء * كأنه لؤلؤ منصف

وقال آخر

ما زال ينهل من صرف الطلا قرى * حتى غدت وجناه البيض كالشفق
وقام يخطر والأرداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق
فعائل فعلت فعل الشمول به * فعل النسيم بغصن البانة الورق
جاذبته لعناقى فانثنى خجلا * وكللت وجناه الحمر بالعرق
وقال لى بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت فى عنقى

وقال آخر

بأركان هذا البيت انى لطائف * وفى الكون اسرار وفيه لطائف
رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالى صيارف
وبى ذهبى اللون صيغ لمحنتى * يريد امتحانا بى وما أنا زائف
يذيب فؤادا وهو لاغش عنده * فيا ذهبى اللون انك حائف

وقال آخر

أسى ليالى الدهر عندى ليلة * لم أخل فيها الكاس من اعمالى
فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

ومما قيل فى الرقباء

لو أن لى فى الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الأمر فى التعذيب

لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

وقال أعرابي

يسهم الحب كلم فى فؤادى * ولا كالكلم من عين الرقيب
تمكن فانظراه به وأضحى * مكان الكاتبين من الذنوب
ومن حذر الرقيب اذا التقينا * نسلم كالغريب على الغريب
ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الطبيب

وقال آخر

من عاش فى الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت فى بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

وقال أحمد بن أبى سلمة

يعذلنى فيه جميع الورى * كأننى جئت بأمر عجيب
أظن نفسى لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب
وأنا الغريب فلا لام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

وقال آخر

وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل إلف * اذا بانت حبيبته بكاها

وقال آخر

وقائلة ما بال دمعك أبيض * فقلت لها يا عاذلى هذا الذى بقى
ألم تعلمى أن البكا طال عمره * فشابت دموعى عند ما شاب مفرقى
وعما قليل لا دموع ولا دما * ولم يبق الا لوعتى وتحرقى

وقال آخر

ولم أر مثلى غار من طول ليله * عليه لان الليل يعشقه معى
وما زلت أبكى فى دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

وقال آخر

رجوت طيف خيال * وكيف لى بهجوع
والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

وقال آخر

يا نازح الطيف من نومى يعاودنى * فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها * فكيف وهى التى لم تبلغ الحلما

وقال آخر

ارحم رحمت لاوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لا تسل * عن حالها يا ماجرى

وقال آخر

أملت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن * يجرى به دمعى دما وكذا جرى

وقال آخر

ان عينى مذغاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ماجرى على الخد منها

وقال آخر

يقولون لى والدمع قرح مقلتى * بنا رأسمى من حبة القلب تقدح
أدمعك جمر قلت لاتتعجبوا * فكل وعاء بالذى فيه ينضح

وقال البدر الذهبى

قالوا بما كى بالدموع ومابكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

وقال ابن مطروح فى الغيرة

ولو أمسى على تلفى مصرا * لقلت معذبى بالله زدنى
ولا تسمح بوصلك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى

وقال آخر

أغار عليك من نظرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أنى خبأتك فى جفونى * الى يوم القيامة ما كفانى

المظفر بن عمر الآمدى

قلت للذين جفونى اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحبكم وهلاكى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

وقال غيره

لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجا والنجاح
ذاك الزمان مرحلو الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

الشريف الرضى

علالانى بذكركم واسقيانى * وامزجا لى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر

قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ما حق طرف هدانى نحو حسنكم * أنى أعذبه بالدمع والسهر

عز الدين الموصلى

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقيسة البدر في أولى تساره
كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وقال آخر

ليل المحبين مطوي جوانبه * مشهر الذيل منسوب الى القصر
ماذاك الا الان الصبح نم بنا * فأطلع الشمس من غيظ على القمر

وقال غيره

فلم أر مثل ليل ذوي التصابي * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافي * ويشكو قصره أهل الوصال

وقال آخر

ليلي وليلى سواء في اختلافهما * قد صيراني جميعا في الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلي وان جادت به بخلا

وقال آخر

ان الليالي للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وقال غيره

رب ليل لم أذق فيه الكرى * حظ عيني فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلى حرقي * صحت يا ليل أما فيك سحر

وقال آخر

يا ليل طل أو لا تطل * لابد لي من سهرك
لو بات عندي قمري * ما بت أرعى قمرك

وقال بشار بن برد

خليلي ما بال الدجى لا يزحزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل اليها المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

وقال آخر

كان الثريا راحة تنشر الدجى * ليعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليلي تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وقال ابن منقذ

لما رأيت النجم ساط رفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافر * أيقنت ان صباحهم قد ماتا

وقال آخر في ليلة ممطرة

اقول والليل في امتداد * وادمع الغيث في انسفاح
اظن ليلي بغير شك * قد بات يبكي على الصباح

ومما جاء في الاشعار الحربية قول صفي الدين الحلي

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * فخرقت حلة الظلماء باللهب
بكر اذا زوجت بالماء أولدها * أطفال درّ على مهد من الذهب
بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت جلت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما فى سالف الحقب
باكرتها برفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والأدب
بكل متشح بالفضل مؤتزر * كأن فى لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غداقى الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب
بذلت عقلى صداقا حين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من شدة الطرب
بعث ألم فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القصب
بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

وقال أيضا

تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
تم السرور فقم بنا يا صاحبى * نستدرك الماضى بنهب الآتى
توّج بكاسات الطلا هام الربا * فى روضة مطلولة الزهرات
تغدو سلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضار على العقار غنيمتى * وفراغ راحاتى على الراحات
تركى لأكياس النضار جهالة * من ذا أحق بها من الكاسات
تبت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد كخد فتاة
تابع الى أوقاتها داعى الصبا * واعجب لما فيها من الآيات
تمم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة اللذات

وقال أيضا

حى الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح
حاش الانام وعاطنى مشمولة * ظنت فسادى وهى عين صلاحى
حمراء لو ترك السقاة مزاجها * أغنى تلألؤها عن المصباح
حبب تظل به الكؤس كأنها * خصر الفتاة ممنطق بوشاح
حجب الحباب شعاعها فكأنه * شفق تلهب تحت ذيل صباح
حكم الزمان وغض عنا طرفه * يا صاح لا تقنع بانك صاح

وقال آخر

قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها يا سيدى * تاتيك باسمة وانت تعبس

عز الدين الموصلي

لئن شبه الساقي المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهرا سبيت طلا * فيا حبذا قد حلت الكاس بالذهب

يزيد بن معاوية

وشمسة كرم برجها قعر دنها * وطالعها الساقي ومغربها فمي
مدام كتبر في اناء كفضة * وساق كبدر مع ندامى كانجم

وقال آخر

كان الندامى والسقاة ودمنا * وكاساتنا في الروض قلي وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب

وقال آخر

فكانها وكان حامل كأسها * اذ قام يحملها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجا بكوا كب الجوزاء

وقال كشاجم

صدح الديك في الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
لست ادري من رقة وصفاء * هي في الكاس أم هو الكاس فيها

كمال الدين بن النبيه

قم يا غلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح
خفيت بناشير الصباح فأسقني * ماضل في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لمعت بكف مديرها * لقطب الاتهلل والنشرح
تالله ما مزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح
هي صفوة الكرم الكريم تماسرت * سراؤها في باخل الاسمح
من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذر لمن خلع العذار وافتضح

وقال غيره

وليلة أوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا
مازلت ألثم بدرا * بها واشهد شمسا

عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية

وكاس يرينا آية الصبح في الدجى * فاولها شمس وآخرها بدر
مقطبة ما لم يزرها من اجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

وقال ابن تميم

وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم

مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ابن مكانس

نزل الطل بكرة * وتوالى تجـــــددا
والنداما تجمعوا * فاجل كاسى على الندى

الشيخ شهاب الدين الحجازى

كاسنا ياصاح صرفا * جليت بين النداما
لم نجد ماء لمزج * فقنعنا بالنداما

صفى الدين الحلى

كيف لا تخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات
ألفوا فى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء المسمات

غيره

صبها فى الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج
ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

مجد الدين بن تميم

نديمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو الهنى
ودع كاسها أطلسا * ولا تسقنى مع دنى

تقى الدين بن حجة

حيا بها عاصرها فى كاسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها ايا امام العصر

أبو الطيب المتنبى

ياصاحبى امزجا كاس المدام لنا * كيما يضىء لنا من افقها الغسق
خمرا اذا ماندمى هم بشربها * أخشى عليه من اللاء يحترق
لو راح يحلف أن الشمس ماغربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

وقال آخر

بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

وقال آخر

عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقد اللآلى
اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

برهان الدين بن المعمار

باكر لكرم العنب المجتنى * واستجنه من عذد عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنا به

جولان العاذلي

اذا ما الخمر في الكاسات صبت * رأيت لها شموسا في بروج
وان جليت على الندمان يوما * تزاحمت الهموم على الخروج

وقال في الشراب المطبوخ

يا من يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار في أي شئ تظلم العنبا
ان التي طبختها الشمس أنفع لي * واست أخسر لا قدرا ولا حطبا

وقال أيضا

وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأخجلها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يجول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب بأعين * خلقت ولم تخلق لهن محاجر

وقال غيره

لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرق قد بتصريح
هذا من الحي للاحياء معتصر * وذا الذي عصر من جسم بلا روح

وقال غيره

عابوا علي مدامتي * أخرتها للصبوحي
واستنكروها وقالوا * تخلات قلت روحي

وقال آخر في الشراب على الرعد والبرق

أما ترى الرعد بكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا
فاشرب على غيم كصبغ الدجى * أضحك وجه الروض لما بكى
وانظر لماء النيل في مده * كأنه صندل أو مصطكا

وقال آخر

يا ليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقي سلافا رقرقا * يذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها * من قضبة قد قمعت عنابا

وقال آخر

أما ترى الغيث كالبا كي بادمعه * والارض تضحك والازهار في فرح
فقم فديتك نشكو ما نكابده * من الزمان ومانلقى الى القدح

ابن نباتة

اما ترى الليل قد ولت غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم رام فامتنعا

ومن شعر عضد الدولة

طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرد الملاح

وكان الثلج كالكافور نثرا * وتارى بين نارنجى وراحى
فشمومى ومشروبى ونارى * وثلجى والصباح مع الصباح
لهيب فى لهيب فى لهيب * صباح فى صباح فى صباح

ابن وكيع

وصفراء من ماء الكروم كأنها * فراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها * كواكب در فى سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بها رمن قميص شقيق

وقال آخر

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقال آخر

اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر فى برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب * تمر به الجنوب مع الشمال
وحركت الغصون فشابهتها * قدود سقاتنا فى كل حال
فهات الكاس مترعة ودعنى * أبادر لذتى قبل ارتحالى
فكل جماعة لاشك يوما * يفرق بينهم صرف الليالى

وقال آخر فى الشراب على الغيم

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بهطل
فوجه الرأى ان تدعو برطل * فتشربه وتدعو لى برطل

وقال آخر

فيا بكر يا كربكرة بكر كرمة * تفز ببكور يا كرتك بها بكر
وداوى خمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

الصنوبرى

لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفى الهموم ولا تبقى على الحزن
بكرا معتقة عذراء واضحة * تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن
حمرا مروقة صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسنى
يسعى بها غنج فى خده ضرج * فى ثغره فلج ينمى الى اليمن
فى ريقه عسل قلبى به خبل * فى مشيه ميل أربى على الغصن
كأنه قمر ما مثله بشر * فى طرفه حور يرنو فيجرحنى
سبحان خالقه يا ويح عاشقه * يهدى لرامقه صنفا من الشجن
فى روضة زهرت بالنبت قد حسنت * كأنها فرشت من وجهه الحسن

باطيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

كمال الدين بن النبيه

طاب الصبوح لنا فهالك وهات * واشرب هنيئا ياأخا اللذات
كم ذا التوانى والزمان مساعد * والدهر سمح والحبيب موانى
قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فحجبت للنيران فى الجنات
يغسل فى فارالظروف حبابها * والدر مجتلب من الظلمات
عذراء واقعها المزاج أماترى * منديل عذرتها بكف ساقى
يسعى بها عبل الروادف اهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأساود الحيات
لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

وقال أيضا

باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره
والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره
فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض مفتاه واسودت غدائره
بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خوس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى عنج * مؤنث الجفن مفلول اللحظ شاطره
مهفهف القد يبدى جسمه ترفا * مخصر الخصر عبل الردف وافره
تعلمت بانة الوادى شمائله * وزورت سحر عينيه جاذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره
فلو رأت مقلتاها روت آيته * الكبرى لآمن بعد الكفر ساحره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه رب ما صرت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

وقال آخر

شربنا بالبواطى ثم رحنا * نسال بالكؤس وبالقنانى
ولولا ضيقة الاجرام قلنا * اساقيها ادرها بالدنان

برهان الدين القيراطى

أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب

جئنا الخمار وقلنا له * احمل الينا جرة كي نطيب
قال زبيبا تريدون أم * خمرا فان الكل مني قريب
قلنا له خمرا فنادى زنوا * في جرة عشرين قلنا الزبيب

وقال أيضا

صرف الزبيب لصرف همي * نص على نقصه طبيبي
آها على سكرة لعلي * أن أخلط الهم بالزبيب

وقال

قالوا اترك الخمر واجتنبها * لانتعاد الحرام حدا
قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

ومما قيل في شرب الفقهاء

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف أحوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء معتنما * تحت الظلام بأفواه الابارق
فمن يطيل الحديث والكاس في يده

وشادن نطقه جار اذا شفعت * في مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكي وكاس الراح في يده * حكاية عرضها عرض السموات

ومما قيل في كريم السكر ئيم الصحو

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا في بذل مال فيه ضنا
يجود بماله في الشرب سكرا * ويأكل كفه في الصحو حزنا

وقيل في شجاع السكر

اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقاه جزوعا * اذا اشتد القتال يوم الطعان

وفيه أيضا

يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات في الوغى * أنا قل فيها كل ليث مناهز
ومن لي بحرب ليس يخمد نارها * لعمري اني است فيها بعاجز
ففي السكر قيس وابن معدي وعامر * وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

وقال في شرب الثلاثة

ثلاثة في مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغني ذا وهذا اذا * يسقي وذا بالشرب مسرور

وقيل في شرب الاربعة

الا انما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغني وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

وقيل فى شرب الستة

خير المجالس خمسة أو ستة * أو سبعة وعلى الكثير ثمانيه
فاذا تعدى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنيه
فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * ولئن أتيت به فانك زانيه

ومما قيل فى الشرب مع التجار

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا
فذاك يقول كم أطلقت بيعا * ووفيت الذى بعت الذراعا
وهذا قال عندى كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهم أبدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

فيمن أكل على الشراب

وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الاكل إرتعدت يداه
نديم دأبه فى السكر أكل * فلا يبقى على شئ يراه

وقيل فى قدح

غرامى ووجدى بالذى كان فى الثرى * مهانا فاضحى فى المجالس حاكما
قضى ما عليه من ورود جهنم * فصار بجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصارى يستدعى بعض اصدقائه الى الشراب

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشى أو حرير
وقد صفى الدنان الخمر حتى * لقد عادت لدينا وهى نور
ومن يرد السرور يعش هنيئا * فان العيش الهنئ هو السرور
وعندى اليوم ندمان كرام * وجوههم شموس أو بدور
وقطب الاهر أنت وهل لاهر * بغير القطب فيه رحى تدور
فرأيك فى الحضور فحق يومى * عليك وقد دعاك له الحضور

وقال آخر

باكر صبوحك واشربها مشعشعة * واهنأ بعيش جديد غير مذموم
حمراء من بعد ما احرمت مورده * طافت علينا فسرت كل مهموم
كأن فى كاسها والماء يقرعها * أكارع النمل او نقش الخواتيم
لا صاحبتى يدم تغنى ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عاتقه * فان خلف الفتى عندى من اللوم

سيف الدولة بن حمدان فى ساق

وساق صبيح الصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم * فما بين منقض علينا ومنقض
وقد نشرت ايدى النجوم مطارفا * على الجود كالحواشى على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر فى أخضر تحت مبيض

كأذيال خود أقبلت في غلائل * مصيغة والبعض اقصر من بعض

ابن نباتة

سقى وواعدني وصلا الذبه * عند المنام ولا والله ماوصلا
قبيله الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وقال آخر في ساق

وساق كالهلال سعى بكاس * لربة نرجس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيا بالثريا

وفيه لابن النبيه

ساق صحيفة خده ماسودت * عبثا بلام عذاره وبنونه
جمد الذي بيمينه في خده * وجرى الذي في خده بيمينه

في جارية ساقية

نديمتي جارية ساقيه * ونزهتي ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

فيمن حبس الكاس في يده

قالوا الذي تهواه يحبس كاسه * في كفه من غير ذنب موجب
فاجبتهم كفوا الملام فانه * قمر ينزه طرفه في كوكب

وقال آخر في مجلس أنس

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقي وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

صفي الدين الحلي في عود

وعود به عاد السرور لانه * حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم
يغرب في تغريده فكانه * يعيد لنا مالقنته الحمائم

وقال آخر في زامرة

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومما قيل في فانوس لابن تميم

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على نقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وفيه لابن قزل

وكأنما الفانوس في غسق الدجى * دنف براه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وجرت مدامعه وذاب فؤاده

ولبعضهم في شمعة

حكمتني وقد أودى بي السقم شعشعة * وان كنت صبادونها متوجعا
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وادمعا

(ومما قيل في الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك) قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * متجاوب في أيكه أطياره
وبدا البنفسج والشقائق مونق * والورد يضحك بينها وبهاره
فاشرب على وجه الحبيب وغن لي * هذا هو الد وهذه آثاره

وقال غيره

غدونا على الروض الذي طله الندى * بحيرا وأرواح الابارق تسقيك
فلم نر شيأ كان احسن منظرا * من النور يجري دمعه وهو يضحك

وقال آخر

اما ترى الارض قد اعطتك زهرتها * يخضرة وا كتسى بالنور عاريها
فالسماء بكاء في جوانبها * والربيع ابتسام في نواحيها

غيره

ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شئ من الزهر
والارض لا تجلي انوارها ابدا * الا اذا رمدت من شدة المطر

وقال ابن قرناص

يا حسنها من رياض غدا * جنونى فنونا بافنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل اقدام اغصانها

وقال آخر

انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

وقال ابن قيم

وحديقة يسقى بها جدول * طرفى برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها فى مائه * فكانما هو معصم منقوش

وقال أيضا عفا الله عنه

فلأهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل ضافى
والزهر حيانى بثغر باسم * والماء وافانى بقلب صافى

وقال آخر

قد سعينا نبغى زيارة دوح * قد حبانا باللطف والاكرام
ناولتنا أيدى الغصون ثمارا * أخرجتها لنا من الاكمام

(ومما قيل في الازهار والثمار) قال بعضهم في الورد

يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * في روضة القصف والاطيار تنتحب

الورد ضيف فلا يجهل كرامته * فهاتها قهوة في الكاس تلتهب
سقيا له زائرا تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

وقال آخر فيه

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * مادام للورد أنوار وازهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لا طوّلت للئام الناس اعمار

وقال آخر

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا

وقال آخر

اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

وقال بعضهم

ولقد رأيت الورد يلطم خدّه * ويقول وهو على البنفسج يحنق
لا تقربوه وان تضوّع نشره * من بينكم فهو العدوّ الازرق

(ومما قيل في البنفسج) وقال ابن المعتز

ولازرردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات صففن بها * أوائل النار في أطراف كبريت

وقال آخر

اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدي السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخدّ مهفهف * اواعين زرق كحلن باثمد

ولبعضهم في الورد

للورد فضل على زهر الربيع سوى * ان البنفسج ازكى منه في المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص يد في خدّ ذي غنج

وقال آخر

يا مهديا لي بنفسجا ارجا * يرتاح صدري له وينشرح
بشرني عاجلا مصحفه * بان ضيق الامور ينفسح

وقال غيره في النرجس

وقضب زمرد تعلو عليها * عيون لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

وقال آخر فيه

انت يا نرجس روض * لزهور الارض ست
ودليل القول فيك * ان اوراقك ست

وقال آخر فيه

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الي" وللنمام حولي المام
أيادب حتى في الحدائق أعين * علينا وحتى في الرياحين نمام

وقال أيضا فيه

لما تمادى الورد في زهره * وراح من اعجابه برأس
تلون المنثور مما به * واصفر من غيظ به النرجس

(ومما قيل في النيلوفر) لابن المعز المصري

وبركة تزهو بنيلوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب
مفتح الاجفان في نومه * حتى اذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جفنيه على خده * وغاص في البركة خوف الرقيب

وقال تميم بن المعز المصري

رأيت في البركة نيلوفرا * فقلت ما شأنك وسط البرك
فقال لي غرقت في أدمعي * وصادني ظبي الفلا بالشرك
فقلت ما بال اصفرار بدا * فيك وما هذا الذي غيرك
فقال لي ألوان أهل الهوى * صفر ولو ذقت الهوى صفرك

ومما قيل في الباب

قد اقبل الصيف وفي الشتا * وعن قليل تسأم الحرا
أما ترى البان باغصانه * قد قلب الفرو الى برا

وقال آخر فيه

أما ترى البان الذي يزهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال في السنجاب والبرطاس

وقال في الشقيق

حييته بشقائق في مجلس * ورأى الرقيب فشق ذا لغيظه
فاحمر من خجل فأثبت خده * اضعاف ما حملت يداي اليه

وقال آخر

لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها اليّ تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بانت النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومي الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فأنشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق
فارقته ولزمته * فانا الشقيق الصادق

(ومما قيل في المنثور)

تخال منثورها في الدوح منتثرا * كأنما صيغ من در وعقيان

والطير ينشد فى اغصانه سحرا * هذا هو العيش الا انه فانى

وقال آخر

قد اقبل المنثور يا سيدى * كالدر والياقوت فى نظمه
ثناك لا زال كانفاسه * ومخ من يشناك مثل اسمه

ولبعضهم فيه

ولقد خلوت مع الاحبة مرة * فى روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور أقام ونرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا بشير باصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك

ومما قيل فى الياسمين

والارض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

وقال آخر

رأيت الفأل بشرنى بخير * وقد اهدى الى الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان الياس مين

ومما قيل فى السوسن للاخطل الاهوازى

سقيا لارض اذا ما نمت نبهنى * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كان سوسنها فى كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

ومما قيل فى الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربى

افدى الذى زارنى سرا فاتحفنى * باقحوان يحاكى ثغر مبتسم
فبت من فرحى أفنى مقبله * لثمار وأرشف من ريق له شبم

ولبعضهم فيه

ان فاه ثغر الاقاحى فى تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عندما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومما قيل فى الجلنار

وجلنار مشرق * على اعالى شجره
كانه فى غصنه * أحمره واصفره
قراضة من ذهب * فى خرقة معصفره

ومما قيل فى الآس

أهديت مشبه قدك المياس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكانما يحكيك فى حركاته * وكانما تحكيه فى الانفاس

ومما قيل فى الريحان

وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصنى نرجس وشقائق

يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

وفيه ايضا

وريحان يميس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان البسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

وقال آخر

قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذار تبدى فى سوالف أغيد

(ومما قيل فى الفواكه والثمار على اختلافهما) فى الاترج قال ابن الرومى

كل الخلال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * حملا ونشرا وطاب العود والورق

ولبعضهم فيه

حبالئمن تهوى باترجة * ناعمة مقدودة غضه
فجلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضة

وقال آخر

يا حبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب
كانها كافورة * لها غشاء من ذهب

فى الليمون قول ابى الحسن رئيس الرؤساء

يا حسن ليمونة حيا بها القر * حلو المقبل المى بارد الشنب
كانها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

وفيه ايضا

وصاحب ناديته * والطير لم يغرد
انهض الى الراح ولا * ترضى بعيش نكد
واشرب سلافا رقة * من كف ساق اغيد
قد اكنست تلهبا * من خده المورد
ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أما ترى الليمون فى * غصن من الزبرجد
كأكرة من فضة * ملوأة من عسجد

فى النارنج لعبد الله بن المعتز

نظرت الى نارنجة فى يمينه * كجمرة نار وهى باردة اللمس
فقربها من خده فتألقت * فشبهتها الريح فى دارة الشمس

وقال آخر

ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد

اذا ميلتها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا فى صولجان زبرجد

وقال آخر

ونارنج يلوح على غصون * ومنه ماترى كالصولجان
اشبهها ثديا ناهدات * غلائلها صبغن بزعفران

وقال آخر

وأشجار نارنج كان ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
نطالعها بين الغصون كانها * قدود عذارى فى ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق بريا حبيبه * فهاجت له الاشجان من حيث لايدرى

فى التفاح لبعضهم

ولما بدا التفاح احمر مشرقا * دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغانى قد جمعن على طبق

وقال آخر فى تفاحة

وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كان الهوى قد ضم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

ولبعضهم فيه

تفاحة كسبت لونين خلتهما * خدا محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وقال آخر

وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بخمر فجاءت باحمرار أديمه
تذكرنى شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

وقال آخر

حمرة التفاح فى خضرته * أشبه الالوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

وفيه ايضا

اهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

وقيل فى السفرجل

حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

وقال آخر

سفرجلة صفراء تحكى بلونها * محيا شجاه للحبيب فراق

اذا شمها المشتاق شبه ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المزاق فطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

وقال اخر

سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى يحب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الحبيب

وقيل في الكمثرى

وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهي جاء من دوح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتتلنا * مغبرة بلون الزعفران

ابن برغش متغزلا

وكمثرى سباني منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما أتانا * نهود السعد في معنى وقد

ومما قيل في المشمش

بدا مشمش الاشجار يذكو شهابه * على غض اغصان من الروض مبد
حكى وحكت اشجاره في اخضراره * جلاجل تبر في قباب زبرجد

ما قيل في الاجاص

انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه في اخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج في خضر من الازر

ما قيل في الخوخ

أهدى الي الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه في مثلها دقيق
حمراء صفراء مستعير * بهجتها النبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

ما قيل في الفستق

تفكرت في معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه * زها بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * واحشاء ياقوت وقلب زبرجد

ما قيل في البندق

ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
فتقضل الظبي الهوى ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا احمرا * قد اف فيه بنادق من عاج

ومما قيل في النبق

وسدرة كل يوم * من حسنها في فنون
كأنما النبق فيها * وقد حلا في العيون

جلاجل من نضار * قد علقت فى الغصون

ومما قيل فى اللوز

ومهد الينا لوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كانهما حبان فازا بخلوة * على رقبة فى مجلس فتعانقا

فى العنب لبعضهم

هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذ وافتك من يده
نوعان من عنب جاآ على طبق * كان طيبهما من طيب محتده
فابيض العين يحكى لون أبيضه * واسود العين يحكى لون أسوده

فى قصب السكر

ورماح لغير طعن وضرب * بل لاكل ومص لب ورشف
كملت فى استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد ولطف

ومما قيل فى البطيخ الاصفر

أتانا غلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء فى لون عاشق
فشبهته يدرا بقد أهلة * من الشمس ما بين النجوم ببارق

وقال آخر

وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام
فخيل لى شمس الاصيل اهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

ومما قيل فى البطيخ الاخضر

وظبى أتى فى الكف منه بمدية * وقد لاح فى خديه شبه شقيق
فمال الى بطيخة ثم شقها * وفرقها ما بين كل صديق
فشبهتها لما بدت فى أكفهم * وقد عملت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت فى زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

وقال آخر

وبطيخة خضراء فى كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يفريها بمديته وقد * فرى طرفه الساجى القلوب مع المهج

ومما قيل فى القثاء

انظر اليها أنابيبا منضدة * من الزمرذ خضرا مالها ورق
اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار فى عكسه انى بكم أثق

ومما قيل فى الباذنجان

وكانما الابذنج سود حمائم * اوكاره خمل الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرذ سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

ومما قيل فى الانهار والبرك والنواعير

أما ترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس في حافاتها طلعا
والنهر من فوقه يلهيك منظره * شهب سماوية فارتج والتمعا
كأنه السيف مصقولا بقلبه * كف الكمي الى ضرب الكماة سعى

وقال آخر في بركة

يا من يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا الاحت معانيها
فلو تمسر بها بلقيس عن عرض * قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها * ليلا حسبت سماء ركبت فيها

وقال آخر

وبركة للعيون تبدو * في غاية الحسن والصفاء
كأنها اذ صفت وراقت * في الارض جزء من السماء

وقال محمد بن سارة المغربي

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنما * عكس الخصور تهزها الاعجاز

وقال آخر

يوم لقانا النيل مختصر * ولكل وقت مسرة قصر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما دارانه سرر

وقال آخر في نهر يسبح فيه الغلمان

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائي مسره
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم في المجره

وقال آخر في النيل

النيل قال وقوله * اذ قال لي مسلمي
في غيظ من طلب الغلا * عم البلاد منافعي
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها باصابعي

وقال آخر

كان النيل ذو فهم وواب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وقال آخر

وفت اصابع نيلنا * وطغت وطافت في البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى اصابع ذي أيادي

وقال

وقال آخر

سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطان فكيف توانرت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

وقال آخر

ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعاله فى كل أمر
اذا عصفت على الاغصان ألقت * اليه بها فيأخذها ويجرى

وقال آخر فى ناعورة

وكريمة سقت الرياض بدرها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

وقال آخر

وناعورة قالت وقد حال لونها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبى لانى فقدته * وأما دموعى فهى تجرى على جسمى

وفيها أيضا

وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كمنتثر العقد
أحن اذا حنت وأبكى اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد
ولكنها تبكى بغير صبابة * وابكى بافراط الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعى من عينى يفيض على خدى

وفيها أيضا قال الخطيرى

رب ناعورة كان حبيبا * فارقته فقد غدت لى تحكى
أبدا هكذا أنين بنجو * وعلى انها تدور وتبكى

ابن غيم

تامل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كان نسيم الجو قد ضاع منهما * فاصبح ذا يجرى وذاك يدور

(فصل فى ذكر ارباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك)

لابن عفيف فى قاض مليح

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رنا لى بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

وقال فى فقيه مليح

وبهجتى طيبا غدا متفقها * وهو المهذب فى الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه مطولا * لكن وجيزا نلخصر منه المختصر

وقال فى محدث مليح

علقته محدثا * شرد عن جفنى الوسن

حديثه ووجهه * كلاهما عندى حسن

وقال فى امام

جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر فى ليالى السعود
فتمنيت ان وجهى أرض * حين يومى بوجهه للسجود

ابن الرومى واجاد

بى عروضى مليح * موتتى فيه حياة
عاذلاتى فى هواه * فاعلات فاعلات

فى مؤذن مليح

ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل اى بخيل
أبدا أموت بهجره لكننى * من بعد ذا أعيش بالتسبيح

لابن عربى

وبنفسى مؤذن قد سبانى * لم يقدنى شكوى الغرام اليه
كيف يصغى لما يقول حبيب * واضع اصبعيه فى أذنيه

وقال آخر فى مريد

مراد قلبى مريد * مخبأ فى الزوايا
وليس ذا بعجيب * ففى الزوايا خبايا

وفى فقير مليح

بى فقير يغنى * بسنا وجه منير
لاتلمنى فى اقتضاحى * فغرامى بالفقير

فى أمير شكار لابن دانيال

بى من أمير شكار * وجديذيب الجوارح
لما سكى الظبى حسنا * حنت اليه الجوارح

فى مليح مغن

أضحى يخر لوجهه قمر الدجا * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

فى مليح عواد

غنى على العود فالتى سهم ناظره * أصمى به قلبى المضنى على خطر
دنا الى وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

فى مليح كاتب

بروحى كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا منه أجمل
على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غداة معى مسلسل

غيره

وراقنا ذا المفدى * فيه تزايد عشقى
فلو يجود بوصل * لكان مالك رقى

وفيه أيضا

ياحسن ورّاق أرى خطه * قد راق فى التقبيل عندى ورق
تميل فى الدكان اعطافه * ما أحسن الاغصان بين الورق

للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطى فيه ايضا

فديتك أيها الورّاق قلبى * لمطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طاب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الوراق وصلا

فى مليح صيرفى

ياسائلا عن حالتى ماحال من * أمسى بعيد الدار فاقد الفه
بى صيرفى لا يرق لحالتى * قد مت من جور الزمان وصرفه

فى مليح بخانق

تسلطن فى الملاح بخانقٍ * ولا يرضى بيدر الّا نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * واصبح راكبا تحت العصائب

فى مليح فرّاء

قلت لفرّاء فرى أدمعى * وزاد صدّا وطال هجرا
قد فرّ نومى وفرّ صبرى * فقال لما عشقت فرّا

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء فى مزين

حبى المزين وافى * بعد البعاد ينشطه
ومص دمل قلبى * بكأس راح وبطه

فى مليح قصاص

اشكو الى الله قصاصا يجرعنى * بالهجر والصدّ انواعا من الغصص
ان تحسن القص يناه فقد لته * أيضا تقص علينا أحسن القصص

فى مليح صياد

وموانع بفخاخ * يمدّها وشراكه
قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكى

فى مليح رامى بندق

وأهيف القدّ ذى دلال * طائر قلبى عليه واجب
كالشمس فى كفه هلال * يرمى الى البدر بالكواكب

وقال آخر فى راع

أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضيفنى بالجدى ناديته * ما القصد يا مولاى الا العناق

القيراطى فى مليح طحان

حسن طحان سبانى * بلحاظ وبقامه
خاف من واش فأدمى * بجعل الغمز علامه

القاضى بدر الدين البلقينى فى تراب

رب ترّاب مليح * أورث القلب عذابا
قلت لما أن بدالى * ليتنى كنت ترابا

وقال آخر فى مليح عوّام

ياحسن عوّام كغصن النقا * يخجل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بأن * يريهم الارداف ان عاما

ابن نباتة فى مليح حبشى

بروحى مشروطا على الخد أسمرا * دنا ووفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

وله أيضا

ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * وثغرك كافور وزلفك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان ولفظك جوهر

وقال آخر فيمن به صفرة

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذا له من عيبه نزلا
عيناه مطلوبة فى ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

للشيخ شهاب الدين بن حجر فى مليح اسمه زائد

وزائر قال قلبى * للطرف ياطرف شاهد
مدحته فتجنى * تيها على بزائد

وقال آخر فى مليح أرمد

شكا رمدا فقلت الآن كلت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

لمجد الدين بن مكانس فيه

تورمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والألما
وبات يرمى محبيه بأسهمه * فيا له من حبيب قد شكا ورما

لابن أبى حجلة فى أعور

ماشان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين بأسرهم * ماظل ينظرهم بعين واحده

وقال آخر فى مليح راهب

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس

وقلت للنفس أى الضرب يؤلمكى * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسى

القيراطى فى مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذا لما * أن فاق فى حسن وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بانه اسم على مسمى

آخر فى مليح اسمه حمزة

متى يبد وحمزة ما بقلبى * ويرنى لى ويتظر فى بلائى
واشفى بالمبرد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائى

وقال آخر

كلفت به ولم أبلغ مرادى * غزال قد تحكم فى قيادى
فتصحيف اسمه فى وجنتيه * وفى معسول فيه رفى فؤادى

فى مليح سروجى

فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من ضجيجى
اذا جذب الغرام له عنانى * يلذ لى الركوب على السروج

وقال آخر فى مليح محموم

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * انا الذى كنت فى حمائه السببا
عانقته ولهيب النار فى كبدى * فأثرت فيه قلك النار قالتهبا

لابى نواس فى مليح ألثغ

ومهفهف ذى ذف الصباذى لثغة * تصبو اليه ذوو العقول الرجح
قبلت فاه فقال لى متخوفا * من كاشح متبلد بالثا اثنتى

وقال فى مليح خباز

ان خبازنا المليح المفدى * فى حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

وقال فى مليح حائك

وحائك ياصاح ابصرته * كالبدر فى كفيه ماسوره
فلم أرح الا وروحى لما * عاينت فى كفيه ماسوره

وقال فى مليح لاعب شطرنج

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قده
احل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

وفيه أيضا قال

تلاعبت بالشطرنج مع من احبه * فنادمنى حتى سكرت من الوجد
وانشدنى مالى أرالك مفكرا * تدور على الشامات وهى على الخد

فى مليح خياط

خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للجسم ثوب سقم * لما جفانى وكف وصلى

وقال غيره

فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسى للثوب خائطا * فتقسم حقا انه آية الكرسى

الصفى الحلى فى مليح قلع ضرسه

لله الطبيب لقد تعدى * وجاء القلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبى فى كلتا يديه * وسلط كلبتين على غزال

وقال فى مليح سلم عليه

تنبأ فيك قلبى فاستراب * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا بى * وقالوا ان معجزه محال
ومذ سلمت سلمت السرايا * الى وقيل كله الغزال

وقال فى مليح يرمى بالسهام

وظبى بشعر فوق طرف مفوق * بقوس رمى فى النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى فى الليل جنا بأنجم

وقال فى مليح يضرب بالعود

فتن الانام بعوده وبشدوه * شادت بجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه * وكأن ما بيمينه فى فيه

وقال أيضا فيه

وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
يبدا اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

وقال فى مليح مشيب

يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة الحفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصحب اقبال السرور كما * ضمنت نايك نأى الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذ جئت فى اللفظ والمعنى على قدر

وقال فى مليح ساق

وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
املكه قيادى وهو رقى * وأفديه بعينى وهو ساقى

وقال ايضا فى رسول مليح اتاه من عند من يحبه

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله
يا طلعة الشمس التى * جاء الصباح دليله

لم يبد وجهك قبلة * الا ارتقبت وصوله
فلذاك اذ واجهتني * بل الفؤاد غليله

فى مليح قارئ

نفسى الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا فى المصحف
فتن الانام ببهجة وبلهجة * تسبى وتضنى كل صب مدنف
فتلا مليا جل سورة يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف

وقال آخر فى مليح مكتمل العذار

وكامل العارض قبلته * فصدنى واز ورّ من قبلتى
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ما تفكر فى لحيتى

وقال آخر فى مليح حجام

كافت بحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواظب
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منه اللحاظ كليلة المشراط

(فصل فى الالغاز)

فى غزال

اسم من قد هويته * ظاهر فى صروفه
فاذا زال ربعه * زال باقى حروفه

فى كوز فقاع

ومحبوس بلا ذنب جناه * له فى السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فالثم من فرح الخلاص

فى زرمونة

مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب من بولة * لا تشرب الدهر ولا تاكل

وقال فى طاحون

ومسرعة فى سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشى ولا تتعب
وفى سيرها ما تقطع الاكل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهى لا تشرب
وما قطعت فى السير خمسة اذرع * ولا ثلث ثمن من ذراع ولا أقرب

فى دواة

ومرضعة اولادها بعد ذبحهم * لها لبن ما ان ذاقه شارب
وفى بطنها السكين والثدى رأسها * وأولادها مدخورة للنوائب

فى دواة أيضا

وما أم يجيا معها بنوها * وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم اذا وثبوا احشاها * أفاعٍ فى أماكنها رقود

في قلم

وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذي منطق وهو ابكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * ويضحي بليغا وهو لا يتكلم

وفيه أيضا

بصير بما يوحي اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب باح بسره * اليه اذا ما حركته الاصابع

وفيه أيضا

وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو جموع
حمى الجيش مفطوما كما كان تحتمي * به الاسد في الغابات وهو رضيع

وفيه أيضا

وذي نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جاري
ملازم الخمس لاوقاتها * مجتهد في طاعة الباري

في مرملة

معشوقة لذوات العز قد صنعت * حزينة ما تراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكي دماء على ما سطر القلم

في كتاب

وذي أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

في سلطان حسن لابن أبي حجلة

ما اسم محبب للقلوب لانه * حسن الحروف يجود بالاحسان
تصحيفه أمسى حبيبا كلما * صحفت أحرفه بحسن بيان
لو جاد لي يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

في شبابة

وما صفراء شاحبة ولكن * تزينها النضارة والشباب
مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب
تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديث تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لا سعاد ولا الرباب

وفيها أيضا

ومقروحة الاجفان مثلي شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
* تزوجها عشر وذاك محرم * ولا حرج كلا ولا وجب الحد
اذا ما وطيها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

وفيها أيضا

منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها لثما وينظرها شزرا

وتصحيفها فى كف حاملها فقل * اذا شئت فى اليمنى وان شئت فى اليسرى

فى دملج

الى النساء يلتجى * وعندهن يوجد
الجسم منه فضة * والقلب منه جماد

فى خلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا نوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

فى شعر اللحية

وذى عدد كالرمل سام محله * جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفى قلب هرون له الهلك والحق

فى التين

أى شئ لذ طعما * ناعم اللمس ولين
كيف لا يبدو وضوحا * وهو فى التصحيف بين

فى الموز

ما اسم لشئ حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

فى حزة

من لى بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لينة قده
فى فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه لشدة صده

وفيه أيضا

اسم الذى أنا اهواه وأعشقه * وطول دهرى أخشى من تجنيه
تصحيفه فى فؤادى دائما أبدا * يبدو وفى خده أيضا وفى فيه

فى ساقية

وجارية لولا الحوافر ماجرت * أشاهدها تجرى وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هى امهم * وليس لها ثدى وليس لها بعل

وفيها ايضا

وجارية تبكى اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا بواجب

فى زروعروة

وما أخت يجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفى اعتنافهم ذاك النكاح

فى راوية

وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون آختها * وثنتاهما واحد فى العدد
وتجمل فى الوقت شى وآختها * وفى ساعة يضعان الولد

فى شطرنج

ياذا النهى ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما * ثلاثة منها له شطر

فى فيل

أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لى ثلثاه

فى بيض

ما طائر فى قلية * يلوح للناس عجب
منقاره فى بطنه * والعين منه فى الذنب

فى نار

وما اسم ثلاثى به النفع والضرر * له طلعة تغنى عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر *
يمد لسانا يحتمى الريح باسه * ويهزأ يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قت تسقيه عامدا * ويأكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك شرحها * والا فسم عنها وتبه لها عمر

وفيها أيضا

وآكلة بغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان اسقيتها ماء تموت

فى يد الهاون

قل لى فما شئ يرى نائما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مقيشل الرأس قوى الجنان
يسمع فى القعر له رنة * ويظهر الصدق بأعلى مكان

وفيه أيضا

خبرونى أى شئ * أوسع ما فيه فمه
وابنه فى بطنه * يرفسه ويلكمه
وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

فى خشخاش

وما قبة مبنية فوق شاهق * لها علم يحكى الملاحة بالظرف

وأولادها في بطنها في جماعة * يكونون ألفا او يزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عسفا على راحة الكف

في كوز زير

وذي أذن بلا سمع * له قلب بـــلا لب
اذا استولى على صب * فقل ما شئت في الصب

في اسم علي

اسم الذي أعشقه * أوله في ناظره
ان فاتني أوله * فان لي في اخره

في موسى للصفدي

وماشي له حدّ وخدّ * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

في حلب لابن النارض

ما بلدة بالشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بارض العجم
وثالثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شبي النغم

وقال في سمرقند

وما اسم سداسي اذا ما لحنته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتي به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث رعاك الله ياصاحبي له * على مدد الايام نشر معطر
وفي نصفه لما تحرك بعضه * حديث شهي في الليالي يذكر
وفي نصفه الثاني اذا ما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
فقسمرلنا اذا اللغز ان كنت داجي * فليس على ذي العقل لغز معسر

وقال في كمون

يا أيها العطار اعرب لنا * عن اسم شئ قل في سوقك
تراه بالعين في يقظة * كما ترجى بالقلب في نومك

وقال في قالب الطوب

وما آكل في قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة او لحظتين ببطنه

في العين

وباسطة بالاعصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الحجر اطمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفي من ذلك ما أشرت اليه ومانبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها ولنذكر ان شاء الله تعالى

بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليا والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف وعند جميع المحققين ان هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يعتقر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي * والمرخص الغالي ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

فصل في بيان الفن الثاني وهو الموشح

لابن المبارك

قد أنحل الجسم أسمر أكحل * وارحل القلب فيه مذ حل

دور

أميل له فلا يميل
يحول وعنه لا أحول
أقول اذا زاد بي النحول
أما حل عقد الصدود ينحل * ويرحل عن نجم المزحل

دور

كم أبعد وكم أبيت مكمد
ويعمد بي جوره لأفقد
وأجهد لارتصاد من قد
تحمل والحاسدون رحل * تحمل والوعد منه ما حل

دور

متوج بالحسن هذا الابلج
مدبج عذاره البنفسج
مفلج وطرفه ذا الادعج
مكحل وثغره منحل * مخلخل بعنبر مجدل

دور

برغمي من يستحل ظلمي
ويرعى بحربه لسلمي
وجسمي من التزام سقمي

منحل وقد غدا مرحل * فمن حل سفك دمي وما حل

دور

قلاني واشتط ذا الفلاني
غزاني بطرفه اليماني
تراني أنشد لمن يراني
قد أنحل الجسم أسمر اكحل * وأوحل القلب فيه مذ حل

لابن سناء الملك

كللي يا سحب تيجان الربا بالحلي * واجعلي سوارك المنعطف الجدول

دور

يا سما فيك وفي الارض نجوم وما
كلما اخفيت نجما أظهرت أنجما
وهي ما تهطل الا بالطلى والدما
فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي * وانقلي للدن طعم الشهد والقرنفل

دور

تتقد كالكوكب الدري للمرتصد
يعتقد فيها المجوسي بما يعتقد
فاتئد يا ساقي الراح بها واعتمد
وامل لي حتى تراني عنك في معزل * قل لي فالراح كالعشق ان يزد يقتل

دور

لا أليم في شرب صهبا وفي عشق ريم
فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا اهيم الا بهذين فقم يا نديم
واجل لي من أكؤس صيرت من فوفل * ألذ لي من نكهة العنبر والمندل

دور

خذ هني واعطني كاسي مثل كاسك هني
واسقني على رضاب الفطن الملسن
والهني ببعض ما صيغ من الالسن
لو تلي مدح سناه مع رشا أكحل * لذ لي على سنا الصهباء والسلسل

دور

أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت
أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت
أخرت فقلت للظلماء مذ قصرت

طولى ياليلة الوصل ولا تتجلى * واسبلي ستراً فالمحبوب فى منزله

دور

من ظلم فى دولة الحسن اذا ما حكم
فالالم يجول فى باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم
من ولى فى دولة الحسن ولم يعدل * يعزى لالحاظ الرشا الاكحل

وله ايضا

ترى من يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

دور

لقد أسرفت فى هجرى وصدى
بلا سبب سوى كلفى ووجدى
وماذا فى سلوى عنك يجدى
خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

دور

لئن شحت عنى بالسلام
وطيفك قد جفا جفنا المنام
فقد جادت بأربعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول * على خد أشف به النحول

دور

لقد أرسلت فى طى النسيم
حديث هوى عن الوجد القديم
فعادت وهى عاطرة الشميم
تخبرنا ظعنهم نزول * بدار لا يلم لها نزيل

دور

تلقته الموالى والموالى
بألحاظ وزرق من نصال
وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هنالك وكم قتيل * بسيف هن لو احظه قتيل

وله أيضا

شمس الحيا أم القمر * أم بارق الثغر يابشر
أم الهها حف الخفر * بطرز خديك مستطر

سلسلة

قم بنا ها بما بنا ها ولا تلا ها

قفلة

فكل أحبابنا حضروا * والعود يشجيك والوتر

الدور

أفديك بالسمع والبصر * يا أهيف وصله وطرى
بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

سلسلة

اذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى

قفلة

تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر

الدور

فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب
اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال رب

سلسلة

فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

قفلة

الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

وقال رحمه الله تعالى

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب هموا بالنحنى
فارقونى ولم أقض الوطر * من لقاهم ولا نلت المنى
قلت يا قلب صبرا ما صبر * والنبى ما الهوى الا عنا
ما كتمت الهوى الا ظهر * من شهود المدامع والضنى

دور

ليش تمنع وصالك يا حبيب * عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك
لست ألقى لدائى من طبيب * غير رشفى حبيبى من لماك
لو رأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

دور

يا فروق غصن من نقا * أخجلتنا مطالك والصدود
يا رعى الله ليلات اللقا * ليتها يا خل يوما لى تعود
ليلة السعد ما فيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها لا يمازجه كدر * بالمسرات وأوقات الهنا

غيره

حملت مذ سارت الحمول * وجدا مضى العمر وهو باقى

دور

سار وا وسار الفؤاد لكن
جسمى مقيم على المساكن
وعينى الحب صار ظاعن
مالى الى وصله وصول * لو سرت بالبرق والبراق

دور

وغادة كالقضيب قدا
والورد والياسمين خدا
كأنها البدر اذ تبدا
وشعرها أسود طويل * كأنه ليلة الفراق

دور

هونا أتتنا تميل ميلا
محاية كالسحاب ذيلا
فقلت شمس تزور ليلا
وما درى كاشح عذول * فذا الذى من أعجب اتفاق

دور

وسدتها ساعدى لسعدى
وبت ارعى رياض ورد
وخمر ريق كذوب شهد
لو ذاقها مدنف عليل * لعاش والروح فى التراقى

دور

لما رأتنى أذوب سقما
ومن ورود الرضاب أظما
قالت كمات الخدود لثما
ما يشتفى منك ذا الغليل * بغير نوحى وشيل ساقى

فصل فى الفن الثالث وهو الدوبيت

لسيدى شرف الدين بن الفارض رحمه الله

اهوى قمرا له المعانى رق * من صبح جبينه اضاء الشرق
تدرى بالله ما يقول البرق * ما بين ثنايا وبينى فرق

وقال ايضا

أهوى رشا كل الاسى لى بعثا * مذ عاينته تصبرى مالبثا
ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

وقال أيضا

عرج بطويلع قلبى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى
واقصص قصصى عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشى

وقال أيضا

روحى لك يا زائرا فى الليل فدا * يا مؤنس وحدتى اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا اسفر بعد ذاك الصبح أبدا

وقال آخر

يا شمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم * مانوا كمدا وبالهوى ماباحوا

وقال آخر

أهواه مهفهفا ثقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واصد غمزه حين بدت * يا رب عسى تكون واو العطف

وقال التلعفرى

قلبى ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بلتم فسرنى لما به شامته * لا كان فراقكم ولا ساعته

وقال المنشد

احسانك طول الدهر لا أنساه * لا اذكر بعد خالقى الاهو
ان أبعدك الزمان عنى حسدا * مولاى خليفتى عليك الله

وقال آخر

ان جئت ربا الحمى ولاحت نجد * فاذكر ولهى وما جناه البعد
قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا * يا ليتهم عادوا وعاد الصد

فصل فى الفن الرابع وهو الزجل

قال الغبارى

قل لغزلان وادى مصر والشام يقصروا اذا النقار
لهم أجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

دور

مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لو عيون تجل سود
وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قدو قد الاغصان جهار

وذا بدر الكمال قد ظهر فى الليل وذا شمس النهار

دور

تدر بالله ايش قالت ملح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود
وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم يا عشاق الكم قلنا والحسود راح بنار
أنتم التفاح وما نقصد منكم الا الخيار

دور

وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوة وطيبة الاخلاق فى الخلائق مباح
احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفى الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا حد صار
وورثنا الحسن من يوسف وا كتسبنا الفخار

دور

حسن حبى الفرار بى فرحه بدر فى السعد لاح
فرح ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح
كلما أعمل على رضاه يفسد يجفاه الصلاح
ومن البيضة قد خرج نافر ردّ جفنى بنار
وجفانى وخد بياض جسمى خلطو بالصفار

دور

وقع الطل خط بالابيض فى اخضرار الطروس
قم ياساقى على بساط زهرى تحت ظل الغروس
ها تها شمس راح شمول قرقف بكر عذرا عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الما وابتهاج الثمار
قد جلوها فى كاس زجاج أبيض فاكتسى باحمرار

دور

خرفيه سر لو جعل اشياف ردّ الاعمى بصير
اقطع القطف أسود يحاكى الليل شفق احمر يصير
ياترى ذا السر فى كرمه أو يكون فى العصير
وترى النور داعليه يلمع ذالك من ايش استنار
وكذا الكاس يحاكى ياسمير من كساه جلنار

دور

فهو عطار عند وشراب هندى وبرانى جفاه
كل من مص من لسانو ريقو يلتقى فيه شفاه
ورد خدو وحبتو سودا شبه خال فى صفاه
جبل آس عارض وأسر قلبى والبكار والصغار
فى المحبا غار واعلى حسنو وكل من حب غار

دور

دوروني الملاح على كعبى ونصو نصوص
بلا دعوى التف الميسر فى هواهم خصوص
وعليا صار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين ما رأوا خلف له همه ولو اصطبار
قروني فى عشق هذا القمر والمحبه قار

دور

لحبيبي ثغر من جوهر والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق
وخدو دوردمن غير غش ووصفنا عن حقيق
يحرس الورد خال عنبر تحت اهداب غزار
فى صفا وجهو اثره طرفى عند خلع العذار

دور

فى رياض صفوف من الازهار قابلتها صفوف
كيف لا ترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف
واعجب من النهر اذ صفق لو من الموج كفوف
والغيوم نقطت وحين جا النسيم طارأ على مطار
باختلاف الالحان سحر فى الروض صاح على عود وطار

دور

أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال
نبي من بين اصابعه تحقيق نبع الماء الزلال
ولوان النبات جميعه أقلام والمداد ابحار
والخلايق تكتب مديحوتاه كل كاتب وحار

دور

خلف استاد فى الفن ما يطاق ذاق عداه المنون
ما يعيبوا فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون

شيخ مصدر لبيب قيم فى جميع الفنون
باتضاعو مع الصغار مرفوع فوق رؤس الكبار
واهل الفنون تجرى وما تلحق للغبارى غبار

غيره لناصر الغيطى

كنز روضى طالبو يسعد ياخليع قم فى دجى الاسحار
تلتقى درّ الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوّار

دور

* كنز روضى نزهة الطالب جوهرو بين الندى يرهج
* ولجين المابيتكسر ياخليع هيا تعا اتفرج
* بين عنابر تلتقى الخلع كل حد مع الفو يدّرج
وامش فى عرض الرياض وارتع بين اغصان وما واطيار
فوق بساط زمرد وقضبان كل ورده احكت لنا دينار

دور

* وترى الياسمين بحال فضه ضربت لاهل النزه صلبان
* والشجار يرلابسين اسود وقلانس كنهم رهبان
* وكذا الكتان وهو اصفر بعمائم زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس فى الحان وعلينا دارها الخمار
والقطيع الراهبى يحكى لشماس لابس الزنار

دور

الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق
داحبيب قلبو عليه راضى ودا محبوبو عليه يشفق
ولهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق
والمليح عندى وانا مطمن وسط روضا زهرها معطار
فى نعيم مع حور ومع والدان والعذول مسكين صبح فى نار

دور

وعمل فى الروض سماع باكر بين الاغصان والزهور انقام
والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كتر وجد وهام
والنخيل باكمامها ترقص واقبل الريحان بحال اعجام
والعصافير شيخهم زيق لوطريق بين الازاهر طار
والبلبل بالغنا يشجى فكانو ناى اومزمار

دور

ناصر الغيطى

يا اخلا يا صحبت انسان انكر الصحبة وعادانى

وبغضني حين بقيت مسمى والاله بالفضل اسمائي
في بلاد قبلي وارض الشام يشكروني سايراقراني
والشجيع الشاطر المذكور في جميع الارض لوتذكار
والبلط يوقع لو تعلق مايحصل شئ مع الشطار

للغبارى

جار حبيبي فقلت ذا الجاح جايجور اويزيد
لوعدل عشت بوسرور ويكون الرشيد

دور

اقلع القلب في هوى العشاق والدموع في انحدار
ويجور الهوى اذا هاجت ليس لها من قرار
كنت احسب قلبي معوريس غرقو ذا البحار
صحت لما وحلت ياحبوب بحر عشقك يزيد
خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد

دور

انا يوم في الغبوق باتفرج على شط الغدير
اذرأيت عاشط واحد واقف شب صياد صغير
نظرت مقلتي الى منظر ماحسن وانظير
قلت ياعين ان غرك الصياد بالجمال المصيد
يوقعك في فخاخ شباك عشقو وكراكي يصيد

دور

من محبوب جديد حبيب قلبي يوم صدفتو صدف
قلت لين ياقاسي لمن دمعو سال وحالو وقف
داروقال لي ماالاسم بالانجيل قلت اسمي خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع ذا الكلام يستفيد
في الحقيقة من لايكون داود مايلين لو الحديد

دور

للك عوارض في الخدمرقومه ليس لها من مثال
وجفاك صار حماق وباب وصلك كان وكان ياغزال
وانت دويت موشح القاما ياعزيز الدلال
ولك الفاظ صارت موالبا بالزجل والنشيد
وبشعرك متوج القاما وانت بيت القصيد

دور

* عن محرم شرابنا صمنا ونفطر بالثمار
* حين وجد ناسفر جل البستان يذهب الاصفرار
* وغنا الطير به الجماد يطرب وكذا الجلنار
* فى ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تعالق عقيد
حسب الروض النص من شعبان صار يقيد فيه وقيد

دور

من لهيب مدمعى جرى الطوفان للهيب ماطفى
وانا هو الغبارى فى العشاق ماجرى لى كفى
حين علينا بالصدوالهجران والبعادوالجفا
* جار حبيبى فقلت ذا الخجاج جايجور أويزيد
* لوعدل عشت بومسرور ويكون الرشيد

غيره

حين سكنت القلب ياعيسى اسى من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو ماجرت فيه يا ابن عين سلوان

دور

عارضو لما عشق خدو غرت من وجدى بقيت حاير
جيت الى طرفو وناديت لو احرسو وكون عليه ناظر
بعد حين نظرت فى خدو النقى العارض وهو داير
وعليه قدد ب بالسرقه جيت اطرفو قلت يا كسلان
هكذا فى عادة الحراس قال لى اعذرنى انا نعسان

دور

* بدر شعبان منيتى لما فى بروح السعد لاح نجمو
* قلت لو اقضى بفيض دمعى اطلقو واجراء على رسمو
* قلت لو دام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسمو
ايش قداذنب حين قطربو دا يغلط قول بالبهتان
قال لى صوم عن الوصال ناديت ليش اصوم يابدرفى شعبان

دور

حين تدبج احمرار خدو باخضرار العارض اسبانى
ضحك فابيض وانبسم واسوداد شعرى وابكانى
وحين اضحيت باصفرار لونى أشعث اغبرفى هواه عانى
قال لى لونك قد صبح حايل وقد ابصر مدمعى طوفان
ذقت تبريح الغرام ناديت فى هوالذقت الهوان الوان

دور

قلت لوحسين عسى تخاف لله كن لى يارشيد مهدى
قد تاون دمعى من بعدك وتجرى اليوم على خدى
دار الى انسان مقلتى قال لو أنت ماعندك نظر بعدى
ماترى ماقد جرى منك على الخدود قال يافتان
جرى الماتحت من بعدك راقب الله فيا انسان

دور

ذا الغزال الناقر الانسى للغزاله قد اعار النور
كسر قلبى كسير جفنو فاعجبوا للكاسر المكسور
وبخمر الدن قد عربد وادعى انى انا الخمور
وابتسم لى عن ثغائغرو وخطر والبشر فيابان
صحت ياقلبى صفاوردك انت مابين الثقا والبان

للصفى الحلى

انت ياقبلة الكرام زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدك على السنين

دور

أنت شامابين الانام الله يحرس شمايلك
ويزيد لك بالد وام كى تعيش فى فواضلك
ماينطوى ذكر الكرام لما تنشر فضايلك
ونهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين
قد بقينا بك فى امان الله يحييك طول السنين

دور

مارأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك اعم
كل من جا يسألك ليس تقول لسوى نعم
املك انت اوملك ضاعف الله لك النعم
انت فى الجود كالغمام وسمالك فوق ماردين
درغيثك فى انسجام عم كل الساكنين

دور

لاعدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا
كل ليله وكل يوم ينشر الذكر والثنا
الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى

حتى تقضي ذا الصيام ويليه باقي السنين
وتعيش يا ذا الهمام بين ولدان وعين

غيره

خال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم
ثغر معشوق الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو عين ولام وميم
دالي قد هواه قلبي صاد وبا ويا
ملبح ما رأيت مثله ظا وبا ويا
ما احلاه عندما يلبس قاف وبا ويا
ذقت من صدود حبي غين وصاد وصاد
لما رأيت صبري نون وقاف وصاد
النوم من جفون عيني خاء ولام وصاد
واصبحت وجود فكري عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لي سين ونون ودال
اعدل في الذي صبر و نون وفا ودال
ولا تهجر العشاق باو عين ودال
ما أفلح قط يا ناس من ظا ولام وميم

حل في الالغاز

المطلع في العين

وما طير اسكنوا الجر يا كرام * وجوهر حبابه يفد اهل الصلاح
ولمس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

دور في السراج

وما بحر ما هو وما في الليل يزيد * وينقص ولا هو خوض ولا هو غريق
وفيه شيء صفات حيه بلا وكر استفيد * لها جوهره في فمها يا رفيق
بلا شك ينظره القريب والبعيد * ويخفى ويظهر كل يوم عن حقيق
يغيب في النهار لكن اذا ما الظلام * تشوفو يضي بين الوجوه الصباح
ويسهر بجال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

دور في جوزة الكافة

وما هي التي تركب على ستين الف * وما مثل ذلك فسر لنا يا خبير
مليحه وقصيفه وتلبس ترف * وتحمل وتوضع كل يوم في السعير
لها عشرة اعوان حالهم مختلف * يشيلوا ودها الكبير والصغير

لها فحل يخدمها عليه السلام * يحادى سراها فى المجى والرواح
واكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قلته ومن غير مزاح

دور فى الغربال

وما هو الذى ياسعد كله عيون * ولا يعتلم ضوء الظلام والضيا
وهو بين خشب مصلوب لتلك الفنون * وميت وهو يحيى اصول الحيا
اذا غاب عن اهله فرد يوم مايهون * ولاحد يعوض موضعه لو عيا
وكم من رقيص فى صنعته باهتمام * مكابد عجاجه فى المسا والصباح
ويحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

الفن الخامس فى المواليا وله وزن واحد وأربع قوافى فمن تلك الاربعة واحدة

لصفى الدين الحلى

ياطاعن الخيل والابطال قد غارت * والمخصب الربع والامواه قد غارت
هواطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت أضواك قد غارت

وقال ايضا

سل مقلتيك الكحال عمن سلاسلها * ومرشفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التى مدت سلاسلها * كم من اسود ضوارى فى سلاسلها

وقال آخر

قد اوعدونا الغضا باانا نخلو * فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الاعادى قط ما نخلو

وقال آخر

قسما وبالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بمسجدها وجامعها
لو حل مع بغيتى عابد وجامعها * كان افتتن فى محاسنها وجامعها

ومن اثنين واثنين قال آخر

قوم اسقنى ماتبقى فى اباريقو * اماترى الصبح قد لاحت اباريقو
مع شادن كلما دارت شقاريقه * سقى المداما وان عزت سقى ريقو

وقال

البارحه ريت بعينى فى الدجاجيين * اثنين مثل البدوره فى الدجى جيين
ناديتهم فين كنتم ياخفاجيين * قالوا لمن قد وعدنا فى الخفاجيين

وقال

قد زدت هجرك فجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك تهجر تكدر قلب من حبك * ماظن فى الناس اقسى قلب من قلبك

غيره خمرى عاطل

كاس الطلا لطلاها طال لما سر * وصار لما حوى حمرا مكلل در

مدام لوطعم كله حلو ماهو مر * ماحل مملوك الاصار مالك حر

غيره حربي

لك يا امام الوعى فى كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع وينفى الكرب
هذا ولك كلما دارت رحا الحرب * سيوف تفنى وكفك لايل الضرب

الصفى الحلى فى المدح

أغنت وأقنت كفوفك فى الندى والحرب * فى القرب والبعد من فى شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قدرمى فى الكرب

وقال ايضا

من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * اخطا القياس وفى قوله جمع ضدين
ماجدت الاوتفرك مبتسم يازين * وذاك ماجاد الاوهو باكى العين

وقال فى التهنئة

رأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك * ورئيت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
ورئيت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

فى المعاتبة

عنى تسليت وأسياف الجفا سليت * ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما تمليت بالاعمال لى مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

وقال أيضا

ياقلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * نحن وان هم قسوا فاقسا وان لانوا
فان وان قربوا فاقرب وان بانوا * فبن وكن لى معاهم كيفما كانوا

وقال آخر

حلف علينا جكاره ان يقاطعنى * وصد عنى واقسم مايطاوعنى
كم ذا يصد وكم يرجع يصد عنى * ان كنت آنا المطلق لايراجعنى

وقال آخر هجو

قطع قفا ابن اخت خالك وابن اخو عمك * والحق يصفع ابو بنتك او ابن امك
وان تكلمت تصفع تايسيل دمك * وان كنت تسكت يبول الكلب فى فمك

وقال آخر

ان ردت تسلم بطول الدهر ماتبرح * لاتيأسن ولاتقنط ولاتقرح
واستعمل الصبر لاتحزن ولاتفرح * وان ضاق صدرك ففكر فى ألم نشرح

وقال آخر

ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع اذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * نادبه يا أيها الانسان ماغرك

وقال

وقال آخر

ياقاب ان خانك المحبوب لاتدبر * عفوا وعن قصة السلوان لاتخبر
واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر * فان والله ما خاب الذى يصبر

(الفن السادس كان وكان) وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت اطول من الثانى فمنه هذه الوعظيات

ياقاسى القلب مالك تسمع وماعندك خبر
ومن حرارة وعظى قدلانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالا ينفعك
ليتك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غائب وذهنك مشتغل
فكيف يامخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه فتى وافهم مقالى واستمع
فى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعالك وغمز لحظك يعلمه
وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى ان تدبر واستمع
مافى النصيحه فضيحه كلا ولا انكار

وقال ايضا

صرح بذكر المحبه تالى المعمى فائده
وقل نعم أنا عاشق صادق بلا تمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر
أنا عاشق طبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أو شمس الضحى
حاشا الذى الحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى
وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى
وفيه عزى وذلى بهجتى افديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصر واعتبر
هذا الذى قد عشقته قد حار وصفى فيه

الصفى الحلى

شاهدت فى الليل طيرى وقت حتى انصب شرك

ما كل صيد يحصل بفرح الصياد
طيري الذي كان الذي لو ردت مثله ما حصل
وهو علي معوّد وانا عليه معتاد
قد كان شرطي وخلقي ابرح غيري ما عرف
كأننا في الحبيبه جينا على ميعاد
من قبل ما ابصبص له يجي ويدخل مصوري
وانا ارصده في مطاره خائف عليه يصاد

وقال آخر

ما ذقت عمري جرعه أمر من طعم الهوى
الله يصـــــبر قلبي على الذي يهواه
الناس تعلم مني حال الجلاده والقوى
وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لي حب مثل الخوخه لونه وطعم وريحه
ما اكثر مغابن حبيبي وما اقل وفاه
انا عرفته وحظي وكل ما احسن لو يسيء
لو كنت أعشق ظلي ما كنت قط أراه

وله في الفراقيات

يا سادة هجروني وهم نزول بخاطري
لا أوحش الله منكم في سائر الاوقات
اوحشتم العين مني وانستكم في خاطري
والقلب في النور منكم والعين في ظلمات
قد انتهى الصبر مني وما بقى فيه رمق
هيهات اني أحيا من بعـــدكم هيهات
لم يبق غير خيالي يلوح كالشبح الخفي
اعدّ بين الاحيا وانا مع الاموات
ودعتموني وسرتم والقلب يتبع ركبكم
ايش ضر لو كان جسمي من جملة التبعات
ما مر ما دريت ضدّي يقول لي من فرحته
هنا تشق المرايز وتسكب العبرات
لولم اسلي روحي وارض نفسي بالمنى
لكان قلبي تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين اظعانكم

اخفض جناح المذله وارفع الاصوات
طول الليالى أسا هركنى أريد الكيميا
اقطر الدمع منى واصعد الزفرات
ما اطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه
وما اقصر ايام وصلى كانها ساعات
مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت
وسيآت الاعادى انبدلت حسنات
خالفتمونى وعمرى مازلت أتبع أمركم
كذا العبيد تتابع أوامر السادات
اسكت واصبر عنكم ويفعل الله مايشاء
والدهر من عاداته يقلب الحالات

(الفن السابع فن القوما) قيل أول من اخترعه ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر فى نظم القوما فلما مات ابوه اراد ان يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مقرر وضد فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ اتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فاصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ما قاله

قوله

يا سيد السادات * لك بالكرم عادات
انا بنى ابن نقطه * تعيش أبو يامات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفى ما كان لابيه

ومنها للصفى الحلى

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور
بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس فى الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور
يتسمح والا فيبقى * من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور * من عاشق مصدور
يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور
اشراقها فى المعاجز * وغربها فى الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور
فصرت أحسد من ابصر * خيامهم والخدور

نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور
من بعد طيب الخواطر * يقضى بضيق الصدور
غيري يلازم الصدور * وانا عليكم أدور
واصطلى الصدوانا * من بينهم مهدور

وقال أيضا

حال الهوى مخبور * يريد جلد صبور
يصون سره والا * يبقى من اهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور
ومن هتك سرحبو * يمحى من الدستور
ابذل لبيض النحور * أموال مثل البحور
ان رمت نيلك وتظفر * ولدانهم والحور
قم فابذل المدخور * وفى العطا لا تجور
تريد هذى المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق مغدور
مثل الدوالب تجرى * دموعها وتدور
من يركب المحذور * هو فى الهوى معذور
بظفر بحبه ويبلغ * قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور
واجعل تراب اعتابهم * لاجفان عينك درور
طرق المحبة وعور * كم بينها مذعور
من قتك بيض السوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * فى حب بيض الثغور
يغار قلبه ولكن * مدامعه ماتغور
كم بينهم يعفو * كالظبى آنس نفور
من أهل بدر فديته * ايش ماعمل مغفور

ومن ذلك ما نظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء فى رمضان

لازال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد
ولا برحت مهنى * بكل صوم وعيد
فى الدهر أنت الفريد * وفى صفاتك وحيد
والخلق شعر منقح * وأنت بيت القصيد
يامن جنابه شديد * واطف رأيه سديد
ومن يلاقى الشدائد * بقلب مثل الحديد
لازلت فى تأييد * فى الصوم والتعييد

ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد
ونبعث اوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلك علينا مديد * ما فوق جودك مزيد
وكم غمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لازلت فى كل عيد * تحظى بيوم سعيد
عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد
ولا برحت موفق * كما بوفق الوليد
فما زال برك يزيد * على أقل العبيد
وما برح جود كفك * صفا كمثل الورود
لازال برك مزيد * دائم وبأسك شديد
ولا عدمنا نوالك * فى صوم فطر وعيد

ومما قيل فى فن الحمام

أنا ما عبور الحمام * لجسمى لكى يتظف
الا الدمع جارى * على الما ولا يوقف
وديك المجارى تجرى * ودمعى يسابقها
تقول الانام فى الحمام * له احباب فارقها

وقال آخر

ترى كل من نعشقو * علينا يقيم أتفه
فأسلاه وانزل هواه * وسد الطريق خلفه
وان زاد على عشقو * وزادنى الهوى والذل
تركتو ولو كان يحيى * لاهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما أشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ما تبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك الى الغاية فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهاية واسأل الله التوفيق بمنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول

(الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء

أوا كنتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغى للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب فى ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكى ان نوح بن مريم قاضى مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار رجلا مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتينى قال لابد أن تشير على قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بأيهم تقتدى وقال رجل للحسن ان لى ابنة فمن ترى ان أزوجها قال زوجها ممن يتقى الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أمو سر من عقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطى ما لم يركب وأحب اللآلى ما لم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا نكحت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطى الى ما لم يركب
كم بين جبهة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وجبهة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته امرأة

ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذال بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

قال خالد بن صفوان

عليك اذا ما كنت فى الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام فى التزويج فقال له سل سليمان وأخبرنى بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان ركبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر أو الفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه السلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظرى فى أى شئ تضعى ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء وأنشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

وقال بعضهم

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء

فان اللبن يعدى وقيل ان جعفر بن سليمان بن على عاب يوما على أولاده وأنهم سم ليسوا كما يجب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فاوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن يجبن وانما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت فى ولدك ما فعل ابوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فزوجها منك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها الاولى الالباب مختصرا
صبيـــــة ذات دين زانه أدب * بكر ولود حكت فى نفسها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التى أجلو لمن نظرا
فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة * أحاط علما بها من فى العلوم قرا

وقال آخر

مطيبات السرور فوق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المسير فسر قليلا * وبنت الاربعين من الرزايا

وقال آخر

فاياك اياك العجوز وطاها * فما هو الا مثل سم الاراقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الخليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليه السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى أنه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان فى المال قل فانما المال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ولما خطب عمرو بن حجر الكندى الى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس وأجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت اى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة ليكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فاما الاولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة فالاحتراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولا تفشى له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان افشيت سره لم تأمنى غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فنجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك

الشاعر وعن الهيثم بن عدي الطائي عن الشعبي قال لقيني شريح فقال لي يا شعبي علمك بنساء بني تميم فاني رأيت لهن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن قال أقبلت من جنازة ظهر الفرات بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري فعدلت اليها واستسقيت وما بي عطش فقالت لي اي الشراب أحب اليك قلت ما تيسر قالت ويحك يا جارية اتتيه بلبن فاني أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هي زينب بنت جرير احدى نساء بني حنظلة قلت هي فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أتزوجينيها قالت ان كنت كفؤا ولم تقل كفؤا وهي ابنة بني تميم فتركتها ومضيت الى منزلي لا أقيل فيه فامتنعت مني القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخوالي من العرب الاشراف علقمة والأسود والمسيب ومضيت أريدهم فاستقبلنا وقال ما شأنك أبا أمية قلت زينب ابنة أختك قال ما بها عندنا رغبة فزوجنيها فلما صارت في حبالي ندمت وقلت اي شيء صنعت بنساء بني تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتني يا شعبي وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت علي فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلي ركعتين ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هي تتوضأ بوضوئي وصليت فاذا هي تصلي بصلاتي فلما قضيت صلاتي أتتني بجواريها فأخذن ثيابي والبستني ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدي الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فاني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فآتيه وما تكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح في قومك ولي في قومي مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف او تسريح باحسان أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين قال فأحوجتني والله يا شعبي الى الخطبة في ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده واستعينه وأصلي على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظا لي وان تدعه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا وما رأيت من حسنة فأبثها وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما أحب أن يملي اصهاري قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكره أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت معها يا شعبي بانعم ليلة ومكثت معي حولا لا أرى منها الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا أنا بعجوز في الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك يا أبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت يا امية ان المرأة لا يرى اسوأ حالا منها في حالتين قلت وما هما قالت اذا ولدت غلاما أو وطئت عند زوجها فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم أشر من الروعاء المدللة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الادب وريضت فأحسنت الرياضة قالت كيف

تحب أن يزورك أصهارك قلت ماشاؤا فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية فمكثت معي باشعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لي جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل في ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته ام كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية فأجابه الى ذلك وحملها الى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله ابن جعفر الى عبد الملك بن مروان وافد انزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها عبد ثقيف يتقذفها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأبالك منعتماني رفدكما حقي وكبتني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تقذف نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه ان لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عما مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني لجمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فأي خير في اجتماع عمياء وأعور وكان عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من اجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من احسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الابيات

فوالله ما أنساك ما ذر شارق * وما ناح قمرى الحمام المطوق
فلم أر مثلى طاق اليوم مثلها * ولا مثلها فى غيرنى يطاق
لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوى فى الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بنى فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
فتى طول عمرى ما أرى مثله فتى * أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته ودعا الناس الى وليمته فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له على بن ابى طالب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لى فى كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر له ذلك فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فأذن له يا أمير المؤمنين فأذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة ألست القائلة

فآليت لا تنفك نفسى حزينة * عليك ولا ينفك جلدى أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره ان ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة فى ظهر المسجد وهى لا تعرفه فضربها بيده بعجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين يا عاتكة فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من بأس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبى بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده ابدا انى لأحسبنى أنى لو تزوجت جميع اهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكى) عن الحرث بن عوف بن أبى حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى أنى أخطب الى أحد فيردنى قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائى قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتيناه اوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث قال ما جاءبك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل اوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذى سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فما لك لا تستنزله قال انه استهجننى قالت وكيف قال لانه جاءنى خاطبا قالت ألست تزعم انه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب فى زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فقد أدرك ما كان منك قال فما ذا قالت بأن تلحقه فتردّه قال وكيف وقد فرط منى اليه ما فرط قالت تقول له انك لقيتنى وانا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط منى فارجع والك عندى كل ما طلبت قال فركب فى اثرهما

قال

قال خارجة بن سنان فوالله انا لفي السير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو ما يكلمني هذا اوس في اثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لا نقف قال يا حارث اربع علي فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغني ان أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة أكبر بناته فاتته فقال لها أي بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطبا وقد أردت ان أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لان في خلقي رداءة وفي لساني حدة ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو بجار لك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة قال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فأجابته بمثل جوابها فقال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها اني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها مقالتهما فقالت له والله اني لجميلة وجها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقني فلا اخاف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك يا حارث يا بني هنيئة قال قد قبلت نكاحها وامرأتها ان تهيئها له وتصلح شأنها ثم امر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه ليلة هنيئة ثم خرج الى فقلت له أفرغت من شأنك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدي اليها قالت مه أعند ابي واخوتي هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فالبث ان لحقني فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بي كما يفعل بالامة السيئة الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي فقلت والله اني لاري همة وعقلا فقال صدقت قال وأربحوا والله ان تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فأحضر الابل والغنم ونحروا وأولم ثم دخل عليها وخرج الى فقلت افرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقلت لها قد احضرت من المال ما تريدين قالت والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان قلت فماذا تقولين قالت اخرج الى القوم فاصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد فقلت والله اني لاري عقلا ورأيا سديدا قال فخرج بنا فخرجنا حتى اتينا القوم فسألنا بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فيما بقي منهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له اما الآن فنعم فاقامت عنده في أنعش وأطيب وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله اعلم بالصواب (وحكى) الفضل أبو محمد الطيبي قال حدثنا بعض اصحابنا ان رجلا من بني سعد مر بجارية لامية بن خالد بن عبد الله بن اسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم اتبعها رسولا يسألها ألها زوج ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فأبلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعر

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق
اذا عرضت خيل تخيل وأتقي * امام رعيل الخيل أحمي حقائقي

اصبر نفسى حين لم أر صابرا * على الم البيض الرقاق البوارق

فطمقها الرسول فأنشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت اسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

الا انما ابغى جوادا بماله * كريما محياه كثيرا الصدائق

فتى همه مذ كان خود خريدة * يعانقها فى الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعى رضى الله عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة تقول

ومايستوى الرجلان رجل صحيحة * واخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

ومايستوى الثوبان ثوب به البلى * وثوب بايدى البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان اعلم الناس بالنساء

فان تسألونى بالنساء فانى * بصير بادواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم احسن مواساة والغرائب انجب وما ضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من اراد ان يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن اراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن اراد ان يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرأ ممن يكون له * أم من الروم او سوداء جعداء

فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الاصمعى أتانى رجل من قريش يستشيرنى فى امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخى أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عنى فقلت يا ابن اخى اما القصيرة النسب فالتى اذا ذكرت اباها اكتفت به والطويلة النسب فهى التى لا تعرف حتى تطيل فى نسبها فايالك ان تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة فى غزاة فكتب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

ألا بلغوا أم البنين بانما * غنينا وأغفلنا لغطارفة النجد

بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالتمثال زينها العقد

فهذا الايام العدو وهذه * لحاجة نفسى حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقرء منى السلام وقل له * غنينا واغفلنا غطارفة المرد

اذا شئت أغنانى غلام مرجل * ونازعته فى ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشئ مد كفه * الى عكن ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة اهلكم * شهودا فقضوها على النأى والبعد
فجسل الينا بالسراح فانه * منانا ولا تدعو لك الله بالرد
فلا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابه لم يزد على ان ركب الفرس واردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان اول شئ بدأ به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله فى قلبى اعظم وأجل وانت فى عينى اذل واحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى اعلم بالصواب

(الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن ايوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد ملجمة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها لولا عظم ثديها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فقد فى الضجيع وترى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى احسن النساء قال خذها يا امير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخما الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لماء الشفتين بلجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك واين توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم اصابتها فاقة فأثر فيها الغنى وأدبها الفقر وقال رجل لخاطب ابغ لى امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعنى لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عيطاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

وقال الاعشى

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس الا دونها الكلل

وكانت امرأة عمران بن قطان من اجمل الناس وجها وكان هو من اقبح الناس وجها فقال لها يوما انا وايالك فى الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثلك فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابر والشاكر فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة اعرابية ما رأيت احسن منها وجها فقعدت انظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى منك بمثله فأنشدت

أيا عجبا للخود يجرى وشاحها * تزف الى شيخ بأقبح تمثال

دعانى اليه انه ذو قرابة * يعز علينا من بنى العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحى فانى مدائحى * توافق عند الاكرمين توامى

توافق عند المشترى الحمد بالندى * تفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن اخى ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن اخى لو فعل هذا ابليس بيناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن ابى الرقاع كيف عملك بالنساء قال أنا والله اعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته قال على بن زيد فى وصفه

جمرة خلط صفرة فى بياض * مثل ما حالك حائك ديباجا

وقال على بن عبدربه

بيضاء يحمر خدها اذا خجلت * كما جرى ذهب فى صفحتى ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المرأة الجميلة التى تأخذ بصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التى كلما كررت بصرك فيها ازادتك حسنا وقالوا ان أردت أن يحبب ولدك فاغضبها ثم قع عليها

قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به فى ليلة مزورة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) فى حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضى الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى فى عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابى كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم الحياض الممراض المصفرة الميسومة العسرة المشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكى من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف فى السماء وابت فى الماء عرقوبها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها

شديد تدفن الحسنات وتفشي السيئات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس في قلبها عليه رافة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعواء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صيامها مهزول وبيتها مزبول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكي في المجامع بادية من حجابها نياحة عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي * ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه نكير ومنكر

وقال زيد بن عمر

أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خزيها فتعود
فان طهرت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزنى دائما وتقود

وقال داود عليه السلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله اعلم

(الفصل الرابع في مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالقتهن) في حكمة داود عليه السلام وجدت في الرجال واحدا في ألف ولم أجد واحدة في جميع النساء وقيل ان عيسى عليه السلام لقي ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها حمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثاني قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر ما فيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تقى لك انها * على قدم الايام سوف تخون
وان هي اعطتك اللبان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت أن ليس تنقض عهدها * فليس لخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذاك يقين

وقال ابن بشار

رأيت مواعيد النساء كأنها * سراب لمرتاد المناهل جافل
ومنتظر الموعود منهن كالذي * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شئ قط الا فعلته وقال الفنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لابد مفعول

وقال النخعي من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال علي رضي الله عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب ولا يمن خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل قال الضحاني

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما في الرجال على النساء أمين

ان الامين وان تحفظ جهده * لابد أن بنظرة سيخون

وقال غيره

لا تركنن الى النسا * ولا تثق بعهودهن

فرضاؤهن جميعهن معلق بفروجهن

وقال علي رضي الله عنه لا تطلعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا تدبير العيال ان تركن وما يردن أوردن المهالك وأفسدن الممالك يأسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان وقال أبو بكر رضي الله عنه ذل من اسند أمره الى امرأة وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمها فامر له بأربعة آلاف درهم فخط أنه سيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال لك ذكرا فاطلب منه الانثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال اتتني بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقالوا كتبوا في الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهو الذي وافعل ما شئت وقال عمر رضي الله عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ومما قيل في الباءة) ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضي الله عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فأقلل منه واكثر وقال معاوية رضي الله عنه ما رأيت نهما في النساء الا عرفت ذلك في وجهه وخلا غلام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حرك فانشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكي الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر

شفاء الحب تقبيل ولمس * وعض بالبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من اهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الي وجبينها يتصبب عرقا

فقلت

فقلت لها ماظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فاجابها يقول

انا شيخ ولى امرأة عجوز * تراودنى على مالا يجوز
وقالت رق ايرك مذ كبرنا * فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمنى تأتينى بشفيع لا اقدر على رده واتى رجل الى على بن ابى طالب رضى الله عنه وقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها بهذه القتلة وعلى اثمها وقالوا من قل جماعه فهو اصح بدنا وانقى جلدا واطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس فى الحيوان اطول اعمارا من البغال ولا اقصر اعمارا من العصافير وهى اكثرها سفادا والله تعالى اعلم بالصواب

(الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه) عن عبد الرحمن بن محمد ابن اخى الاصمعى قال قال عمى للرشيد فى بعض حديثه يا امير المؤمنين بلغنى ان رجلا من العرب طلق فى يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما لا يجوز للرجل غير اربعة قال يا امير المؤمنين كان متزوجا باربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما اظن هذا الا من قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبى فانت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو ادبتها بغير ذلك لكان اصلح فقال لها وانت ايضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وانت ايضا ايتها المعددة اياديهما طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا ان تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وانت طالق ايضا فسمعته جارة له فاشرفت عليه وقالت له والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم ابيت الا طلاق نسائك فى ساعة واحدة فقال وانت ايتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان اجازنى بعلك فاجابه زوجها قد اجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما ارادت الارتحال قال لها اسمعى وليسمع من حضرانى والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم اجد منك زلة ولم يدخلنى عنك ملة ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا اجد لك فى الرجال شبيها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضى الله عنهما ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء (ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدى كانت تحت ابن الغربان ابن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذى ضيعت مشغول

فكتب اليها يقول

ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه وطرا * وفى الليالى وفى ايامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه اشعب فقال له هل لك ان تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فامر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال انتها فانشدها

اسعدى هل اليك انا سبيل * ولاحتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يوافى * بموت من خليلك او فراق

قال فاتاها اشعب فاستأذن عليها فاذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك فى زيارتنا يا اشعب فقال يا سيدتى ارسلنى اليك الوليد برسالة ثم انشدها الشعر فقالت لجواريها اعلمن بهذا الخبيث فقال يا سيدتى انه دفع الى عشرة آلاف درهم فهى لك وأعتقينى لوجه الله فقالت والله لا اعتقتك او تبلغ اليه ما اقول لك قال يا سيدتى فاجعلى لى جعلا قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت فأخذه والقاه على ظهره وقال هاتى رسالتك فقالت

اتبكى على سعدى وانت تركتها * فقد ذهبت سعدى فما انت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لاشعب اختر منى اسعدى ثلاث اما ان اقتلك واما ان اطرحك من هذا القصر واما ان القيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير اشعب وأطرق مليا ثم قال يا سيدى ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار

فأصبحت الغداة الوم نفسى * بامر ليس لى فيه اختيار

وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين اخرجه الضرار

ولو انى ملكت بها يمينى * لكان على القدر الخيار

وممن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان ابوها امره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فانشد يقول

فنى صبرى وعاودنى رداعى * وكان فراق ليلى كالخداع

تكنفنى الوشاة فازعجونى * فما للناس للواشى المطاع

فاصبحت الغداة الوم نفسى * على امر وليس بمستطاع

كغبون يعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبى قال جاء رجل بامرأة كانها برج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتى هذه شجتنى فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يا مولاى غير متعمدة لذلك كنت اعالج طبيا فوقع القهر من يدى على رأسه وليس عندى علم ولا يقوى بدنى على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما ترى فقال يا مولاى ان صداقها

على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان اعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هي لك قال فهي اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسي علينا نفسك وانشأ يقول

يا شيخ يا شيخ من دلالك بالغزل * قد كنت يا شيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمدلنفسك نحو القرح الذلل

والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها)

قد انزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى ان شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فاخذ بلحي بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكأن بالقلب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام
ابوعدني ابن كبشة ان سنحيا * وكيف حياة اصداء وهام
ايبعزان يرد الموت عني * وينشرني اذا بليت عظامي
الا من مبلغ الرحمن عني * بانى تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي * وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان في يده فضربه به فقال اعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فانزل الله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم اول ما نهاني ربي بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال وممن تركها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك انه شرب مع امية بن ابي الصلت الثقفي فضرب به على عينه فاصبحت عين امية مخضرة فيخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال الست ضاربها بالامس فقال او بلغ من الشراب ما ابلغ معه الى هذا لا اشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام لا اذوقها بعد اليوم ابدا وممن حرمها في الجاهلية ايضا قيس بن عاصم وذلك انه سكر ذات ليلة فقام لابنته او لاخته فهربت منه فلما اصبح سأل عنها فقيل له او ما علمت ما صنعت البارحة فاخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه وممن حرمها في الجاهلية ايضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك ان قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر

ويقول والله لا ابرح حتى انزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما اصبح وفاق قال مالى هكذا فاخبروه بالقصة فقال والله لا اشربها ابدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد فى سماحتك فقال اكره ان اصبح سيد قومى وامسى سفيههم ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فانشده فاعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه قال يا امير المؤمنين جلدى اسود وخلقى مشوه ووجهى قبيح وتكفينى مجالستك وموا كلتك ولم يوصلنى ذلك الا عقلى وانا اكره ان يدخل عليه ما ينقصه فاعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفدة وفدها عليه هل لك فى الشراب فقال يا امير المؤمنين لا خلاف لما امرت ولكن انا امنع اهل عملى منه واكره ان امنعهم عن شئ ولا امتنع منه وقد قال الله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقيل لاعرابى لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلى وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامى قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبى أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا قوم ليس فى الخمر رفعة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فانى رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر خالا الشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر فى كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ
اذا دارت الارطال أرضولك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم ايالكم واخوان النبيذ فبينا انت مفتوح عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل اناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم اقل عن جهالة * ولكننى بالفاسقين عليم

وللاعرج الطائى

تركت الشعر واستبدلت منه * اذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك * ووقعت المداومة والمداما

وقال الصفدى

دع الخمر قالراحات فى ترك راحها * وفى كاسها للمرء كسوة عار
وكم البست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار فى مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصرانى ومحدث فى سفينة فصب النصرانى خمرا من زق كان معه فى شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصرانى

جعلت فداك انما هي خمر قال من اين علمت انها خمر قال اشتراها غلامي من يهودي وحلف انها خمر فشربها المحدث على عجل وقال للنصراني يا احمق نحن اصحاب الحديث نضعف مثل سفيان ابن عيينة ويزيد بن هرون افنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ما شربتها الا لضعف الاسناد ومن المجون في ذلك ما حكي ان سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بنوك ولا عدموك فبال على وجهه فقال وماء حارا ايضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حرك رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت ومر عقال الناسك بمرداس بن خدام الاسدي فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه وسكر ولم يتحرك ثلاثة ايام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فمالت بعقل الكاهلي عقالي
قرعت بام الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليال

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا ارحم الراحمين آمين

(الباب الخامس والسبعون في المزح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول)

(الفصل الاول في النهي عن المزاح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن علي ما مزح أحد مزحة الا مج الله من عقله مجة وعنه اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضي الله عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروأة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد غم وقال آخر لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لي امي لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابي بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت اما لك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا واين مكوكبها فاخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

فاياك اياك المزاح فانه * يجري عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروأة ومن لزم شيأ عرف به ومما روي عن الصحابة رضوان الله عليهم انهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حماليقهم كانهم لم يعرفوا احدا

(الفصل الثاني فيما جاء في الترخيص في المزاح والبسط والتنعم) لا باس بالمزح ما لم يكن سفها والله تعالى وعد في اللمم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه السلام فقال مالي

ارالك لاهيا كانك آمن فقال له عيسى مالى ارالضعايسا كانك آيس فقال لاتبرح حتى ينزل علينا الوحى فاوحى الله اليهما ان احبكما الى احسنكما ظنا بى ويروى ان احبكما الى الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجارية خلقنى خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال عمر لاباس عليك فان الله تعالى خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن انه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم انه جاءه رجل فقال يارسول الله احملنى على جمل فقال عليه السلام لاحملك الا على ولد الناقة فقال يارسول الله انه لا يطيقنى فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقى زوجك ففى عينيه بياض فسعت الى زوجها مرعوبة فقال لها ماذاك فقالت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لى ان فى عينيك بياضا فقال نعم والله وسواد واقتله ايضا عجوز انصارية فقالت يارسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال لها يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المراة تبكى فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها اما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمى سابقته فسبقنى فضرب بكتفى وقال هذه بتلك وعنها ايضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وانا العب مع صويحباتى ولا يعيب على وسئل النخعى هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم مثل الجبال الرواسى وكان نعيمان الصحابى من اولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهرى وهو ضرير فقال له قدنى حتى ابول فاخذ بيده حتى اتى به الى المسجد فاجلسه فى مؤخره فصاح به الناس انك فى المسجد فقال من قادنى قالوا نعيمان قال لله على نذر ان اضربه بعصاى هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا ابا المنور هل لك فى نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلى واخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلى وقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس امير المؤمنين فقال من قادنى قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعد ما فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون فى التصحيف وكنت لا اعرفه فوقع فى قلبى ان اتعلمه فدخلت فى سوق الكتبية واشتريت كتابا فى التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه شئ تاج فرميت الكتاب من يدى وحلفت انى لا اشتغل به أبدا فضحك

الناس حتى غشى عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يتأوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك باحاديث العرب وبياسطك استرحت فقال ائت بصاحبها فقال ما الذى تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بى عرق النسى فى ليلتى هذه فبلغ منى ما ترى فقال ان بديحا مولاى اوقى الخلق منه فامر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك يا بديح اوقر رجلى فقال يا مولاى أنا أوقر الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول ما لا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتونى بها تكتبها املاجيبى بى الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما أكتبها الا بتحويل جائزتى فامر له بار بعة آلاف درهم فقال يا امير المؤمنين الطلاق يلزمه ما اكتبها حتى تحمل جائزتى الى بيتى قال تحمل فحملت فقال يا امير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا بياسطة بقول نصيب حيث قال

الا ان ليلى العامرية اصبحت * على العبد منى ذنب غير تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتبها على فقال كيف وقد سارت بها الركبان الى اخيك بمصر فضحك حتى غص برجليه واعجبه هذا البسط وروى ان ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

ابثت ان فتاة كنت اخطبها * عزقو بها مثل شهر الصوم فى الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء فى الشطرنج واللعب به والنهى عنه والترخيص فيه) اما النهى عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون وكان ابو القاسم الكسروى يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا مطفيلا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج واحتضر شطرنجى فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات واما الترخيص فيه فقد سئل الشعبى عن اللعب بالشطرنج فقال لا باس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا فى السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتى ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت العب بالشطرنج مع صديق فى بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلى بن الجهم فى الشطرنج وقيل للمعاون

ارض مربعة جراء من ادم * ما بين سرين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاستالا لها فطنا * من غير ان يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذا على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بعزكة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان فى كورة او مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت احمر واصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار (ومما جاء فى لعب الغلمان) ما حكى ان غلمانا من اهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة واسقف البحرين

فاعد فوقعت الاكرة على صدره فاخذها فجعلوا يطلبونه امنه فابى فقال غلام منهم سالتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فابى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا عليه بصوالجهم فزالوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان اطفالا صغارا شتموا نبيهم فغضبوا له وانتصروا واهدروا دم الاسقف والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* (الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول) *

(الفصل الاول من هذا الباب فى نوادر العرب) خرج المهدى يتصيد فعارت به فرسه حتى وقع فى خباء اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى فاخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم اتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال اتدرى من انا قال لا قال انا من خدم امير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة اخرى فشرب فقال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من خدم امير المؤمنين الخاصة قال لا انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكنى امير المؤمنين قال فاخذ الاعرابى الركوة فوكاها وقال املك عنى فوالله لو شربت الرابعة لادعيت انك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه ثم احاطت به الخيل ونزلت اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا باس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال جزيل ووجد اعرابى يأكل ويتغوط ويقلى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال اخرج عتيقا وادخل جديدا واقتل عدوا وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لابد ان شمله بالاسفار وسمع اعرابى قارئا يقرأ القرآن حتى اتى على قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا باس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابى على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه افرجوا الا خيكم فقال الاعرابى لا حاجة لى بافراجكم ان اطنابى طوال يعنى سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا اخا العرب اظن ان طنبا من اطنابك قد انقطع (ورؤى اعرابى) يغطس فى البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء اقضيها فى الصيف وسرق اعرابى غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلى فقرأ الامام هل اتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل فى الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهى لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج وحضر اعرابى مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا ابا امامة اتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال اول وارجع انام وسرق اعرابى صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلى وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابى والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج (وحكى) الاصمعى

قال ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها وكان البرد شديدا فالتجأت الى حى من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

أيارب ان البرد اصبح قاتلا * وأنت بحالى يا الهى أعلم
فان كنت يومانى جهنم مدخلى * فنى مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعى فتعجبت من فصاحته وقلت له ياشيخ اما تستحى تقطع الصلاة وانت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربى أن أصلى عاريا * ويكسو غيرى كسوة البرد والحر
فوالله لاصليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسنى ربى قميصا وجبة * أصلى لمهما أعيش من العمر

قال فاعجبنى شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا على ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذارى من صلاتى جالسا * على غير طهر موميا نحو قبلتى
فمالى بريد الماء يارب طاقة * ورجلاى لا تقوى على ثنى ركبتى
ولكننى أستغفر الله شاتيا * واقضيكها يارب فى وجه صيفتى
وان انا لم افعل فانت محكم * بما شئت من ضفو ومن تنف لحيتى

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت * وصلى اعرابى مع قوم فقرأ الامام قل ارأيتم ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا فقال الاعرابى اهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك وقيل دخلت اعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ما طاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تغدو وهى هاربة حتى جاءت لاختها فقالت ياختاه مازال الامام يأمرهم ان ينكحونا حتى خشيت ان يقعوا على وصلى اعرابى خلف امام فقرأ الامام المنهال الاولين وكان فى الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم تتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك فعل بالمجرمين وكان اسم البدوى مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيرى فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يامجرم فقال ان الامام اهلك الاولين والآخرين وارادان يهلكنى فى الجملة والله لا رأيته بعد اليوم وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فأنشد يقول

اذا ما خلا الانسان فى بيت غائط * تراخت بلا شك مصاريع فتحته
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل فوسط لحيته

وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك واختفى امره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك

الملك فى انه كاب فقال انظروا ما هذا فعوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فتهوق نهيق الحمير فقضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه صهل صهيل الخيل فاقتحموا عليه واخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك ورآه مر زبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت قال ان الله عز وجل مسخنى كلبا وذئبا وحمارا وفرسا فلما غضب على الملك قال فامر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * ويلمح فى عطيته السحابا
أما فى مال ردفك من زكاة * فتدخل فيه لى هذا الثوابا

(وحكى) الاصمعى ان عجوزا من الاعراب جلست فى طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشر بن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم ما فيكم من يعرف أباه وصلى اعرابى خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وارحنا وارح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يرددها فقال الاعرابى يا فتى اذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم اعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما ان جاء ليسافر قال له سفيان يا اعرابى ما اعجبك من حديثنا قال ثلاثة احاديث حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالصلاة وحديث عائشة عنه ايضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ما صفة الابر عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد امرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعهما الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل ادلك على دواء لعينيك قال ما احوجنى الى ذلك قال خذ عيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذرو اكتحل به ينفعك فاغتاظ الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك اجرة وصفتك وان زدتنا فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره دابته وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن اصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من اين والى اين قال اتيت من ارض لى بها عشرون سنة مجدبة وقد اخصبت فى هذه السنة فزرعتها متنأة فطرحت فى غيرونقها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه الموفور قال وكم املت منه قال الف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا اقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال

أدخل قوائم حماري في حرأمه وارجع الى اهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق باصحابه ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به علي فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في دسته والخدم واقفة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذي اتى بك اخا العرب قال املت الامير واتيته بقثاء في غير اوان فقال كم املت فسنا قال الف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشوما علي ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى ان قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابي انه صاحبه فقال ياسيدي ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وهو امعن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابي المال وانصرف

(الفصل الثاني في نوادر القراء والفقهاء) عن محمد بن عبد الله قال كنا في دهليز عثمان ابن شيبة نخرج الينا فقال ن والقلم في اي سورة وهو بعضهم يقارئ يقرأ الم غلبت الروم في ادنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم اعداؤنا فاقتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى ابي العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال انا عالم به فقيل له هذه الآية في اي سورة الحمد لله لا شريك له فقال له في سورة الحمد فضحكوا عليه وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما في رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت واتيت اهلي وقد عملوا مأمونية فسبقتني يدي اليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت اهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي اليها فقال أرى ان لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك/ وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل واني توضأت وصليت فبينما أنا في الصلاة اذ أحسست ببال في سراويلي يتلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خربت باجماع المذاهب/ وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل افسو في ثيابي حتى تفوح روائحي فهل يجوز لي أن أصلي في ثيابي قال نعم لكن لا كثر الله في المسلمين مثلك/ ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض اصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فيه وجود كفيه فقال له الاعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه/ وسكن بعض الفقهاء في بيت سقفه يقرقع في كل وقت فجاء صاحب البيت يطالب الاجرة فقال له اصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال اخشى أن تدركه رقة فيسجد/

(الفصل الثالث في نوادر القضاة) كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما في المصحف وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه أطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور الاسواق والازقة وتاكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق

فما تت فامر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها الظاهر المدينة فاحتشروهم فطلبوا من القاضي عشرة دراهم اجرة حملها وقالوا ليس لنا شيء نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غني وله اشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم واجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضي المثلي يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والهلع والولع وبيت البيذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح وماتروحوا من هذه البغلة بلاشيء جلدها للدباغين وذنبها للفرابلية ومعرفتها للشعار وتطييقتها للبيطار قال فتقدم احدهم اليه وقال بحق من تاب عليك وردعاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشيء ولا تدعنا نروح بلاش تفسير هذه الالفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والهلع جباية الاسواق والولع القمار وبيت البيذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل مينا وطقوه قبل ان يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وسلب الشطار كل من شقوه لهم سلبه وولي يحيى بن اكثم قاضيا على اهل جبلة فبلغه ان الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكروني عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضي لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد في الحراقة ومعه ابو يوسف القاضي فقال يا امير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثني على نفسه فلما رآه ابو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا امير المؤمنين المثني على القاضي هو القاضي فضحك الرشيد حتى خمص برجله الارض ثم امر بعزله فعزل واحضر رجل ولده الى القاضي فقال يا مولانا ان ولدي هذا يشرب الخمر ولا يصلي فانكر ولده ذلك فقال ابوه يا سيدي افتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد اني أقرأ القرآن فقال له القاضي اقرأ حتى اسمع فقال

علق القلب الربابا * بعد ما شاب وشابا
ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال ابوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضي وانا الآخر احفظ آية منها وهي

فارعى مضى كتيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضي قاتلكم الله يعلم احدكم القرآن ولا يعمل به وتقدم اثنان الى ابي صمامة القاضي فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فأنكر فقال للمدعي البينة فقال لي شاهدان فاحضر رجلين شهدا له فقال المدعى عليه سلهما يا سيدي عن صناعتهما فاخبر أحدهما انه نباذ وقال الآخر انه قوادفالتفت القاضي الى المدعى عليه وقال اتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره وتحاكم الرشيد وزبيدة الى ابي يوسف القاضي في الفالوذج واللوزينج ايهما اطيب فقال ابو يوسف انا لا احكم على غائب فامر الرشيد

باحضارهما

باحضارهما وقدما بين يدى أبى يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لاحدهما أتى الآخر بحجته وأتى بعض الجهال لبعض القضاة فقال يا سيدى ان امرأتى حبلانا فقال له القاضى طلقها نا فقال عشقانا فقال قودها نا وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضى يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضى حتى أوضح من هذا النهار فقال له القاضى اسكت ياعدو الله فان الشمس أوضح من النهار وقم لاحق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفى خيرا فقد قويته فقال الرجل لاجزاك الله عن قوتى خيرا فقد أوهيتها ورفعت امرأة زوجها الى القاضى تبغى الفرقة وزعمت أنه يبول فى الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضى يا سيدى لا تعجل على حتى أقص عليك قصتى انى أرى فى منامى كانى فى جزيرة فى البحر وفيها قصر عالى وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطاطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضى ذلك بال فى فراشه وثيابه وقال يا هذه أنا قد أخذنى البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الامر عيانا (وحكى) ان تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان اهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لامضين الى الامام واسأله فجاء اليه فرآه قد اقام الصلاة وهو يصلى على رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه فى الجامع الفلانى يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفى حجره مصحف وبين يديه باطية مملوأة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف ان الخمر ليس فيها ماء وقد ازدحم الناس عليه وهو يبيع فقال والله لامضين الى القاضى واخبره فجاء الى القاضى فدفع الباب فانفتح فوجد القاضى نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضى لم تقول هذا فاخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل اما المؤذن فان مؤذنا امرض فاستأجرنا يهوديا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت واما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فاخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها واما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه فى مصالح الجامع واما الغلام الذى رأيته فان اباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندى انه بلغ فانا امنعه فخرج التاجر من البلد وحلف انه لا يعود اليها ابدا

(الفصل الرابع فى نوادر النحاة) وقف نحوى على بياع يبيع الزبد بعسل وبقلا بخل فقال بكم الارز زبدا بعسل والاخلل بالبقل فقال بالاصفع فى الارؤس والاضرط فى الاذقن ووقع نحوى فى كنيف فجاء كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حى ام لا فقال له النحوى اطلب لى حبلا دقيقا وشدنى شدا وثيقا واجذبنى جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان اخرجك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوى يتقعر فى كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه اولاده وقالوا له ندعو لك فلانا

انما انا قال لان جاءني قتلني فقالوا نحن نوصيه ان لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا ابت والله ما اشغلني عنك الا فلان فانه دعاني بالامس فاهرس واعدس واسبذج وسكيج وطهيج وافرج ودجيج وابصل وامضر ولوزج وافلوذج فصاح ابوه غمضوني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي وجاء نحوي يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت ابالك قال يا عم ورصت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وادخله الله في نظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه ودعا بعضهم نحويا فقال ما الذي تشكوه قال حمى حامية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام باليه فقال له لا شفاك الله بعافية يا ليتها كانت القاضية

(الفصل الخامس في نوادر المعلمين) قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصوبلجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندي صغار أرباش فاقول لاحدهم اقرأ لوحك فيصفر لي بضرطة فاضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فاضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فاضع الكرة في الصوبلجان وأضربه فاشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالالواح فاجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الي ويخلصوني منهم (وحكى) الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت أنظر اليه واذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفني خبره فقال هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتي ظن أنه صوت الكلب فيخرج فامسكه وجاءت امرأة الى المعلم ولدها تشكوه فقال لها أما أن تنتهي والا فعلت بابنك فقالت يا معلم هذا صبي ما ينفع فيه الكلام فافعل ما شئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها امام ولدها وقال الجاحظ رأيت معلما في الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب ان اراهم فقال ما اشير عليك بذلك فقلت لابد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك اقلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض اذني فقال الآخر لا والله يا سيدنا هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جعل بعض اذن نفسه وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلي العصر فلما ركع ادخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف اكافئك اذا فرغت من الصلاة (وحكى) عن الجاحظ انه قال الفت كتابا في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد علي أحسن رد ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول واشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب

قال فكنت اختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الى جارية وقالت ما تريد قلت سيدك فدخلت وخرجت وقال باسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله اجرك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذي توفي ولدك قال لا قلت فولدك قال لا قلت فاخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وما هو منك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه اول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال اتظن اني رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم ترفقال اعلم اني كنت جالسا في هذا المكان وأنا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه بردوهو يقول

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردي على فؤادي أينما كانا
لا تأخذين فؤادي تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت في نفسي لولا ان أم عمرو هذه ما في الدنيا احسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان من الغد جاء ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست في الدار فقلت يا هذا اني كنت ألفت كتابا في نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمي على ابتمائه وأول ما أبدأ أبدأ بك ان شاء الله

* (الفصل السادس في نوادر المتنبئين) * ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذي يقال عنك قال اني نبي كريم قال فاي شيء يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه الممالك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصور الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا في لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة وتنبأ انسان فطلبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا رضينا فاخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي يجعلها ثعبانا فضحك المأمون واجازه وتنبأ رجل في ايام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبي قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك اسفيه أحمق قال انما بعثت الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشيء وتنبأ رجل في أيام المأمون وادعى انه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نارا وألقي فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقي عصاه فاذا هي حية تسعى

وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فاخرجها بيضاء قال وهذه على اصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وما هي قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم واحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق وتنبأ آخر في زمن المأمون فقال المأمون اريد منك بطيخا في هذه الساعة قال أمهلني ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ما يخرجه الا في ثلاثة أشهر فما تصبر أنت على ثلاثة أيام فضحك منه ووصله وتنبأ آخر في زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبي قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله وتنبأ آخر في زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمي نصر الله قال فما معجزتك قال أتوني بامرأة عاقر أنكحها تحبل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى اعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فاشهد انه نبي الله وانما يعطي زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فأتى به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فامر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب يده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك ان لا تعود والى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له الك علامة قال علامتي اني أعلم ما في نفسك قال وما في نفسي قال في نفسك اني كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فاقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل اوحي اليك بشيء قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت في أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبي بعدي قالت فهل قال لا نبية بعدي فضحك المتوكل وأطلقها وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فامر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة الا على الصاري

* (الفصل السابع في نوادر السؤال) * وقف أعرابي بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل ان يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر على حتى أدعو لك الى وليمة وقال ابو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال اني جائع فقالوا له كذبت فقال جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لا

نجيده قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فاجلوسكم ههنا قوموا فاسألوا أنتم احق منى بالسؤال

(الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين) قيل لمؤذن ما تسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال انى اسمع صوتى من مسيرة ميل وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم غدا يهرول فقلت له الى أين فقال احب أن أسمع أذانى أين بلغ واختصم رجلان فى جارية فأودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت الامانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التى وضعت عندى قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا وسمع مؤذن حمص يقول فى سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا فى أكلكم قبل ان أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال سلوا القاضى فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة ومر سكران بمؤذن ردىء الصوت فجلد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بى رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

(الفصل التاسع فى نوادر النواتية) حكى أن بعض النواتية تولى أحد الكراسى السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس فى داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته انى اسمع غاغة فى البر حلى فلوحى واعلى اسفيرتى على جامورى وقدمى الى اسقالة الرجل وقيمينى بمدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقدمت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الحبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته فى حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالى فقال له نعال ياشيخ مالى أرى أرطمونك فى حلقك وشاربك مكسورة وانت بتزلع ماء متغير وقيم الهيلة فى الساحل دخل عليك شر دغربى والا دخلت على بواجى فقال الشيخ والله يا سيدى بعض نواتية البحر عمل بى هذا فقال يا أولاد جيبوا غريم بخنسوا عدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بغنوس بسفر البحر أنت الذى قطعت القلس وخرجت فى الشعت حتى لقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت اسقالته لو انصلح كنت عملتك فى بدراوة وعلقتك فى الصارى فلما سمع الرجل كلام الوالى علم أنه من اولاد المعيشة فقال له بحرمة النواتية والله ياخوند هو كارزنى فى معاشى اجصطن على الوحشة وأنا عايم فى الليل الاوشر دجانى من الشرق كابس هز أطرافى وكسر شابورتى وقطع لبانى وها هو بحمد الله على برا اسلامة وان كان انصلح فيه منى فانا بمرسوم الامير اجيب له القلفاط أسد فتحه واعيد له وسقه واخليه يروح فى طريقه فقال له الوالى أنت بتقدف فى وجهى وتطرح مقاديفك حتى تعبر على الحجر يار جالة الصارى سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلواشيفة اللبان وانزلوا عليه وأوسقوه الجنبين والظهر حتى تلعب اليه على بطونسته هيا قوامك خلوا

جنب براو جنب جوا قدام الخن وراه الصارى فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية ياخوند اهو خفست عليه الطمية البحرية قال مدراتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الامير وقال ياخوند سألتك بموت الرياح وطيب النسيم الرب لا يطيك بجر اللبان فى الحلاق وأنت حافى فى الصيافى ويكفيك شر الاربعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفا عند بخنسة الريح وفروغ الزاد بعيد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجة وبعدا البر فى أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهد اسقالتك واقعد فى زوايدك حتى أخلى ظهرك جيفة فقال له والله يا خوند ما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت اعبر لهذا الوجه اخسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقايم فقال له الامير احمد الله على السلامة واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لى يا علات على أبوس

(الفصل العاشر فى نوادر جامعة) سمعت امرأة فى الحديث ان صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم افطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان وأسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال ابولك الشقى يأكل خبز نفسه ويقزع من الناس وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلاقص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف وبنى بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عوات على بيع النصف الذى لى وأشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها وسئل جامع الصيدلانى عن عمر ابنته فقال لا أدرى الا ان امها ذكرت انها ولدتها فى أيام البراغيث وقيل لطفيلى اى سورة تحجبك فى القرآن قال المائدة قال فأى آية قال ذر هم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وما هم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دراج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك اصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال اى والله انه الجنة الحاضرة فى الدنيا قيل له لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل باشجاره وتسبح فى أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتهضض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك قال من الفترة بين الصحنين وقال مرت بنا جنازة يوما ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابنى يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة ارقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا امامه فضحك فقال له ما يضحكك استهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له

بن المغازلى فتفكرت الآن فى شئ من حديثه وكلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد اثنى الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلى فقال له اجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط انه اذا أنعم عليك بشئ يكون لك منه الربع والبقية لى فقال له بل اجعل لى النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لى وللك الثلثان فاجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فاحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتنى اعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكنى اضرب بك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلى فى نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن فى نفسه ان الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر ويفعل افعالا عجيبة تضحك الجلود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحقيت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة فى رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذى شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت انا واياه على مصلحة وهو أن ما حصل لى من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولى فيه الثلث وما أجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منها واحدة ونصيبه اثنان وقد أخذت نصيبى وبقى نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقى فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلى شاكرا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الدعاء وآدابه) قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان اختلف فى سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء فى رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبى اقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان أى أقبل عبادة من عبدنى فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما أن يعجل الاجابة فى الدنيا واما أن يكفر عن الداعى واما أن يدخره له فى الآخرة لما روا أبو سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته وأما أن يدخرله ثوابها واما ان يكف عنه من السوء مثلها وروى انه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة فبينما العبد المؤمن فى قصره واذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول

ماهذا أليس الله قد أنعم علي وأكرمني فيقولون أليست كنت تدعو الله في الدنيا هذا دعاؤك الذي كنت تدعوه قد ادخره لك واعلم أن اجابة الدعاء لابد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بان لا قادر الا الله وان الوسايط في قبضته ومسخرة بتسخيره وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وان يكون مجتنبا الاكل الحرام ولا يمل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه ان يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه السلام مالم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يؤثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء اركانا واجنحة واسبابا وقتا فان وافق اركانه قوى وان وافق اجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه نجح فاركانه حضور القلب والخشوع واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء ان يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث * كذا الشاذا دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق الوسط ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وان يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روى عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله ابصارهم وأن يخفض الداعي صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبد الرحمن الهمداني قال صليت مع أبي اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال كان زكريا اذا نادى ربه نداء خفيا وينبغي للداعي أن لا يتكلف وأن يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا بلسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرني الى يوم يبعثون وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سأل احدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عليه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي الاعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي للمؤمن ان يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة

وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى ان يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وفى الثلث الاخير من الليل لما جاء فى الحديث ان فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفى حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر فى يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور فى وجهه قال جابر ما نزل بى أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فاعرف الاجابة وفى بعض الكتب المنزلة يا عبدى اذا سألت فاسألنى فانى غنى واذا طلبت النصرة فاطلبها منى فانى قوى واذا افشيت سرك فأفشه الىّ فانى وفىّ واذا أقرضت فاقرضنى فانى ملىّ واذا دعوت فادعنى فانى حفى وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وقال وهب بن منبه بلغنى ان موسى مر برجل قائم يبكى ويتضرع طويلا فقال موسى يا رب اما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه يا موسى لو انه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يا رب لم ذلك قال لان فى بطنه الحرام وعن ابراهيم بن ادهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم ماتت بعشرة أشياء الاول انكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثانى زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقر لله باسمائه جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته اوصله الى جنته ومن اخلص لله فى دعوته من الله عليه باجابته وقال على رضى الله عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضى الله عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

(الفصل الثانى فى الادعية وما جاء فيها) كان من دعاء شريح رحمه الله اللهم انى اسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهى لك اذل وعليك ادل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك ابغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا باحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت احدا من عبادك الصالحين درجة بلاء فبلغنيها

بالعافية وقيل لفتح الموصلي ادع الله لنا فقال اللهم هنيئا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فان لم تقبل تعبي ونصبي فلا تحرمني اجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليهم روحا من عندك وسلاما مني كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضي ان الحجيج كانوا يجتهدون في الدعاء وفيهم رجل من الترك كان ساكتا لا يحسن ان يدعو فخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم اني لا أحسن شيأ من الدعاء فاسئلك ما يطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين في منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركي لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعي حدثت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهي اللهم ان ذنوبي وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني وركب ابراهيم بن ادهم في سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وايقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما في كساء فاستوى جالسا وقال اربنا قدرتك فارنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثوري كان من دعاء السلف اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم اني اكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول في دعائها يا صباح يا مناح يا مطعم يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعني اصف ربي وأمجد الهي بما تستحسنه العرب وقال الزمخشري في كتابه ربيع الابرار سمعت انا من يدعو من العرب عند الركن اليماني يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبي المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابي أتحسن ان تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير ان نسألك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسألك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغني ان الله تعالى يقول كيف ارحمه من شيء به ارحمه وقال طاوس بينا انا في الحجر ذات ليلة اذ دخل علي بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لأسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بها في كرب الا فرج عني ودعا أعرابي فقال اللهم انا بآيات نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم اني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت اعرابية بالموقف فقالت اسألك سترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا مجانيق الضعفاء أي دعواتهم ودعا اعرابي فقال اللهم امح ما في قلبي من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أما لك الى ربك حاجة وقال سفيان الثوري سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان

رزقى فى السماء فانزله وان كان فى الارض فاخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه

وقال ابو نواس

احببت من شعر بشار وكلمته * بيتا الهجت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلى فى منازلنا * وجاور بنا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعنى بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها وتعنى بها هنا رحمة الله التى وسعت كل شئ وسمع على بن ابى طالب رضى الله عنه رجلا يقول وهو متعلق باستار الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرمه الحاح الملحين اذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال على والذى نفسى بيده لو قلتها وعليك مل السموات والارض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضى الله عنه اللهم صن وجهى باليسار ولا تبذل جاهى بالاقتار فأسترزق طالب رزقك من غيرك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطانى وأفتتن بذم من منعنى وأنت من وراء ذلك كله ولى الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليمانى قط الا وجدت جبريل قد سبقنى اليه يقول قل يا محمد اللهم انى اعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهى من مواقف الخزى وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يا دائم المعروف رد على ابنى فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراسانى اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد منا المبتلى الذى اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذى لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهرى يدعو بعد الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم انى أسألك من خير ما احاط به علمك فى الدنيا والآخرة واعوذ بك من شر ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة فى السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبى الدرداء قال صلى بنا رسول الله العصر فربنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعى على الكلب آنفا قال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال لقد دعوته الله باسمه الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم انى اسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت اذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من اصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمى وهو يا على يا عظيم يا حليم يا عليم قال الراوى فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يا رب يا رب يقول الله عز وجل لبيك عبدى وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروى عن علي بن ابي رفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يريني الاسم الاعظم الذي اذا دعي به أجاب فقمت ليلة أصلي فسمعت قعقعة في سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهي واذا مكتوب بالنور فقرأته يا أيها الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام ومن دعاء الكرب ما روى عن وهب ان ابن عباس رضي الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم اني اسألك يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سماعا حاضرا وجوابا عتيدا وانكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة وايادي الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بي كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته في النوم ما كنت أرى أن أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض استوحش فقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به في الدنيا والاخرة قال بلى قال قل اللهم أتمم النعمة علي تهنيني المعيشة اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة معافى وعن معروف الكرخي قال اجتمعت اليهود اخزاهم الله على قتل عيسى بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفي باطن جناحيه مكتوب اللهم اني أدعوك باسمك الاجل الاعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي ملأ الاركان كلها ان تكشف عني ضر ما أصبحت وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدي الي فقال رسول الله لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل الى معروف الكرخي ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف لكان كافيا في قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفي رضي الله عنه قال وجهني الحجاج بن يوسف في طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتواري عني فأتيت بخيلي ورجلي فاذا هو جالس على باب داره ماذا رجليه فقلت له أجب الامير فقال أي الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أراني أعزه لان العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر بين يدي الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذي تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال وهم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدري ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعاء وقال من دعا به في كل صباح لم يكن لاحد عليه سبيل وقد دعوت به في صباحي هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لاحد ما دمت أنت في الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لنا في طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف

تخلى سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ثم ان أنسا رضى الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله الذى لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافى باسم الله المعافى باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسى ودينى باسم الله على أهلى ومالى باسم الله على كل شئ أعطانيه ربى الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربى لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم انى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه لطوله وهو اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك عن قبيح عملى أطمعنى ان أسألك ما لا أستوجبه منك مما قضيته لى أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا لا خائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن الى وأنا المسيء الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى بالنعم مع غناك عنى وأتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم منى لكن الثقة بك حملتنى على الجراءة على الذنوب فاسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن تصلى على محمد وآله وأن تفتح لى باب الفرج بطولك وتحبس عنى باب الهم بقدرتك ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين فاعجز ولا الى الناس فاضيع برحمتك يا أرحم الراحمين * وروى الحافظ النسفى باسناده عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول فى سجوده اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلى فايما عبد من عبادك أو أمة من اما ئك كانت له قبلى مظلمة ظلمتها اياه فى مال أو بدن او عرض علمها او لم اعلمها ولم استطع أن اتحللها فاسألك أن ترضيه عنى بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لى من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كله يا رب ما تصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شئ فلتسعنى رحمتك فانى لا شئ واسألك يا رب ان تكرمنى برحمتك ولا تهنى بذنوبى وما عليك أن تعطينى الذى سألتك يا رب يا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخى شعيب عليه السلام وقال صالح المرى قال لى قائل فى منامى اذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم انى اسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فادعوت بها فى شئ الا تعرفت الاجابة وقيل ان هذا الدعاء فيه اسم الله الاعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى اسألك بالعزة التى لا ترام والملك الذى لا يضام والعين التى لا تنام والنور الذى لا يطفأ وبالوجه الذى لا يبلى وباليومية التى لا تفنى وبالحياة التى لا تموت وبالصمدية

التى لا تقهر وبالربوبية التى لا تستذل أن تجعل لنا فى أمورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجو غيرك يا أرحم الراحمين وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد فى ليلة مظلمة وأظن انى قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت أصلى وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفى يا عبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم انى أسألك بانك ملك وأنت على كل شئ قدير وما تشاء من امر يكون قال سعيد فما دعوت به قط فى شئ الا رأيت نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميرى قال روينا عن قاضى القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن منجا الفزارى خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسى بقراءتى عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد ابن الامام أبى محمد بن الحافظ أبى القاسم على بن الحسين بن هبة الله ابن عساكر قراءة عليه وأنا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعى الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا بنهر تيرا فانا نأهل ذلك المنزل فقالوا لنا ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابى وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فما زلت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الى جهتى أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الى فلما أصبحت رحلت فلقينى شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لى يا هذا انسى أنت أم جنى فقلت بل أنا من بنى آدم قال فما بالك لقد أتيتك فى هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفى كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثنى ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ فى ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره فى ذلك الليلة لص طار ولا سبع ضار وعوفى فى نفسه واهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه واعطى الله تعالى عهدا ان لا يعود لهذا الامر وهذه الآيات وهى ان تقرأ بعد الفاتحة الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسى الى قوله وهم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذى الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وانه تعالى جد ربنا الى قوله شططا زاد البونى الى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعدوا منها الجذام وغير ذلك قال محمد بن على قرأتها على شيخ لنا قد افلج فاذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البونى هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها الا غبى او غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له فى العلم قدم راسخ وقدر شامخ وهى على ما رويناه بل ما رأيناه أولها الفاتحة ثم اول البقرة الى آخر الآيات وقال ابو العباس احمد القسطلانى سمعت الشيخ ابا عبد الله القرشى يقول سمعت ابا زيد القرطبى يقول فى بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين الف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها لاهلى وعملت اعمالا ادخرتها لنفسى وكان

اذ ذاك بيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان في قلبي منه شئ فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول ياعم هذه أمي في النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه انه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فالهمني الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت في نفسي الاثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استتممت هذا الخاطر في نفسي أن قال ياعم هذه أمي اخرجت من النار والحمد لله فحصل عندي فائدتان امتحاني لصدق الاثر وسلامتي من الشاب وعلى بصدقه ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول ياشديد المحال ياعزيز اذلت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفني فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفي رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه انه كان يقول لولده يابني من أصابته مصيبة في الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول ياموضع كل شكوى ويا سامع كل نجوى ويا شاهد كل بلوى ويا منجي موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام ادعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذي لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا أرحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني اسألك يا مؤنس كل وحيد ياقريبا غير بعيد ياشاهدا غير غائب ياغالبا غير مغلوب ياحي ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلي على محمد وعلى آله وان تعطيني كذا وكذا انك على كل شئ قدير وهذه أبيات الفرج لاحمد بن حمزة البوني قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهي هذه

اني لأرجو عطفة الله ولا * أقول ان قيل متى ذا متى
لا بد ان ينشر ما كان طوى * جودا وأن يعطر ما كان خوى
وربما ينشر ما كان زوى * وربما قدر ما كان لوى
وكل شئ ينتهي الى مدى * والشئ يرجى كشفه اذا انتهى
لطائف الله وان طال المدى * كلمحة الطرف اذا الطرف رمى
كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم مسرور قد أتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا * من كل ما يخشى ونال ما رجا
سبحان من هو يعفو دائما * ولم يزل مهما هفا العبد عفا

يعطي الذي يخطي ولا يمنعه * جلاله من العطا الذي اخطا

ومن المنظوم أيضا

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلة * فبما التقارا اليك فقري أدفع
نالي سوى قرعي لبابك حيلة * فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي ادعوا واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب اوسع
ثم الصلاة على النبي وآله * خير الانام ومن به يتشفع

وقال آخر

يا خالق الخلق يا رب العباد ومن * قد قال في محكم التنزيل أدعوني
اني دعوتك مضطرا فخذ بيدي * يا جاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت ايوب من بلواه حين دعا * بصبر ايوب يا اللطاف نجني
واطلق سراحي وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال بعضهم

يا رب ما زال لطف منك يشملني * وقد تجدد لي ما انت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرما * فمن سوالك لهذا العبد يرحمه

وقال آخر

يا من تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يا من اليه المشتكى * واليه امر الخلق عائد
يا حي يا قيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
انت الرقيب على العبا * د وانت في الملكوت واحد
انت المعز لمن اطا * عك والمذل لكل جاحد
اني دعوتك والهمو * م جيوشها نحوي تطارد
فافرج بحولك كربتي * يا من له حسن العوائد
نفني لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
انت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجا قريـ * ـبا يا الهي لا تباعد
كن راحمي فلقد يئسـ * ـت من الاقارب والاباعد

ثم الصلاة على النبي وآله الغر الامامجد
وعلى الصحابة كلهم * ماخر للرحمن ساجد

دعاء عظيم مأثور

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى أو الى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك يا رب العالمين

ومما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما سألت ولا ساءك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا اخلاك الله تعالى من نشأ صادق باق ودعا صالح واق ودعا اعرابى لآخر فقال رحب واديك وعز ناديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلك الله ولا أسلك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلك الله من الشاردات والواردات وسلك الله بين الاعنة والاسنة ودعا اعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستفيده وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

(ومما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم) دعا أعرابى على ظالم فقال لا ترك الله لك شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب قبحه الله فتا وحتحتا وجعل أمره شتى وخرج اعرابى الى سفر وكانت له امرأة تكرهه فاتبعته نواة وقالت شط نواك وناى سفرك ثم أتبعته روثة وقالت رتتك أهلك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص اثرك ودعا اعرابى على آخر فقال اطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا اعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا أعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى
وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها
وناد عوت عليه حين ألعنه * الا وآخر يتلوه يا آمين
فليته كان أرض الروم منزله * وليقى قبله قد صرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الاحزاب اللهم أكل سلاحهم واضرب

وجوههم ومزقهم فى البلاد تمزيق الريح للجراد ردعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن
اراد نا بسوء فلحظ به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارخى عليه هامته
كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب
بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وغرفتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى
دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهى ان ظلمة ظلمنا النفوس قد عمت وبحار الغفلة على
قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وانت بالحال أعلم الهى
ما عصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولت انفوسنا واعانتنا شقوتنا وغرنا
ستر لك علينا واطمعنا فى عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان
قطعت حبلك عنا واخجلتاه غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة
عليك اللهم اغفر ما عاتت ولا تهتك ما ستر ت الهى ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك
بعقل حيث علمنا أن النار لا يغفر لنا ولا يبالى الهى أتحرق بالنار وجها كان لك مصليا
ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا لا بالذى دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى
الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن
منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله واصحابه
وارحم عبادا غرهم طول امهالك واطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا العز لك وجلالك ومدوا
أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين اجمعين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل)

اعلم ان كل ما يجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر
وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب
على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته
كما لا يجرى شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن
لا محالة كما ان ما فى علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب
فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب ايضا من القدر فان تعسر شئ فبتقديره وان اتفق شئ
فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور رأس الطريق فى تحصيله انه يغلق بابه عليه ويفوض امره
لربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع فى طلبه على الوجه الذى شرعه له فقد
وقد ظاهر النبى صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه
الاحزاب يحترس به من العدو واقام الرماة يوم احد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس
لأمة الحرب ويهيئ الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما قد علمه من مصالحهم واسترقى وامر بالرقية
وتداوى وامر بالمداواة وقال الذى انزل الداء انزل الدواء فان قيل قد روى ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال من استرقى او اكتوى فهو برئ من التوكل قلنا ليس قد قال اعقلها

توكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى او اكتوى متكلا على الرقية او الكى وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد امرنا بالكسب والتسبب الا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزى اليك بجذع النخلة فهذا امر لها بالكسب وحمل الرطب الى فمها وأنشدوا فى ذلك

ألم تر ان الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقد تقدم هذا الشعر فى باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل ارزاقها اليها فى أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل فى واحد منهما اربح مما فى الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره ونمت بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبا فقالوا ان اعمى ومقعدا كانا فى ناحية بقفر وضرر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان فى القرية رجل يطعمهما قوتهما فى كل يوم احتسابا لله تعالى فلم يزالا بنعمة الى ان هلك ذلك الرجل فلبثا بعده اياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما مجهده فاجمع رأيهما على ان الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاستغل الاعمى بحمل المقعد ويدوربه ويرشده الى الطريق واهل القرية يتصدقون عليهما فنجح امرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى ان من طلب الرزق والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر ارضه معتمدا فى ذلك على الله واثقا به ان ذلك امر أنه من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله كارها قال الغزالى اما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل باد خار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى ام أيمن وغيرها ان تدخر شيأ وقال انفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال عبد الله ابن الفرج اطلعت على ابراهيم بن ادهم وهو فى بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه واذا بجعة فى فيها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى اتمه فحسبت توكل يؤدى الى هذا وعن عبد الله الهروى قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل ابى قبيس فقال لوان رجلا صدق فى توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم اعنك رحمك الله فسكن وفى الاسرائيليات ان رجلا احتاج الى ان يقترض الف دينار فجاء الى رجل من المتوكلين فسأله فى ذلك وقال له تعهل على بدينك الى ان اسافر الى البلد الفلانى فان لى مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بينى وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فانا ما اعطيك مالى الا ان تجعل لى كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد على ان لا اغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فدا خل الرجلى خشية الله تعالى وحمله التوكل على ان دفع المال للرجل فاخذه ومضى الى البلد الذى ذكره فلما قرب الاجل الذى بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد

السفر فى البحر فسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعد هذه الايام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك واخذ الالف دينار وجعلها فى خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم انى جعلتك كفيلا بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها فى البحر وقد كانت عليك فى ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها فى البحر بيده وأقام فى البلد مدة بعد ذلك الى ان جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار فى خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد اوصلها الله تعالى الى والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بينى وبينك يئست أن ترد الى البحر لاجدك او اجد من يخبرنى عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد اتت الى ولم أر لها طالبا فاخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فاخبرنى بذلك فقرأت ما عليها فعلمت ان الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذى النون المصرى رحمه الله تعالى انه رأى طيرا اعمى يبدا عن الماء والمرعى فبينما هو يتفكر فى أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما من ذهب والاخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها عسل فلقط القمح وشرب الماء ثم غابا بعد ذلك فذهل ذو النون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكى) ان رجلا من أبناء الناس كانت له يد فى صناعة الصياغة وكان اوحد اهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة فى بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد كانا لمعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقى من احد الصناع الذين فى دكان هذا المعلم واقام يعمل عنده مدة وكلما فرغ النهار دفع له درهمين من فضة وتكون اجرة عمله تساوى عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم فى كل يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بنصوص فى غاية من الحسن قد عملت فى غير بلاده كانت فى يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له الحقها فاخذها المعلم وقد اضطرب عليه فى عملها فلما أخذها وأراد الصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهى عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يعلم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال فى نفسه هذا وقت المروءة اعملها ولا آخذه بخله على وعدم انصافه ولعله يحسن الى بعد ذلك فخط بيده فى درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت احسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعته فاحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقى الصائغ يرجو مكافأته على عمله به فالتفت اليه المعلم ولما كان النهار مازاده على الدرهمين شيأ فما مضت الايام قلائل واذا الملك اختار ان يعمل زوجين اساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه واكد عليه فى تحسين الصنعة وسرعة العمل وجاء الى الصانع واخبره بما قال

الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى ان عمل الزوجين وهو لا يزيده شيأ على الدرهمين في كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش في باطن أحدهما هذه الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفى * ان لم تكفى فعفى
خرجت أطلب رزقى * وجدت رزقى توفى
فلا برزق أحظى * ولا بصنعة كفى
كم جاهل فى الثريا * وعالم متخفى

قال وعزم الصانع على انه ان ظهرت الابيات للمعلم شرح له ما عنده وان عمم عليه ولم يرها كان ذلك سببا توصله الى الملك ثم لفهما في قماش وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة وما سبق له في القضاء فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك في انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع وما زاده في آخر النهار شيأ على الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خطر للملك فاستحضر الخطية التي عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما في يديها فاخذهما ليعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فما سبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لاضربن عنقك فأصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وان تسلب نعمته وتعطى للصانع وان يكون عوضا عنه في الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضى عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر ورحم الله من قال

اذا كان سعد المرء في الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

وقال آخر

ما سالم الله هو السالم * ليس كما يزعمه الزاعم
تجرى المقادير التى قدرت * وانف من لا يرتضى راغم

وقال كعب بن زهير

لو كنت أعجب من شئ لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا ينتهى دونه حتى ينتهى العمر

وروى في الاسرائيليات ان نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يا نبي الله هل رأيت اقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدني به وأنا أنظر اليه

قال فذهب عنه ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يا نبي الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين ويروى ان رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر في القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيأ ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محروما فعلمت أن التدبير ليس للعباد ولما قدم موسى بن نصر بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء في الارض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد في التخوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا في ذلك

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وقال آخر

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حادياها
وقال أخاف عادية الليالي * على نفسي وان القى رداها
مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشي رحمه الله تعالى في كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية ان رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته اياما ففي بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت في بعض الطرق وترامى في بئر والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يمشي الماشي فيه قائما فما زال الرجل يمشي الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر في دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمنقلب في يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا تقيم وقد أحا * ط بك العدو ولا تفر
لا نلت خيرا ان بقيـ * ـت ولا عدا لي الدهر شر
ان كنت أعلم أن غيـ * ـر الله ينفع أو يضر

(الباب التاسع والسبعون في التوبة والاستغفار)

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى

بالتوبة

بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وروى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فانى أتوب الى الله تعالى فى اليوم مائة مرة وروى أحمد ابن عبد الرحمن السلمانى قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت يوم فقال الثانى أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل موته بغرغرة أو قال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل العبد مالم يغرغر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال ارجع الى المكان الذى ضللتها فيه وأموت فاتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فالله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة رواه البخارى وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفى الصحيحين فكان أدنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من

أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فاقمه علي فدعا نبي الله فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل ممن جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن أبي نضرة قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيئا قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم سبعين مرة (وحكي) أن نبهان التمار وكنيته أبو مقبل اتته امرأة حسناء تشتري تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول انى كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعني الله منه بما شاء منه فحدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروى في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا مكث ما شاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء وكان قتادة رضي الله عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دوائكم فالاستغفار وأما دائكم فالذنوب وكان علي رضي الله عنه يقول العجب ان هلاك ومعه كلمة النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسي استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك طلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل دبيب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم اني اسألك واستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي ثم لم أوف لك به واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل للملائكته ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرني فاغفره ثم يذنب الذنب فيستغفرني فاغفره لا هو يترك الذنب من مخافتي ولا يأس من مغفرتي أشهدكم يا ملائكتي اني قد غفرت له وقال بشر الحافي بلغني ان العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرني فلا تكتبوها وان لم يستغفرني فاكتبوها * (نكتة) * قيل انقطع الغيث عن

بنى اسرائيل فى زمن موسى عليه السلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه السلام فى بنى اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيدى صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة أيام فلم تطر لهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة والذل فاوحى الله تعالى اليه يا موسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى يا موسى اسمهم لك ولاعمام ولكن يا موسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فاجود بالنعمى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل ان اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه السلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بنى اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين فازالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين أوحى الله الى داود عليه السلام يا داود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتى يا داود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على ولقد أحسن من قال

أسىء فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيولينى بتراوامهالا
فحتى متى أجفوه وهو يبرنى * وابعد عنه وهو يبدل ايصالا
وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولاحال عن ستر القبيح ولازالا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

(الباب الثمانون فيما جاء فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء وما جاء فى السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الامراض والعلل وما جاء فى ذلك من الاجر والثواب) روى عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يارسول الله قال أتحبون ان تكونوا كالجبر الصوالة الا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذى بعثنى بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشىء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمرض مرضا الا حط الله من خطاياه كما تحط الشجر ورقها وكان يقول لا تزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قد حموا فى فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله فى الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوها بالماء فى الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن انس

رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى انها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولو بقى منى جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه اما بعد فقد فهمت كتابك فيما شكوت ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل اعطاه فى مرضه ما تشتهى قال ما ترك خوف جهنم فى قلبى موضعا للشهوة وأصاب ابن آدهم بطن فتوضأ فى اليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ما تشتهى قال الجنة فقيل افلا ندعو لك طبيبا قال طبيبى هو الذى امرضنى

*(الفصل الثانى من هذا الباب) * فى ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة * قيل لسارر البخر واصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا ادرى غير انه فسا فى أذنى وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فمض يوما على تفاسة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت امیط الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسارر ابو الاسود الدؤلى سليمان بن عبد الملك وكان ابو الاسود ابخر فسترسليمان انفه بكمه فعبر ابو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول الطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس افواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلب من بينهما طيب الفم وليس فى البهائم اطيب افواها من الظباء (وحكى) ان ابخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وولت عنه بوجهها ثم انشدت تقول

يا حب والرحمن ان فاكا * اهلكنى فولنى قفاكا
اذا غدوت فاتخذ مسواكا * من عرفط ان لم تجد اراكا
لا تقربنى بالذى سواكا * انى اراك ماضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورايت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان ابرص فلما انتهى الى قوله ابرص فياض اليدين مهذب صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب اما سمعتم قول سهل حيث قال

ايشتمنى زيد بان كنت ابرصا * وكل كريم لا ابالك ابرص

وقال

وقال

كفى حزنا الى أعاشر معشرا * يخوضون فى بعض الحديث وأمسك
وماذا الذى من عى ولا من جهالة * ولكنه مافى الصوت مسلك
فان سدمنى السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك

ومما جاء فى العمى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن حرث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل أعرابى يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له والله انى ليحبسنى طعامك وتربينى عينك قال فما ريبك من عينى قال أعور وارالة تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لاتصاب عينه فى سبيل الله وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى اربعين خطوة ثم تمه النار وقال على كرم الله وجهه ربما اخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال ابو على البصير

ان كان يهديني الغلام لوجهتي * ويقتادنى فى السير اذ أنا راكب
لقد يستضىء القوم بى فى وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

وقال

اذا عدمت طلابة العلم مالها * من العلم الا ماتسطر فى الكتب
غدوت بتشمير وجدت عليهم * وصيرنى سمعى وهادفترى قلبى

وقال

ان يأخذ الله من عينى نورهما * ففى لسانى وسمعى منهما نور
فهمى ذكى وقلبى غير ذى غفل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

وقال

عزاك ايها العين البكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتى ومراح وجهى * وكانت لى بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فالشيخ * ضرير العين فى الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا * ويخلف ظنه الامل الكذوب
اذا ماغاب بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) ان ربيعة رمدت عينه فارسل الى امرأة كان يحبها ثم انشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبى * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكتحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الامد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن الفالج سيدنا ادريس عليه السلام وأكثر مايعترى المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان ابان بن عثمان كان

افلح حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية الوفى وعبد الملك بن مروان ابخر وحسان اعمى وابن سيرين اصم ومن فلج ابن ابى دواد قاضى قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر فى رجل ضرب غلامه

اتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن ابى داود

وشجة عبد الحميد كانت مثلا فى الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم وكان بارعا فى الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن فى وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بنى امية وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ان من ولدى رجلا بوجهه اثر فى جبهته قال اصبغ الله اكبر هذا اشج بنى امية يملا الارض عدلا وقال اعور لابى الاسود ما الشئ ونصف الشئ ولا شئ فقال اما الشئ فالبصير كنا واما لا شئ فالاعمى واما نصف الشئ فانت يا اعور اللهم اكفنا شر العاهات برحمتك ومنك وكرمك آمين

(الفصل الثالث من هذا الباب) فى التداوى من الامراض والطب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذى انزل الداء انزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يردان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله بن عكرمة بحبت ان يحتمى من الطعام خوف الداء ولا يحتمى من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال انهم ان مرضى من الطبيب وانه متى اراد عافانى ولا حاجة لى بطبيبكم وانشد

فاصبحت لا ادعو طبيبا لطبه * ولكننى ادعو لنازل القطر

وعاد الفرزدق مريضا فقال

يا طالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذى ابلاك بالداء

فهو الطبيب الذى يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافى رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال انى بعين الطبيب ينظر بى ما يريد فالح عليه اهله وقالوا لا بد ان ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاختشه ادفعى اليهم الماء فى قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمى وكان حاذقا فى الطب فأتوه بمائه فى القارورة فلما رآه قال بر كوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا يا حاذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير ان هذا الماء ان كان ماء نصرانى فهو راهب قد فتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافى فانه اوحد اهل زمانه فى المسألة مع الله تعالى فقالوا له هو ماء بشر الحافى فأسلم النصرانى وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم اسلم الطبيب قالوا وما علمك قال لما خرجتم من عندى هتف بى هاتف وقال يا بشر ببركة ما ئك اسلم الطبيب وصار من اهل الجنة وقيل الربيع بن خيثم

فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوى ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حين مرض علته أما تعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات متطببات وهن من أجمل الناس فأحبوا أن يرينهن فحكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهى كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله فى مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفى من وبائها واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يمسك عما تميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركا ما نحبه انستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لاطبائه اجلسوا على الخلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا ان يكون صريع مأكله وقيل انا مله

فكم اكلة أكلت نفس حر * وكم اكلة جلبت كل ضر

وقيل من غرس الطعام اثمره الاسقام وعن بعض اهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان اذا اصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر اهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وانزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فمن جمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنئ المرئ يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والمجامعة على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقالوا لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

يوقى مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر لطاعم
ووفر على الجسم الدماء فانها * اقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم
وفى كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله

تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الخلاء والنظر الى النجوم وفى الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ام مغيث وهى وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين ونهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه امان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مرو ان فوجد غالب اهل المسجد يشكو من السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعة الافيستداو بالخل فنعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تغسلها بدلك قريب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الادوية تنبت فى محراب سليمان عليه السلام ويقول كل دواء يابنى الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له النهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة فى العينين والضربان فى الأذنين والقولنج فى البطن فعليك أيها الانسان بالطريقة الوسطى واتق الميل وطعامه جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المأمون فى يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن اكثم يا أمير المؤمنين ان خصصتنا فى الطب فأنت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم فانت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فانت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى علمه أو فى السخاء فانت حاتم فى كرمه او فى الحديث فانت أبو ذر فى صدق لهجته او فى الوفاء فانت السموأل ابن عاديا فى وفائه فسر بكلامه وقال يا أبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهندان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على ان الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ماهى قارورتك لانه ما صح وانت حتى تكلمنى فافرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع فى رأسه فاحضر الطبيب فامره ان يضع قدميه فى الماء الحار وكان عنده خصى فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحينك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فاحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ نيصفر فارسل اليه قلنسوة وكتب له بلغنى صداعك فضعها على رأسك يزل مابك نخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شئ ثم انه احضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال مابه فتعجب المأمون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى فى عرق ساكن وغير ساكن حمسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال على رضى الله عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار

فى الشتاء بارد فى الصيف وقال أيضا رضى الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضى الله عنه ان لم يكن فى شئ شفاء ففى شرطة حاجم او شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح الافتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمرى ما فيه ولا تأوى الى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة فى اقبالها وذرها فى ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية وعده انه اذا لازمها لا يمرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك فى كل أسبوع بقيئة ولا تاكل الفاكهة الا فى اوان نضجها ولا تاكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم ولا تاكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أولم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس نشره
فامن فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الا رأى ما يكره

وقال أبو القيض القضاعى يمدح الفصد وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لاصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دماطيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

(الفصل الرابع فيما جاء فى العيادة وفضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة فى ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفى رواية ومعزى الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس فى العيادة مرض بكر بن عبد الله المزنى فعاده أصحابه فاطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعد من مريضا هن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد داتيا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لا حظهم دعوا له وانصرفوا *قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك ما بك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية واعقبك دوام الصحة *ومرض انسان فكتب اليه صديقه

باخوانك الادنين لابك كلما * شكوت الى اليوم من الم الورد
فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدى

وقال آخر

بى السوء والمكروه لابك كلما * أراد الكتابى وكان لك الاجر

وقال عبد الله بن مصعب

مالى مرضت فلم يعدنى عائد * منكم ويمرض كلبكم فاعود

فسمى بعد ذلك عائد الكلاب وعاد مالك بن أنس رضى الله عنه بعض المرضى فقال

عادنى مالك فلست ابالى * بعد من عادنى ومن لم يعدنى

وقال على بن الجهم

أأرقد الليل مسرورا وعدمت اذا * عيشى واحد يرعى ليله وصبا

الله يعلم أنى قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحمد ركبا

وقال آخر

اذا مرضتم أتينا كم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وقال آخر

اعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم او يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهى الصحيحة والعليل العائد

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

وعلى الثانى قول بعضهم

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين

لاتبرمن عليلا فى مسائلة * يكفيك من ذا السؤال بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر واحواله

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لاحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته واعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قيل يارسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال وهل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال وكذلك فى الآخرة ومن وصية على رضى الله عنه لابى ذر زر القبور تذكرك بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يتحرك قلبك رصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين فى ظل الله تعالى ويقال جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك وانظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله اهله الى حبس الابد ودخل عمرو بن العاصى رضى الله عنه على معاوية فى مرضة مرضها فقال له اعائد أنت أم شامت فقال له عمرو لم نقل هذا والله ما كففتنى رهقا ولا اصعدتنى زلقا ولا جرعتنى علقا فلم استطل حياتك ولم استبطئ وفاتك فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل فى الموت بين الناس عار

ولما

واما مرض معاوية رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لاهله مهدوا لى فراشا واسندونى واوسعوا رأسى دهانا ثم اكحلوا عينى بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا على قياما ولا تجلسوا عندى احدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده انشد يقول

وتجلدى للشامتين أريهم * انى لريب الدهر لا اتضعضع
واذا المنية انشبت اظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذى * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذى خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى * وذكر ابو العباس الشيبانى قال وفد على ابى دلف عشرة من أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه فى العلة التى مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التى اصيب بها ثم افاق فقال لخادمه بشر ان قلبى يحدثنى ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان اول من دخل آل على رضى الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال اصلحك الله انا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب واجحفت بنا النوائب فان رأيت ان تجبر كسيرا وتغنى فقيرا لا يملك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدى واجلسنى ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض منى ألف دينار قالوا فبقينا والله متحيرين فلما ان كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه على بالمال فوزن لكل واحد منا الف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع فى كفنى فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فى القيامة كانت حجة لى أنى قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها فى طريقه حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى يصل الى موضعه قال فاخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور بسم الله الرحمن الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابى انك تموت قال والى أين أذهب فالوا الى الله تعالى فقال لا اكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الطول لانى عند موته فقيل له ما يبكيك قال ابكى لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدرى الى أين اهبط والى أى مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذى لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت وانى لم استعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال ماتا قال اما كان لك فى موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه عليه السلام وفى الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحتبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحراء والبرارى

من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الامة على ان الموت ليس له زمن معلوم فلم يكن المرء على اهبة من ذلك وقيل بينما حسان جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبي فمات فقال

اعمل وانت صحيح مطلق فرح * ما دمت وبحلك يا مغرور في مهل
يرجو الحياة صحيح رب ما كنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض اصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه (ولما احتضر عمرو بن العاصي) دعا بغسل وقيد وقال البسوني اياهما فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك امرتنا فعصينا ونهيتنا فاركبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فأنت أهل العفو وان تعاقب فما قدمت يداي لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم مات وهو مقابل مقيد فبلغ ذلك الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه (ولما احتضر المعتصم) جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يرى بظهر الجلود وسمع ابو الدرداء رجلا في جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما وكثير عزة في يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقي في المدينة أحد الا استحسن كلامه (ولما احتضر ابراهيم الخليل) عليه السلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فاوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحي الساعة وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بارض جعل له اليها حاجة فييسره اليها وقال بعضهم

اذا ما حام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فطير

(حكي) ان شابا تقيا من بني اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان في مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يا نبي الله انى خشت من هذا الرجل فأمر الريح أن تذهب بي الى الهند فامر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليل حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال اعجب اني أمرت بقبض روح الشاب الذي كان عندك بارض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبي فقال له سليمان انما لما رآك خاف وانزعج وطلب مني ان تحمله الريح الى الهند فامرتها فحملته وفي ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

ومتعب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النفثة الاخيرة والله أعلم وقيل ان

الرشيد مات له جارية وكانت من خواص محاظيه فجزع عليها جزعا شديدا فقال له بعض
اصدقائه اما ترى ما بليت به ما أحببت أحدا الا مات فقال يا أمير المؤمنين أحبني فقال
ويحك ان الحب ليس هو شئ يصنع انما هو شئ يقع في القلب تسوقه الاسباب فقال قل
أنا احبك قال نعم أنا أحبك قال فلم من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت
ككسره في حياته وقال يزيد بن اسلم لقد كان يمضي في الزمن الاول اربعمائة سنة ما يسمع
فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف
فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر ابيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فالتمسناه فلم نجده
ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام
بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني ان قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن
عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى مالا يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر اول منازل الآخرة فان نجا العبد منه
فما بعده أيسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال اخبرني رجل من رجال قومي ان جبريل
عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق
فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال
الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن
رآه على لهو ولعب أو معصية أو ضاحكا ولا رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد
به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لي فيك غمزة أقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله
عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت
خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم ان عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن
وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر
ابن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء اني أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا
جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني
فعصيت فان غفرت فقد منك وان عاقبت فظلمت الا اني اشهد أن لا اله الا أنت وحدك
لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة
ونصح الامة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت
كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم اذ شهق
شهقة بعد أن أغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض
نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اخي
جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشرونني بالجنة
وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لمثل هذا فليعمل
العاملون (ولما احتضر عبد الملك بن مروان) قال لابنه الوليد اذا انامت ايالك أن تجلس

وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء لكن التزر وشعر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني وعليك شأنك وادع النساء الى بعلك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية فقال هل عندكما لوالدكما غير هذا الضرب الذي فيه أعينكما ثم رفع كنار فراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت عينه كل هذا وروحه تتردد في حنجرته وهو يقول الحمد لله الذي لا يأتي الا صغيرا أخذ أم كبيرا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفدت روحه فدخل عليه الوليد ومعه نائيلة فقتل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون مراكب

وقال محمد بن هرون

كأني باخواني على جنب حفرتي * يهيلون فوقي والعيون دماتجري

فيا أيها المذري علي دموعه * ستعرض في يومين عني وعن ذكري

عفا الله عني أنزل القبر ثاريا * أزار فلا أدري واجفى فلا أدري

وكان يزيد الرقاشي يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكي حتى يغشى عليه فيجب على العاقل ان يحاسب نفسه بنفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة امره صالح العمل ولا يغتر بالامل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت نسأل الله ان يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وان يجعل الموت خير غائب ننتظره وان يختم لنا بالخير وان يتغمدنا برحمته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والثمانون في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في الصبر) قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصاب بمصيبة وان قل عهدها فأحدث استرجاعا الا احدث الله له مثله واعطاه مثل اجره ذلك يوم اصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن اصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغني سأله ما في يده أحبط الله ثلثي عمله ومن اعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن * وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعني قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه

راجعون اللهم اؤجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى انه لما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والفسد ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول الا ما يرضي الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضي الله عنهما أول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ اني أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سواي وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاه قولي اذا أصابتك انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يا رسول الله قال ومني وعن عطاء بن أبي رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب ادخل الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه السلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا في النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفي وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلبس ثوب الدهر بالصبر طال عتبه عليه وقيل ان معاوية رضي الله عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلبي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز اتاني نعي سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك قال بل ابنك قال لموت تلد الوالدة وما قيل اصبر لحكم من لا تجد صعودا لا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسي

فأوصيكما يا ابني سدوس كلاكما * بتقوى الذي أعطاكما وبراكما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

وقال

أيا صاحبي ان رمت ان تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة * فاصابر فيما يروم بنادم

وقال آخر

هو الدهر قد جرّبته وبلوته * فصبرا على مكروهه ونجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن ابوها أبو بكر الصديق فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان

كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة وأنا تابعة له فى الصبر فاقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة باكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا رازئة على القضاء فيك * ولما مات ذر الهمدانى جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجاة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطا من كان قبلنا فى مثله ولما وضعه فى حفرته قال رحمك الله يا بنى وجعل أجرى فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بى بارا ولى نافعا وكنت لك محبا وما بى اليك من وحشة وما بى الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ما صرت اليه فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لى من الاجر الى ذر صلة منى له فلا تحرمنى ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بى وبه اللهم قد وهبت لك اساءته لى فهب لى اساءته اليك فانك أجود منى واكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لى عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكرلى ولوالديك الى المصير اللهم انى قد غفرت له ما قصر فيه من حقى فاغفر له ما قصر فيه من حقك فانك اولى بالجود والكرم فلما اراد الانصراف قال يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفى الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدى عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتى انى بنيت له بيتا فى الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه دفن ابنا له وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغى للعبد أن يتفكر فى ثواب المصيبة فتسهل عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يا رب العالمين

(الفصل الثانى من هذا الباب فى التعازى والتأسى) روى الترمذى فى كتاب السنن للبيهقى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل اجره وروينا فى كتاب الترمذى أيضا بسند متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسى بردا فى الجنة وروينا فى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة واعلم ان التعزية هى التصبير وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة فانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى أيضا داخلة فى قوله تعالى وتعاونوا على البر

والتقوى

والتقوى وهي من أحسن ما يستدل به في التعزية وثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه واعلم ان التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من اصحاب الشافعي رضي الله عنه وقيل انما لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا في صورتين وهما اذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة واما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأي لفظ عزاه حصلت واستحب اصحاب الشافعي ان يقول في تعزية المسلم بالمسلم عظم الله اجرك واحسن عزاءك وغفر لميتك وفي المسلم بالكافر اعظم الله اجرك واحسن عزاءك وفي الكافر بالكافر اخلف الله عليك ولا نقص لك عدد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد بعض اصحابه فسأل عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذي رأيته هلك فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان احب اليك ان تمتع به عمرك ولا تاتي غدا بابا من ابواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يارسول الله سبقه الى باب الجنة احب الي من التمتع به في دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقي باسناده في مناقب الشافعي رحمهما الله ان الشافعي قد بلغه ان عبد الرحمن بن مهدي مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعي رحمه الله يقول يا أخي عز نفسك بما تعزي به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان أمض المصائب فقد سرور وحرمان اجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر الهمك الله عند المصائب صبرا واجزل لنا ولك بالصبر اجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لي ابن فريي مجوسي وقال ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتموها عنه وعن معاذ بن جبل انه قال مات لي ابن فكتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ ابن جبل سلام عليكم فاني احمد الله الملك الذي لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا واولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يمتعنا بها الى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به في غبطة وسرور وقبضه باجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم ان الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى ان أبا بكر رضي الله عنه كان اذا عزى مرزأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعي رضي الله عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا انا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاشا الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخي اعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها

لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعزأ أمير المؤمنين فانه * لمقدتري يغدو الصغير ويولد
هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد مات ابنته فقال

الموت اخفى سوأة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
اما رأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع بالجزع والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الامر وانت تعلم ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة السا كبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان الحزن اذا لم يعالج بالصبر كانت كالمخاذ الم تقابل بالشكر فصبرا صبرا فحمول الرجال لا تستفزها الايام بخطوبها كما ان متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعز علي ان أخاطب مولاي معزيا وا كاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمي الى جملته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سيرة سائرة وسنة ماضية غابرة وقدر الله هو المقدر واجل الله اذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوي فيها الاشرف والاوضع لاجلت مولاي أن افاتحه معزيا واخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فيمولاي يقتدى في الصبر على النوائب وبنوه يهتدى في مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء وجع كان انجر عليه أوسع جعل الله مولاي من الصابرين على المصيبة واعظم اجره وجعل الجنة نصيبه * وعزى رجل فتى عن ابيه فلم يجده كما احب فقال يا بني سوء الخلف اضر علينا من فقد السلف * ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ في تعزيته فهي له فدخل عليه اعرابي وقال عظم الله اجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة ونعم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له * وعزت اعرابية قوما فقالت جاقى الله عن ميتكم الثرى واعانه على طول البلى وآجركم ورحمه * وكان لعلي بن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه علي بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابني كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولهن شهادة ان لا اله الا الله وان سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدي صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التي وسعت كل شيء فاين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال * وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان في كبدي جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا امير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء افضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من باس لقد دمعت

عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى اربه ثم أقبل عليهم وقال لولا انزفت هذه العبرة لانصدع كبدي ثم انه لم يبك بعدها * وكتب الاسكندر الى امه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابي هذا فابعثي أهل بلدك وأعدي لهم طعاما وكلي بالابواب من يمنع من اصابته مصيبة في ام او اب او اخ او أخت او ولد ففعلت فلم يدخل اليها احد فعلمت ان الاسكندر عزاها في نفسه ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على امه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزني على الفضل فأنا اخلف منه فقالت كيف لا احزن على ولد عوضني عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط احسن منه ولا اجاب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيدا لاجر * ومن جزع على ولده جعفر بن علية لما قتله الحرث قام نساء الحي يبكون عليه وقام ابوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه والقاها بين أيديها وقال لها ابكين معي على جعفر فما زالت النوق ترغو والشياه تعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكي معهن فلم ير مأتم كان اوجع منه * وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجدد الحزن والعزية بعد سبعة تجدد الفرح * (ومما قيل في التأسي والتسلي بالخلف عن السلف) * قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية في والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حاباكا
لا رزء اصبح في الايام نعرفه * كمارزئت ولا عقبى كعقباكا

وقال آخر

لابد من فقد ومن فاقد * هيهات ما في الناس من خالد

وقال آخر

تبصر فلو أن البكا رد ها البكا * على احد فاكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم في والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضى لهن افول
يغار بها في ظلمة الليل سائر * ويسرى عليها بالرفاق دليل

ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولد له في تلك الليلة ولد فقال سرك الله يا امير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين اجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

اليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما ترينه * فكل امور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعي عن قول الخنساء في نعيها صخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا لم لا ذا انها خصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا مدحا لانه كان يغير على اعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بابيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى * أفارق عيشتي وأزور رمسي

ولولا كثرة الباكين حولي * على امواتهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل اخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتاسي

وقال آخر

ولولا الاسى ما عشت في الناس ساعة * ولكن اذا نادى جاوبني مثلي

وقال آخر

وهون وجدي عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي انا صاحبه

وقال

وما يؤديني الى الصبر والعزا * تردد فكري في عموم المصائب

(الفصل الثالث في المراثي) لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من اصحابه وآله بمراث كثيرة منها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو اول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور

فارتاع قلبي عند ذلك لموته * والعظم مني ما حييت كسير

أعتيق ويحك ان حلك قد توى * والصبر عندك ما بقيت يسير

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في لحد عليه صخور

فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوالح وصدور

وقال

فقدت ارضنا هناك نبيا * كان يغدو به النبات زكيا

خلقا عاليا ودينا كريما * وصراطا يهدي الانام سويا

وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا عربيا

حازما عازما حليما كريما * عائدا بالنوال برا تقيا

ان يوما أتى عليك ليوم * كورت شمسه وكان ضحيا

فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلي لا يزول * وليل اخي المصيبة فيه طول

واسعدني البكاء وذاك فيما * اصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول

واضحت ارضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك احق ماسالت عليه * نفوس الناس او كادت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ملاما * علينا والرسول لنا دليل
افاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعى فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ولما مات ابو بكر الصديق رضى الله عنه رثاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين احبهم * فعليك يا دنيا السلام
لا اذكرن العيش لى * فالعيش بعدهم حرام
انى رضيع رصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سالت الندى والجود مالى اراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما * فقالا اصبنا يا بن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عيديه فى كل مشهد
فقالا اقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وقال آخر

ولا ارتجى فى الموت بعدك طائلا * ولا أتقى للدهر بعدك من حطب

وفى المعنى لبعضهم

لقد أمنت نفسى المصائب بعده * فأصبحت منها آمنا ان ارتوعا
فما اتقى للدهر بعدك نكبة * ولا ارتجى للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمى عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا فيه مادح
وما كنت ادرى ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح فى لحد من الارض ميتا * وكان به حيا تضيق الصحاصح
سابكيك ما فاضت دموعى فان تفض * فحسبك منى ما تكن الجوانح
وما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح
لئن حسنت فيك المراثى بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

وقال آخر

الى الله أشكو لا الى الناس انى * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب

أخلاى لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

وقال العباس بن الاحنف

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * اجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

وقال آخر يرثي صديقه

خليلي ما ازداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا
خليلي لو نفس فديت نفس ميت * فديتك مسرورا بنفسي ومالياً
وقد كنت أرجو أن تعيش وان أمت * فحال قضاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

أخذها بعضهم فقال

كنت السواد لمقلتي * يبكي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وقال آخر يرثي بعض أولاده

وقاسمني دهري بني مشاطرا * فلما انقضى شطري عداني في شطري
ألا ليت أمي لم تلدني وليتني * سبقتك اذ كنا الى غاية نجري
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحطيئة اخبرني بافضل بيت قلته في أخيك فقال

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

لابي المحاسن الشواء في صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم انسه وبنو الملوك امامه * يدمون للاسف الاكف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكأنها * من حزنها لبست عليه بياضا

وقال آخر

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا
وليس نسيم المسك ريا حنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال مقاتل بن عطية يرثي الوزير نظام الملك

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها عندما عزت الى الصدف

وقال آخر

وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بابي وامي وجهك المقبور
واري ديارك بعدوجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور
فالناس كلهم لفقدك واحد * في كل بيت رنة وزفير

عجبا لاربع اذرع فى خمسة * فى جوفها جبل اشم كبير

وكان رجل توفى ولده فى يوم عيد فقال

ليس الرجال جديدهم فى عيدهم * ولبست حزن ابى الحسين جديدا
أيسرنى عيد ولم أر وجهه * فيه الا بعدا لذلك عيدا
فارقته وبقيت اخلد بعده * لا كان ذاك بقا ولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤن مودة وعهودا
مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش * من بعده ذا لوعة مكمودا
ما أم خشف قد ملا أحشاءها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله * فبيت مكلوءا بها مرصودا
مني باوجع اذ رأيت نوائحا * لابي الحسين وقد لطمن خدودا
ولقد عدمت أبا الحسين جلادتى * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا
وان بقيت وما هلكت فان لى * أجلا وان لم أحصه معدودا
لا موت لى الا اذا الاجل انقضى * فهناك لا اتجاوز المحدودا
حزنى عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا
ما هدر كنى بالسنين وانما * أصبحت بعدك بالاسى مهدودا
يا ليت أنى لم أكن لك والدا * وكذاك أنك لم تكن مولودا
فلقد شقيت وربما شقى الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا باخلابدموعه * فعليك جفنى لم يزل محمودا
فلا نظمن مراثيا مشهورة * تنسى الانام كثيرا وابيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولداله أو صاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصرى

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتسأل عمن عاش بعد وفائه * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكى رحمه الله تعالى يرثى فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذى الالباب اذ فقد الشهاب
امام قد حوى من كل علم * كنوزا نحوها يسعى الركاب
لبيكى كل ذى علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كلم موانع قد أتته * ثناها وهى عاصية صعاب
فسلطان البلاغ بغير شك * شهاب الدين ما فيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

وقال الصدفى

يا غائبا فى الثرى تبلى محاسنه * الله يولبك غفرانا واحسانا

ان كنت جرعت كاس الموت واحدة * فى كل يوم أذوق الموت ألوانا

وقال محمد بن عبد الله العتبى يرثى ابنا له

أضحت بخدى الدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم

والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثى بنتا له فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا

شملتنا مصيبتان جميعا * فقدنا هذه ورؤية ذاكا

وله يرثى الامير يليغا

الا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفرغا

وما عجبى الا لمن بات واثقا * بأيام دهر ماوعى حق يليغا

وقال آخر

الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

وقال رجل يرثى صديقا له توفى وكان من الكرماء

ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود

ولبعض الكتاب فى ابن مقلة

استشعر الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحتك ذلك الايام

فلذا لك سودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدى يرثى معن بن زائدة رحمه الله تعالى

هلما الى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا

فيا قبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضاقت حتى تصدعا

فتى عاش فى معروفه بعد موته * أناس لهم بالبر قد كان أوسعا

ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم اجدعا

وقال آخر

عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وقد كنت ابكيه دما وهو غائب

وقال آخر

فديتك لم اصبر ولى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر

وقالت ريطة بنت عاصم

وقفت فابكتنى ديار عشيرتى * على رزئهن البا كيات الحواسر

غدوا كسيوف الهند ورّادحومة * من الموت أعيا وردهن المصادر

فوارس حاموا عن حريمى وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر

ولو ان سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن جمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عميه ادريس ومحمد وكانا في حبسه وكان ابوه قائما يصلي فقال له محمد أو جزفا وجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدي الله تعالى فكان ذلك فالا على المنصور ولم يربعد ذلك اليوم راحة وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيأ الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثمانون في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها)

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم انك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبغ أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عياض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتي سليمان عليه السلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي الى وادي من أودية المدينة فاذا أنا برأس فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهي اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هي صائرة عظاما رميما وهذه العذرات ألوان أطعمتهم التي كنتم بها من حيث اكتسبوها في الدنيا فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية ثيابهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يتجمعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط في جنبه فبكى عمر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وانت رسول الله

وقد اثر الشريط بجنبيك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ونحن قوم اخرت لنا طيباتنا فى الآخرة وروى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض وجد ريح الدنيا وفقد ريح الجنة فشى عليهما اربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوى من السماء الى القلوب فلا تسكن فى قلب فيه اربع خصال ركون الى الدنيا وهم عدو وحسد اخ وحب شرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى يا على اربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق اجمعين فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون لا نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجعل الشر كله فى بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذى تطلبه * يشبه الظل الذى يمشى معك
انت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان فى علم الحقائق راقى
شخوصا واصواتا يخالف بعضها * لبعض واشكالا بغير وفاق
تجىء وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

وما احسن ما قال سليمان بن الضحاك

ما انعم الله على عبده * بنعمة اوفى من العافيه
وكل من عوفى فى جسمه * فانه فى عيشة راضيه
والمال حلو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما احسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفى رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

يا واقفين الم تكونوا انعاوا * ان الحمام بكم علينا قادم
لو تنزلون بشعبنا لعرفتمو * ان المفرط فى التزود نادم
لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا فى حفرة * حيث المخدم واحد والخادم

وقال آخر

عن قليل اصيركم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الاصحاب والخلان

وما احسن ما قال عبد الله بن طاهر

اليس الى ذا صار آخر امرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها

فلا تعجبي يانفس مما ترينه * فكل امور الناس هذا مصيرها

وقال شرف الدين بن اسد

يامن تملك ملكا لابقاء له * جمعت نفسك آثاما واوزارا
هل الحياة بدى الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال في الكرى زارا

وقال بعضهم

وغاية هذى الدار لذة ساعة * ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

وقال غيره

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقال آخر

فان كنت لاتدري متى الموت فاعلمن * بأنك لاتبقى الى آخر الدهر

اين آدم اين الاولون والآخرون اين نوح سيخ المرسلين اين ادريس رفيع رب العالمين اين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين اين عيسى روح الله وكلمته راس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار اين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان اين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب اين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا اين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد اين اصحاب الوزراء والقواد اين اصحاب السطوة والاعوان اين اصحاب الامرة والسلطان اين اصحاب الاعمال والولايات اين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات اين الذين قادوا الجيوش والعساكر اين الذين عمروا القصور والدساكر اين الذين اعطوا النصر في مواطن الحروب والمواقف اين الذين امنوا بسطوتهم كل خائف اين الذين ملؤا ما بين الخافقين فخرا وعزا اين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا اين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من احدا وتسمع لهم ركزا افناهم الله مفنى الامم وابادهم مبيد الرمم واخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا لاترى الامساكنهم لم ينفعهم ماجمعوا ولا اغنى عنهم ما اكتسبوا اسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء لو نطقوا لانشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلي راحلون بكل واد
كأني لم أكن لهم وحبيبا * ولا كانوا الاحبة في السواد
فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا الانفر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قدر يغلى وكنيف يملى وفي هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى

حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة اكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج اكنت تفديه بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة وروى ان ابا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لابى نواس قاله للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى * ومن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريا قال ابن بشار سألت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء امرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينا انا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا تحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم ار أحدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيأ فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءنى النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا ثم توجهت الى أهلى وخلفت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فاخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابى فلم أزل ارض تقلنى وارض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها اياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها اياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان اردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينا انا قاعد على باب البحر اذ جاءنى رجل فاكترانى انظر له بستانا فتوجهت معه فأتيت فى البستان اياما كثيرة فاذا خادم له قد اقبل ومعه اصحاب له ولو علمت ان البستان بخادم ما نظرته فقعد فى مجلسه ثم قال يا ناطورنا فاجبته قال اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه واطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناطورنا انت منذ كذا وكذا فى بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما اكلت من فاكهتكم شيأ ولا اعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم اصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لى لو كنت ابراهيم بن ادهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان يأكل من كسب يده وكان يحسد ويحفظ البساتين ويعمل فى الطين فبينما هو يوما يحرس كرما اذ مر به جندى فقال أعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لى فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما

عصى الله يا سيدى الجندى فاستحى الرجل وتركه ومضى وروى ان داود عليه السلام بينما هو يسيح فى الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بنى آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسيم الملك ملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافتضضت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى التراب فراشى والحجر وسادى فمن رآنى فلا تغره الدنيا كما غرتنى وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه السلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مر وا بزرع قد أفرك فقالوا يا نبى الله انا جياع فاوحى الله تعالى اليه ان ائذن لهم فى قوتهم فأذن لهم فتفرقوا فى الزرع يفركون ويأكلون فبيناهم كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعى وأرضى ورثتها من أبى وجدى فبأذن من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا واجدادنا فقر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا نبى الله انى لم أعرفك زرعى ومالى حلال لك فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نقضت تراب قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال عبد الله بن المعتز

نسير الى الآجال فى كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقا كأنه * اذا ما تخطته الامانى باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا * فكيف به والشيب فى الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

وقال عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا انا برجل من بنى هاشم من بنى العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا واقبل على الآخرة فجمعتنى واياه الطريق فانست به وقلت له هل لك ان تعادانى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو اردت هذا لكان سهلا ثم انس الى فجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لى ان يحشو لى فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فانى لنائم اذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم انشأ يقول

يا خل انك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فاعهد لنفسك صالحا ما تسعديه * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتى هاربا الى ربى كما ترانى ثم انشأ يقول

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه
وانه بين جنات من خرفة * يوم القيامة او نار ستضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن اقام عليه منه اسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه اصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذا هى ابيات جليلة وموعظة عظيمة جليلة وهى هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من اعالى عز معقلهم * فأسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم وصارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما اكلوا دهرا وما شربوا * فاصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى ان عيسى عليه السلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه السلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فلما فرغ منها وكان عيسى عليه السلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له اين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فأكلهما ثم مر اعلى وجوههما حتى انتهيا على ظبية ترعى فدعا عيسى عليه السلام واحدا منها فجاءه فذكاها وأكلا منه فقال له عيسى بالذى اراك هذه الآية من اكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مر اعلى وجوههما حتى جاء قرية فدعا عيسى ربه ان ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فأنطق الله له لبنة فسألها عيسى فأخبرته بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمر اعلى وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوز النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى اراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمر اعلى وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه السلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال أجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا

وآخذ المال لنفسي فوضع السم في الطعام وجاء فقاما اليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها وقال الهيثم بن عدي وجد غار في جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مصبي على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية أنا سابر بن نواس خدمت عمر بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور احبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاحلاف الجفاة يستنزلوني عن سريري ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون انه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك هزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال ما لم يجمعه أحد قبلي ولم استطع ان افتدي به من الموت اذ نزل بي وروى في الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام بينا هو في سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله في ان تتكلم فأنطقها الله له فقالت يا نبي الله انا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت الف سنة ورزقت الف ولد وافتضضت الف بكر وهزمت الف جيش وفتحت الف مدينة فما كان كل ذلك الا كحلم النائم فمن سمع قصتي فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه السلام بكاء شديدا حتى غشي عليه ووجد مكتوبا على قصر قد خربت اركانه وبادت اهله واظلمت نواحيه هذه الابيات

هذي منازل اقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكي عليهم ديار كان يطربها * ترنم الجد بين الجود والكرم

وقال في المعنى

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا في جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب

وفيه

ايها الرافع البناء رويدا * لا يرد المنون عنك البناء

(وحكي) ان رجلين تنازعا في أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت لبنة ألف سنة ثم أخذني خزاف وعملني انا فاستعملت ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فأخذني طواب وعملني لبنا وأنا في هذا الجدار كذا كذا سنة فلم تتنازعان في هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله أعلم وروى ان ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فأصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رآه في الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شئ رأيته اني مررت بمدينة لم أر على وجه

الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هي خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التي ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذي كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر احدا أسأله ثم اتيت راعيا فسألته اين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا المكان هكذا منذ كان فهذا اعجب شئ رأيته في سياحتي فسبحان مبيد العباد ومفني البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها ولبعضهم

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها اسائل اهلها * عن حالها متر حما ومشفقا
فأجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

ولبعضهم

ايها الربع الذي قد درثرا * كان عينا ثم اضحى أثرا
اين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى منادي دارهم * رحلوا واستودعوني عبرا

وقال عيسى عليه السلام اوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مري على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفي اسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفي اسفله الموت او كحلم النائم يفرح في منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضيء قليلا ثم يذهب ولما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

ووجد مكتوبا على قصر بادأهله

هذى منازل أقوام عهدتهم * فى خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفى نفسك ما عدت ما وصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وروى ان على بن أبى طالب رضى الله عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلى فى جسمه آخر الاوان الله لا يضيع اجر من احسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور بخباء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله تعالى ثم قال يا اهل القبور اما الازواج فقد نكحت واما الديار فقد سكنت واما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى اصحابه وقال اما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله اعلم

الباب الرابع والثمانون فيما جاء فى فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب وبه يختم الكتاب ولنذكر اربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

(الحديث الاول) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ فى السموات ولا فى الارض الا صلى عليه

(الحديث الثانى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة امر الله حافظيه ان لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة ايام

(الحديث الثالث) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك ما دام يصلى على نبيك

(الحديث الرابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها الفا ومن صلى على الفا لم يعذبه الله بالنار

(الحديث الخامس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات

(الحديث السادس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى جبريل يوما وقال يا محمد جئتك

بيشارة لم آت بها احدا قبلك وهي ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من امتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل ان يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل ان يقوم فعند ذلك خر ساجدا لله شاكرا

(الحديث السابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في صباح عشر امحيت عنه ذنوب اربعين سنة

(الحديث الثامن) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي ليلة الجمعة او يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة

(الحديث التاسع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي ليلة الجمعة او يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن في قبره يبشره كما يدخل احدكم على اخيه بالهدية

(الحديث العاشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم مائة مرة قضيت له في ذلك اليوم مائة حاجة

(الحديث الحادي عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقربكم مني مجلسا اكثركم علي صلاة

(الحديث الثاني عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي الف مرة بشر بالجنة قبل موته

(الحديث الثالث عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يا رسول الله لا يصلي عليك احد الا وصلى عليه سبعون الفا من الملائكة

(الحديث الرابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة علي لا يرد

(الحديث الخامس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة علي نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يصلي علي

(الحديث السادس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة علي قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة

(الحديث السابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة علي اخطأ طريق الجنة

(الحديث الثامن عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة في الهواء بأيديهم قراطيس من نور لا يكتبون الا الصلاة علي وعلى اهل بيتي

(الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات اهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة علي ردت عليه ولم تقبل منه

(الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة

(الحديث الحادي والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما لم يندرس اسمي من ذلك الكتاب

(الحديث الثاني والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في

الارض يبلغونى الصلاة على من امتى فاستغفرلهم

(الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل على فانا برئ منه

(الحديث الرابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطؤن الطريق قالوا يارسول الله ولم ذالك قال سمعوا اسمى ولم يصلوا على

(الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فاقول ردوه الى الميزان فاضع له شيأ كالانملة معى فى ميزانه وهو الصلاة على فترجح ميزانه وينادى سعد فلان

(الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى مجلس ولم يصل على فيه الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه

(الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبرى ملكا اعطاه اسماء الخلائق كلها فلا يصلى على احد الى يوم القيامة الا يلغى اسمه وقال يارسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك

(الحديث الثامن والعشرون) عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح

(الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن اكون اليك اقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فأكثر الصلاة على النبى الامى صلى الله عليه وسلم

(الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا امره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرحمها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فربه جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فأمره أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له ورد عليه اجنحته ببركة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

(الحديث الحادى والثلاثون) عن عائشة رضى الله عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود

(الحديث الثانى والثلاثون) عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على واجتهدوا فى الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

(الحديث الثالث والثلاثون) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على فان صلاتكم على زكاة لكم واسألوا الله لى الوسيلة

(الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم

(الحديث الخامس والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي

(الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبيئا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه

(الحديث السابع والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم

(الحديث الثامن والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يصلي علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه

(الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني منزلا يوم القيامة أكثركم علي صلاة

(الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة علي فانه من صلى علي في كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر ابدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله واعين على عدوه وعلى اسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه في الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذي أنزل عليه في محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله احدا من المرسلين ولا من الانبياء بالرسالة ولا بالنبوة الا سيدخلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم أعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة في الارض ويا عيسى اذكر نعمتي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبي حسبك الله يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبي اذا طلقتم النساء يا أيها النبي لم تحرم يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا في أربع مواضع اقتضت الحكمة ان يذكره هنا باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزالها ان الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولي لقال الاعداء ليس هو بمحمد افذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون ان اسمه محمد الثاني قوله عز وجل ما كان محمد أبا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل علي لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة في ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذى أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد فى موضع واحد وله حكمة وهى ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه السلام قال لقومه من بنى اسرائيل يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة التى أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد لانهم كانوا يعرفونه فى التوراة احمد فناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا احمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اى شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشرا لاهل التمجيد ونذيرا لاهل التجميد وقيل شاهدا لاهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لاهل الكفر والعصيان وقيل شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالجنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه اى يدعو الناس بأمر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال انا الداعى الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا اى يهتدى به كما يهتدى بالسراج فى ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة فى قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا فالجواب عن ذلك ان السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذى يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدى حتى يقتبس منه والسراج اذا كان فى بلد ملأ ذلك البلد نورا لان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب على ومن الموالى زيد ومن العبيد بلال رضى الله عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبو لهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجمل ولا أعظم ولا أمضى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات اقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر اليسير من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص امته واحشرنا فى زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عما جاء به برحمتك يا ارحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

تم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول المنشوف الى نشق نسمات الاسعاف من مهاب الالطاف الواجد القلب الى وجدان الارواح العرفانيه عبده المذنب طه ابن الشيخ محمود قطريه المحمي بدار الطبع الجليل هداه الله الى سواء السبيل واقام بتوفيقه أوده وهباله من أمره رشده * اما بعد حمد من تفننت في حمده سوابح الالسنه على اقانين فنون الآداب المستحسنه وتعانقت غصون الجوارح بشكره في رياض وحدانيته تعانق الالف واللام في تفرده بمعبوديته والصلاة والسلام على من كسى البردة من قرط آذان البلاغة بمدحته وشنف سيدنا محمد مصدر جوامع الكلم التالد منها والمستطرف وعلى آله الذين فوفوا بالرقائق برد البيان وحبره واصحابه نجوم التبيان الثواقب منه درره فلما كان كتاب المستطرف الذي التقطت يد مؤلفه من انوار كل فن مستظرف انفسح به مجال الفضل في ميدان الادب ووفدت الى شعوب افتنانه وفود الاذكياء تنسل من كل حدب فأنفق ذو السعة الامنه وما كان ضيق العطن أحوج الا اليه فلا غنى بالرجلين عنه مست الحاجة الى مكرر طبعه برابعه فاعيدت وكانت احلى الثلاث وأضوء للناظر من الشمس في الرابعه ولما شيمت بارقة تمام طبعه اخذ باعث الجذل في اطرائه على حسب ميسوره ووسعه فقال

حدث حديث فؤادي المنشوف * أبدا وقل هو ذلك الخل الوفي
واذكر وقوفي بالديار سفى الحيا * تلك الديار بدمعه المستوكف
وانقل غروب الصبر عن وطن الحشا * وعزوب نوم عن عيوني منتفي
واسئل نجاد مسارح الغزلان اذ * ترنو واثر رنو اعينها اقتفي
فهنالك مصرع كل قلب يصطلي * نار الغضى ويود أن لا تنطفي
قلب تزاحمت القلوب لعذره * وهو الهوى العذري ليس بمنتفي
حتام يصبر عن مناه وكم له * وله بطاعتها وبالمتخلف
اذ القديم له ولي في الهوى * بدعا تراه بنى ولم يستأنف
ياقلب حسبك من تليد الهوان * رمت النصيحة واله بالمستطرف
سفر حوى طرف البيان وجاءنا * من كل فن يانع مستظرف
تهوى به السحر الحلال ونفثه * في عقدة الالباب دون تخوف
أحبب به السفر الذي هو مسفر * عما خفي كم حاز من لطف خفي
خذ ضنه من عمل ومن علم ومن * حكم ومما تشتهيه وتشتفي
لما حلا رشفا تكرر طبعه * والذوق يحرم من له لم يرشف
من كان همته مجرد حله * فأنا الذي بشرائه لا أكتفي
سخف الزمان وعنه أقعد معدما * كفؤا البكر حديثه لا الفرقف
ويسوقه للجاهلين بقدره * ذوقا وكيف يذوق من لم يعرف
آتري من الانصاف أن عاف الجنى * ترف وقصر عنه حال المدنف
لاريب أن هذا الكتاب هو الجنى * من حال عنه فحنظلا فليقف

من تم أفرغ وسعه فى طبعه * منصور رأى للمكارم مقتفى
بعمله الطبع التى تفارت لها * نظر الاصابة عين ناظرها الحفى
فوفى بحق الشكر للشهم الذى * مصر به تختال فى الترف الوفى
الداورى أبى الفدا ولو فديـ * ـناه بانفسنا حرصنا أن نفى
فالله يبقيه العزيز وآله * قوم لضبط الملك جمعهم اصطفى
يا كم له منن ومن ثمراتها * هذا الكتاب قطاف من لم يقطف
فاسعد وساعدنى على تاريخه * طبع افاد طرائف المستطرف

٥	٨١	٨٦	٣٠٠	٨٢٠

سنة ١٢٩٢

وكما أن هذا الطبع الجميل بادارة صاحب الفطنة الذكيه والآراء الصائبة والاخلاق الزكيه من عن رياسته مهمات الامور لا تستغنى حضرة مدير المطبعة والكاغدخانه حسين بك حسنى كذلك وكل الى نظر وكيله السالك جادة سبيله من عليه لسان الصدق يثنى حضرة محمد أفندى حسنى وملاحظة ذى المساعى الحسنة والعود الاحمد جناب أبى العينين أفندى أحمد وقد نيط امر تصحيحه الى رياسة الاستاذ الامثل والهمام الفيصل من بنور أعلامه وضحت الى الفضل طريق مولانا الشيخ ابراهيم الدسوقى وتم طبعه فى منتصف رمضان الذى انزل فيه القرآن من عام التاريخ المنتظم من هجرة سيد العرب والعجم صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وكل منتم اليه ما اكثر مفاخر ولحق بالاول الآخر آمين